

سلطنة عُمان
وزارة التراث القومي والثقافة

الأخبار والآثار

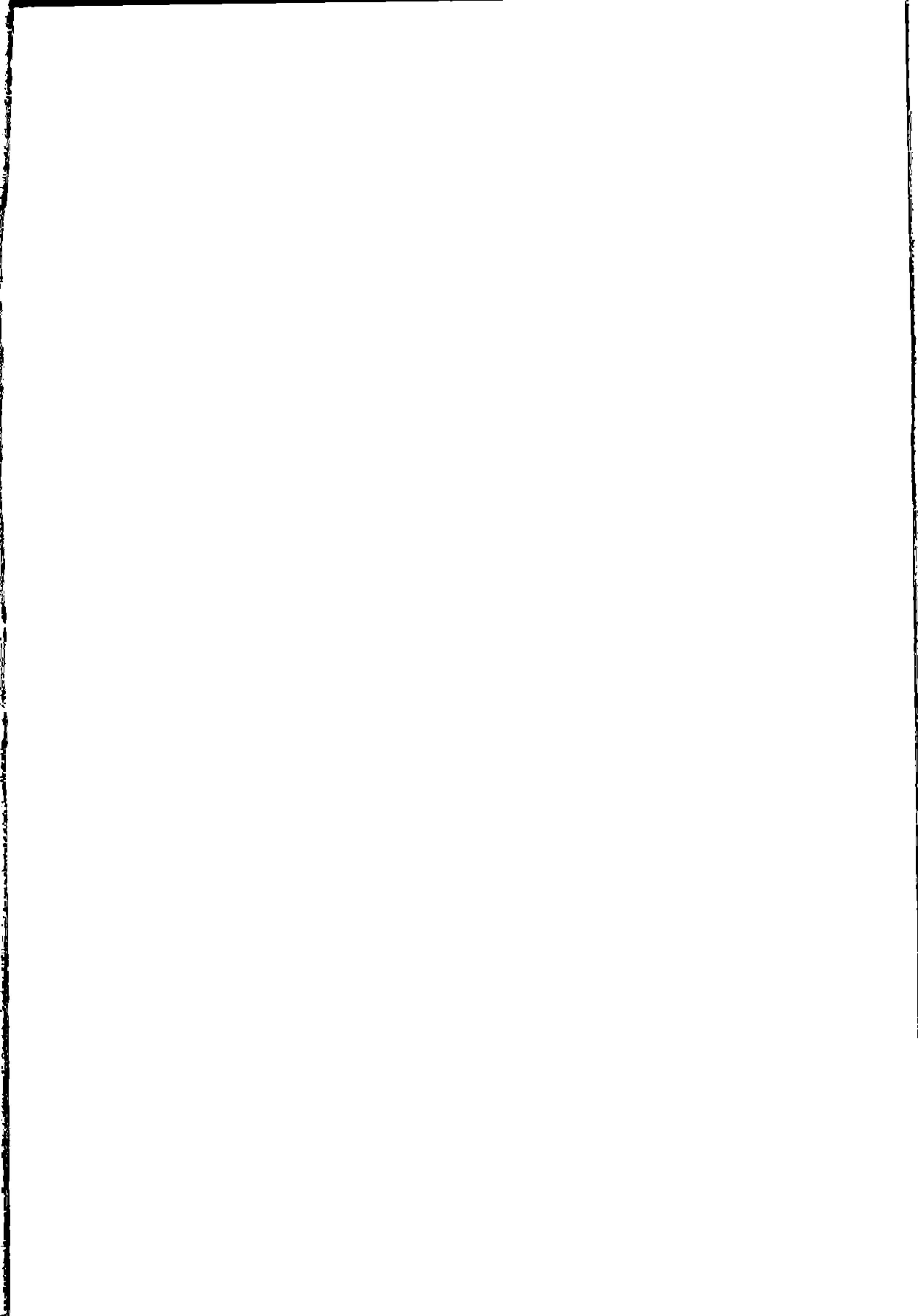
تأليف
العلامة المحقق الشيخ سالم بن عبدالله بن
راشد آل بوسعيدي العقري النزوي

تحقيق

محمد علي الصليبي

الجزء الثاني

الطبعة الثانية
١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م



ذلك مباهاةً للمصنفين ولا ذكراً الى الآخرين
وانما اردت ذلك نصرةً لضعيفٍ مسترشدٍ
ومعونةً لطالبٍ مجتهدٍ وعدّةً لعابدٍ مجتهدٍ
وسبباً لنيل الثواب وذريعة ليوم الحساب
أنْ أودعتُ ما استحسنتُ من ذلك كتاباً والحقتُ
كل معنى منها باباً ليأخذها على التوالي درساً وحفظاً
ويستشرفها معنىً ولفظاً ويستنبط غرائبها ويستدرّ
عجائبها ويجعلها املاً ويمتثلها عملاً ليحصل
له نفعها ويتم له فضلها لانها دليل الخير سبيل
وما التوفيق الا بالله ناسخه ومؤلفه العبد الحقير
المعترف في ذلك بالتقصير سالم بن عبدالله بن راشد بن سعيد
النزوي وطناً والعقري سكناً وذلك في عام ثلاث
وسبعين سنة والف سنة من هجرة سيد المرسلين محمد صلى الله
وعليه وسلم تسليماً كثيراً

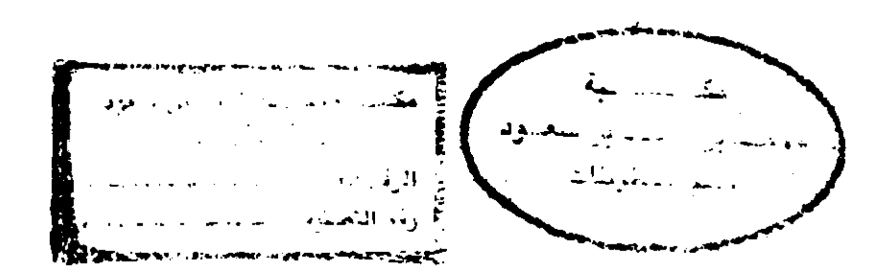
احدى صفحات مخطوطة الآثار وهي بخط مؤلف الكتاب



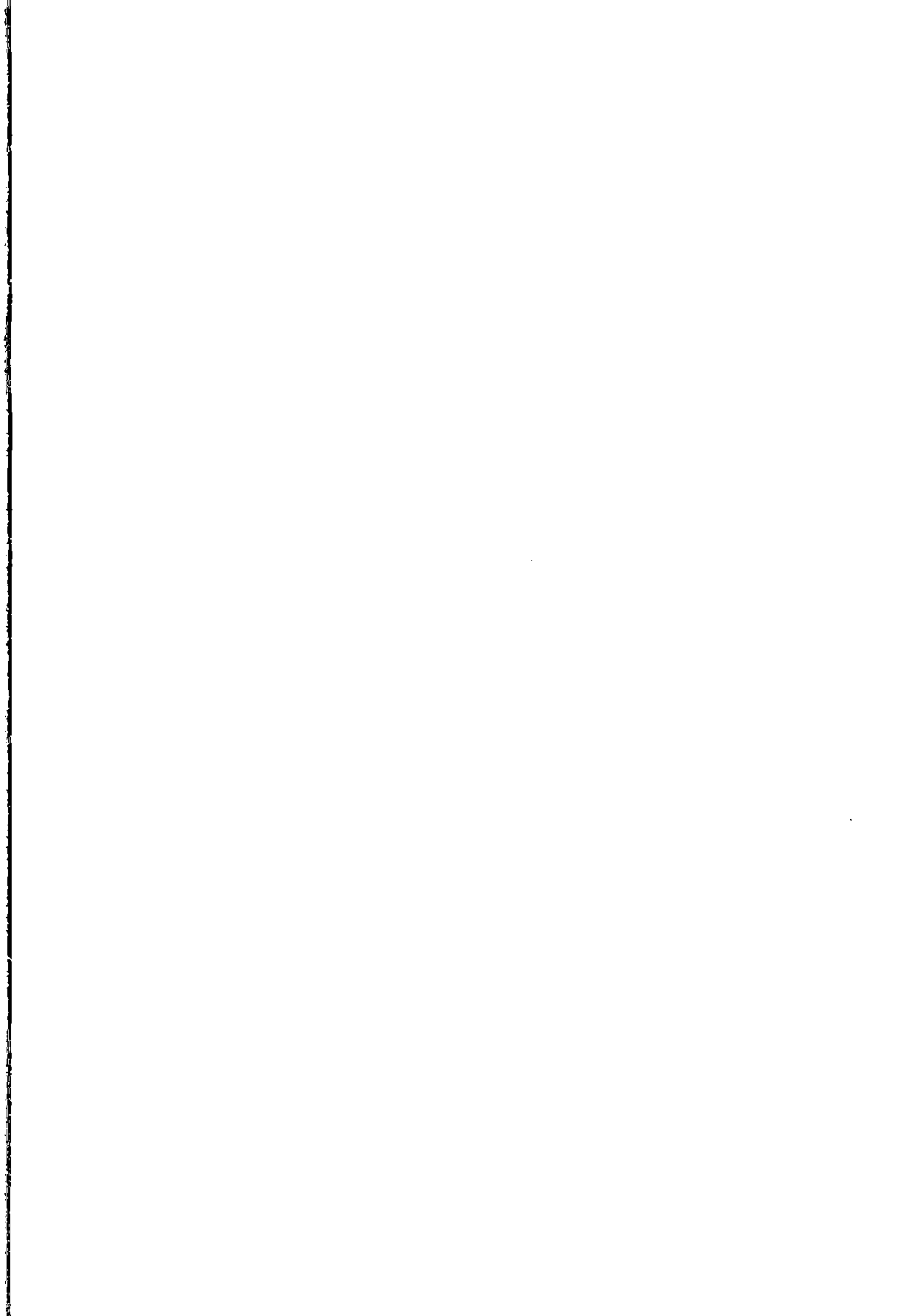
٢

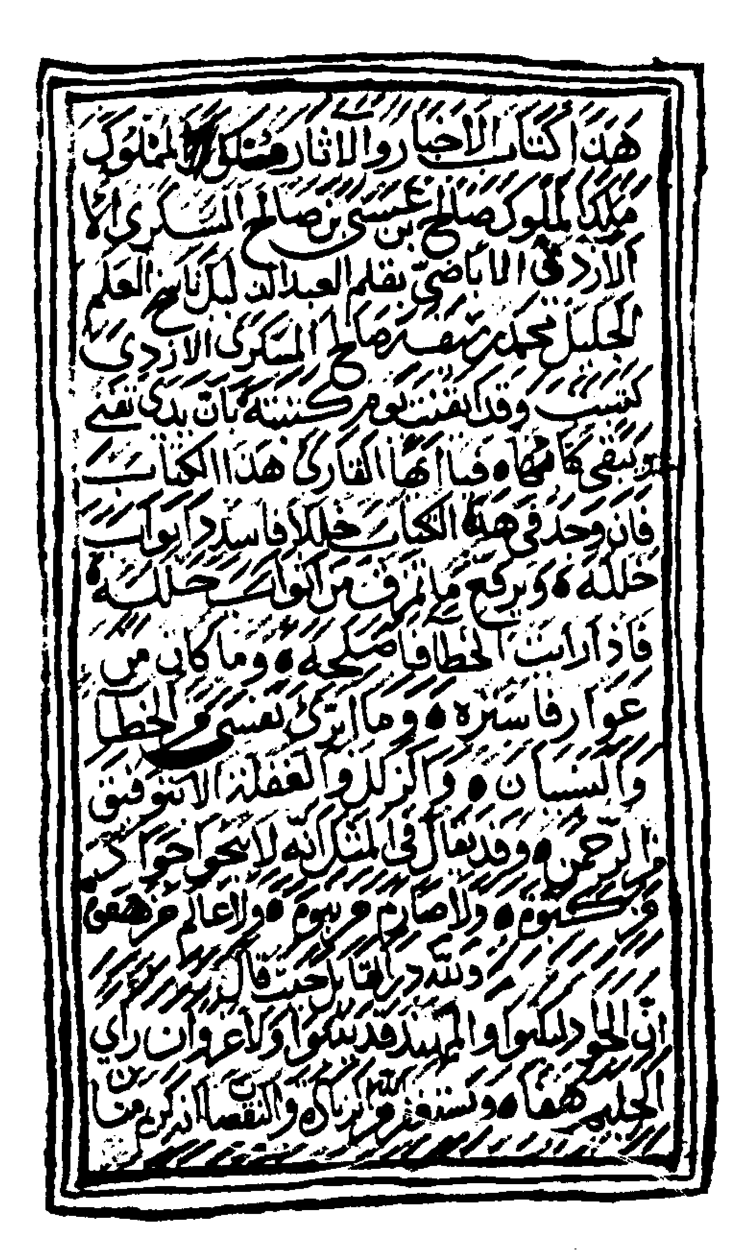
كتاب الاخبار والآثار تأليف العلامه سالم بن عبدالله بن راشد آل بوسعيدي العقري النزوي

سنة نيف وسبعين والف سنه

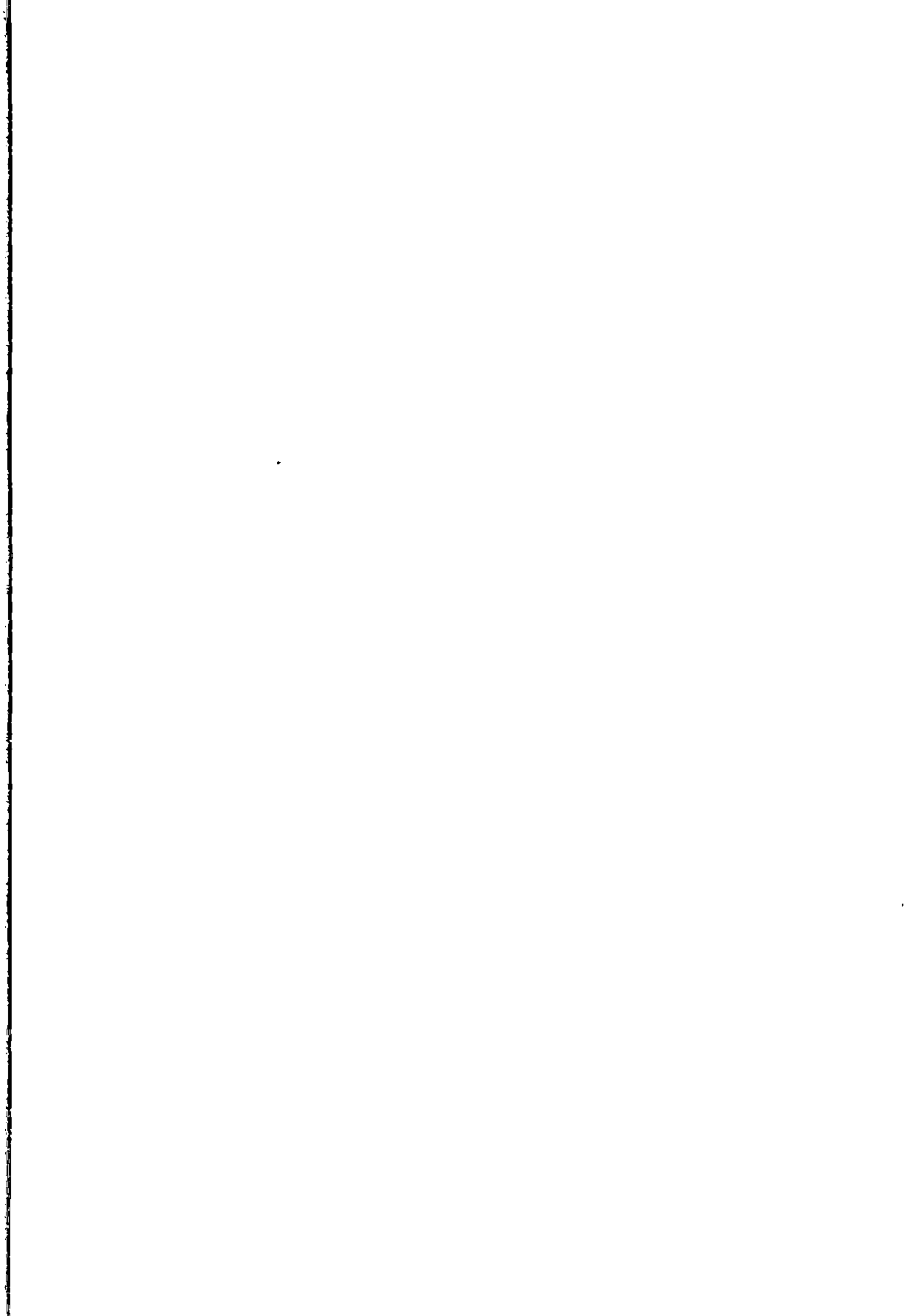


الصفحة الثانية من مخطوطة كتاب الآثار والأخبار




هذا كتاب الأخبار والآثار ملك المملوك
مولانا الملوك صالح عيسى بن صالح السكري الأ
الأزدي الاباضي بقلم العبد الذليل ناسخ العلم
الجليل محمد بن سعيد بن صالح السكري الأزدي
كتبت وقد تفنت يوم كتبته بأن يدي تفنى
ويبقى كتابها . فيا أيها القاري هذا الكتاب
فإن وجدت في هذا الكتاب خللا فاسدد أبواب
خلله . ويرقع ما انخرق من أثواب حلله
فإذا رأيت الخطأ فأصلحه . وما كان من
عوار فاستره . وما أبرئ نفسي من الخطأ
والنسيان . والزلل والغفلة إلا من وفقه
الرحمن . وقد يقال في المثل إنه لا يخلو أحد
من سهو . ولا الصارم من نبوة . ولا العالم من هفوة
ولله در القائل حيث قال شعر
إن الجواد ليكبو والمهند قد ينبو ولا عجب أن رأى
الحليم هفا . ونستغفر الله ربنا والنقصان يرى منا

الصفحة الثالثة من مخطوطة كتاب الآثار والأخبار



مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الهادي الى الصراط المستقيم ، ونشـهد أن لا إله إلا الله صاحب الشرع القويم ، ونصلي ونسلم على رسوله الأمي الأمين قدوة الهداة المهتدين ، وصفوة الأمة ، وخاتم الأنبياء والمرسلين .

وبعد ؛

فهذا هو الجزء الثاني من كتاب «الأخبار والآثار» لمؤلفه فضيلة الفقيه الورع والعالم الجليل الشيخ سالم بن عبدالله بن راشد آل بوسعيدي العقري النزوي طيب الله ثراه .

وهو كتاب في الوعظ والارشاد وقد اشتمل هذا الجزء على كل ما يتصل بالفضائل وآفات الأعضاء والأخلاقيات والآداب والحكمة كالحلم والقناعة والحياء والتواضع وحسن الخلق والصدق وآفات السمع والبصر والقلب وحب الدنيا والزهد والورع وأخبار النساء وآداب الأقوال والأفعال والمزاح والعجب والرياء وغير ذلك .

ولعل من المفيد أن نشير هنا إلى أن الجزء الأول من كتاب «الأخبار والآثار» والذي صدر عن وزارة التراث القومي والثقافة كان قد اشتمل بالاضافة الى مقدمة الكتاب على ما يتصل بالعقيدة والعبادة مثل العلم وفضيلته وتحريم كتمانه والايمان والذكر وصفة المؤمنين وصفة الجاهل والمنافق

والعهد والوعد والتوبة والرضا بالقضاء والقدر ولزوم التقوى وخوف سوء الخاتمة والقيام بالقسط والعدل والمشورة والظلم وحقوق الجار والصاحب والوالد والولد والنصيحة وكتمان السر وغير ذلك مما فيه صلاح الدين والدنيا .

والله نسأل أن ينفع به المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها .

المحقق

الباب الأول
في المواعظ والأخبار

ذكر ان الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام : يا معشر الآدميين إذا نزلت بكم الأمراض دعوتموني فإذا كشفت عنكم نسيتموني كأنكم من رزق غيري تأكلون ، ما لابن آدم اذا نزلت به النكبة دعاني راغبا إلي فإذا كشفتها عنه كأن النكبة لم تحل به قط ، اولايتفكر ان الذي أزاح النكبة هو قادر على ردها ، ولكن سوف ينكشف الغطاء وتظهر الأمور ، غرتكم الدنيا ووضعت كل كلها عليكم كأنكم لا تصيرون الى الحي القيوم فيبطش بكم بطشة جبار لا ترام بطشته ، فداووا أنفسكم بالاستغفار والاقلاع ، وابكوا على ذنوبكم حق البكاء .

واعلموا ان خير بضاعتكم الصلاة فاعملوا فيها ولا تنظروا الى اصحاب الكبائر ، وما أدراك ما هم الذين لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ، فليس المخلص من كثر ثناء الناس عليه ولكن المخلص من نظرت الى قلبه فرأيته مستويا هيهات هيهات تكسون عوراتكم وتشبعون بطونكم ، وتتركون فرضي ، ليس من سبق الى الصلاة بالاسحار السابق ، إنما السابق من أجللته برضاي ، وصمت عن الرفث ، واذا تكلم بكلام كان عليه مني هيبة ترحب به الملائكة وتفرح به قطرات الأرض .

اذا نزل بأهل بلاء كان حصنا لهم .

من الزم نفسه التقوى ذهبت عنه عداوة المخلوقين ، ومن ترك أداء فرائضي غيرت وجهه ، ومن اكثر الزنا محق رزقه وعمره فلا تنظر الى من استوت لهم الدنيا واستقامت لهم ولكن انظروا الى عاقبة أمرهم ، ولا تنظروا الى صلاة العبد وصيامه ولكن انظروا الى السرائر التي بيني وبينه .

يا داود أسبلت عليك ستر الدنيا ، والستر الذي بيني وبينك مهتوك اذا فرغتم من المعاصي رجعتم اليّ احسبتم اني خلقتكم عبثا ، إنما خلقت الدنيا رديف الآخرة فسددوا وقاربوا واذكروا أصوات الزبانية ، وضيق القلق في النار ، وغم أبواب جهنم ، وبرد الزمهرير ، فازجروا انفسكم حق الزجر ، وارضوا باليسير من الدنيا ارضى منكم باليسير من العمل ، تضحكون ولا تدرون أن الموت في طلبكم لو تنظرون الى أعوان الموت كيف يجذبون المفاصل ، ويفكون الأعضاء حتى يسمع ـ لعله ـ للموت صرير اسنانه وأجنحة الأعوان تجول في جسمه ، فهذه عبرة لكم لو تعتبرون وتعقلون ، لو شاك أحدكم شوكة لتأذى بها ووجد ألمها ، كل هذا لتعتبروا وتتفكروا في الموت .

ايها الناس ؛ دار البقاء أوفق لكم فعليكم بطلبه ، واسألوني العفو ، اعطاكم اعمالا زاكية وطلب الثواب .

بالمخادعة يورث الحرمان ، وحسن العمل والنية يقرب مني . يا داود ؛ انف النوم عن عينك ، واذا حدثتك نفسك بنوم فاذكر مصارع أهل النار في النار فإنك ان فعلت ذلك فقد نفي النوم عن عينك .

ثوب الستر عليك واضح وأنت عندي عريان .

معاشر الآدميين تعاهدوني ان لا تعصوني ثم تعصوني كأنكم في غرور وبعقوبتي فرحين متلاعبين ، إنما أحب من عبادي من كان مجتهدا في طاعتي ، مبغضا لأمور الدنيا ، محبا لكل ما يقربه مني .

أيها الناس ؛ نهيتم عن الغيبات والمكر والخديعات ولكن نقوا قلوبكم وطهروها فإذا اصلحت صلحت الأعمال ومن اكثر الاستغفار كثر له الرزق والأموال والأولاد ونشرت عليه الرحمة .

ومن تعجب ـ لعله ـ اعجب فهو من عيني ساقط .

ومن تكبر فهو يضدني في ملكي وأنّى له بذلك .

فيا أيها الانسان ما غرك بي ، كنت محلولا في الأصلاب ألقى ابوك نزعة وامك نزعة فدبرت من أجزاء أبيك الأعضاء والعصب والعروق ودبرت من اجزاء أمك اللحم والجلد والدم وجمعت بين النطفتين فاجمدتها بعد الانحلال وجعلتها دما بعد ان كانت محلولة فصارت نطفة اربعين يوما وعلقة اربعين يوما ومضغة أربعين يوما ثم أرسلت إليها ملكا فشق السمع والبصر وكتب الرزق والأجل والسعادة والشقاء ونفخت فيه الروح وغذيتها بالألطاف وحفظتها من الآفات فلما استطلقتم واستوثقتم في الكبر جعلتم مكافأة ذلك الاقتحام على المعاصي ونسيتم تلك الألطاف كلها ، أكان ذلك جزاء من صور فأتقن وخلق ورزق ، واذا وقعتم في مصرع لجأتم إلي فكفيته عنكم ، واذا عدتم إلى صحتكم سعيتم في الأرض فسادا فما اجرأك علي أيها الانسان .

قد رزقتك سمعا تسمع به ، وبصرا تبصر به ، وقدما تسعى بها ، ويدا تبطش بها ثم لم تشكر .

يا داود ؛ لا تجالس السفهاء فمن جالس سفيها نسب إليه ، وعليك بصحبة العقلاء واتباع أمرهم .

يا داود ؛ طوبى لمن عمر قلبه بذكرى وأخر به من ذكر الدنيا .

يا ابن آدم ما أجرأك عليَّ وأشد تمردك ، إذا وقعت في البلوى دعوتني ، وإذا كشفت عنك نسيتني .

يا دواد ؛ قل للذين يتوكلون علي بأعمالهم أبأعمالكم تنالون خزانة رحمتي أم برحمتي تنالون ملاذ صدا ذلك كله فإن استندتم إلي بأموركم وفوضتموها إلي كنت عند ظنكم .

يا داود ؛ كن عند ظنك بي تجدني مليا بما تظن بي من الخير وصفني لخلقي بالكرم وأنا القوي العزيز .

يا داود مر بني اسرائيل لا يتحالفون باسمي كاذبين ولا صادقين ، وليقوموا إلي مقام الخائف المستجير من سخطي .

يا داود : من حلف باسمي كاذبا فرقت بين جلده وعظمه في النار .

يا بني آدم : انكم تعصوني بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم ، ولو أن أولكم وآخركم وجنكم وانسكم اجتمعوا في صعيد واحد وسألني كل واحد مسألة ما نقص ذلك من ملكي شيئا فمن تاجرني فهو اربح الرابحين ومن صرعته الدنيا فهو أخسر الخاسرين .

يا داود : اتل عليهم نبأ قوم غرتهم بهجة الدنيا ونضارتها فواثبوا على المعاصي ولم يتفكروا في عواقب الأخرة حتى غشيهم الموت ، ما لكم لا تعقلون وانتم غافلون ، والأقلام جارية لا تغفل عن اعمالكم ، الستم بعيني وبين يدي وأنا أعلم متقلبكم ومثواكم أين المؤملون غيري ، والقاصدون سواي .

أين الواقفون بأبواب ملوك يزول ملكهم ويذهب نعيمهم وأنا الملك الذي لا يزول ملكي ولا ينقص سلطاني ولا يتغير شأني ولا ينفذ احساني وأنا الملك الذي أوتي الملك من أشاء ، وانزعه ممن أشاء ، وأعز من أشاء ، وأذل من أشاء بيدي الخير وانا على كل شيء قدير ، وأنا الملك الذي إذا اردت شيئا أن اقول له كن فيكون ، وعزتي وجلالي لأقطعن أمل من آمل غيري ، ولأخيبن رجاء من يرجو سواي ولأكسونه في يوم القيامة على رؤوس الأشهاد ثوب مذلتي ، ولأطردنه من جواري ، ولأحرمنه رضاي ، ولأمنعنه عفوي يوم

أعفو عن المذنبين والخاطئين .

يا أيها الناس لا تغفلوا عن الآخرة ، ولا تغرنكم بهجة الدنيا ونضارتها لو فكرتم في منقلبكم ومعادكم وذكرتم يوم القيامة وما أعددت فيه للعاصين لقل ضحككم ، وكثر بكاؤكم ، ولكنكم غفلتم عن الموت ونسيتم عهدي ، واستخففتم بحقي كأنكم لستم بميتين ولا بمحاسبين كم تقولوا ما لا تفعلون ، وكم توعدون فتخلفون ، وكم تعاهدون فتنقضون ، لو تفكرتم في خشونة الثرى ووحشة القبر وظلمته لقل كلامكم ، وكثر ذكركم ، واشتغلتم بي ، ماذا عليكم يا بني آدم لو جعلتم مكان كل نعمة شكرا ، أو اكثرتم الثناء علي ، ولم تجاوزوا نعمتي بالبذخ والكفر ، واكثرتم ذكري فإن الذكر للقلب حياة والوقيعة في الناس تزيد القلب عمى وظلمة .

يا عجبا لمن أيقن بالموت كيف يضحك ويلهو ويلتذ بعيش وتطيب له الحياة وهو يعلم أن له في القيامة روعات ووقفات وفزعات وسؤالات لا ينجيه منها إلا رحمتي في يوم تظهر فيه الفضائح ، وتشهد الجوارح ، وليس هناك حجة تنفع ، ولا عذر يسمع ، ولا حق يبطل ، ولا مظلوم يحجب عبدي من اكرم عندي منك إذا خفتني فإن كنت تقول اني غفور فلا تتقيني .

يا داود صفني لخلقي بجودي وكرمي وصفني بالعفو والغفران والاحسان .

يا داود : من لقيني من عبادي وهو يخاف عذابي لم أعذبه بعذابي . عبدي لعلك تضحك بالغداة وتموت بالعشي ، أو تضحك بالعشي وتموت بالغداة .

ما أشد جهلك وأشد غرتك .

طوبى لمن اعطى القصاص من نفسه ، ورد التبعات إلى اهلها إبكوا

المآثم الدماء ، ثم القبح على ذنوبكم .

عبدي كيف ترجو لكشف الشدائد غيري ومفاتيح الأمور كلها بيدي ، أم كيف تقرع باب سواي وهذا بابي مفتوح لمن دعاني فمن كان يرجو لكشف شدائده وضره غيري فقد جعل معي إلها آخر ، أنا الذي لا اقطع رجاء من رجاني ، ولا أخيب من دعاني ، ولا اسلم من توكل علي أبخيل أنا يا عبدي فتسأل غيري أم قلت ذات يدي فهل تجد إلها غيري يعطيك إن أنا منعتك وهل تجد الها غيري يمنعك إن أنا اعطيتك ، فإنما المنع والعطاء بيدي ، وخزائن السموات والأرض كلها بيدي وفي قبضتي ، ولو ان جميع أهل السموات والأرض من ملائكتها وانسها وجنها وقفوا ببابي وسألني كل واحد منهم مثل ما يسألني الجميع لأعطيته ذلك ، ولا ينقص ذلك من خزائني قدر جناح بعوضة ، وكيف ينقص ملك وأنا أقيمه أو كيف ينفد نعيم وأنا أديمه ، فيا بؤس القانطين من رحمتي ويا شقوة من عصاني ، ويا ذل من ركب محارمي أين يفر مني أم كيف يخرج من تحت سمائي .

عبدي عصيتني ولم تستحِ مني ، وخالفت عهدي وكذبت وعدي وخلوت بمعصيتي واستترت بها عن عبادي ، يا عبدي لم اكشف عنك ثوب ستري ولم أسلب عنك نعمتي الم ترني أجود على المذنبين ، واستر على العاصين ، واتوب على المذنبين ، واغفر للخاطئين ، وأحب التوابين وأنا أرحم الراحمين .

وذكر عن النبي ﷺ أنه قال : «تركت فيكم واعظين صامتا وناطقا : فالصامت الموت والناطق القرآن» . فالسعيد من وعظ بغيره ، والشقي من شقي في بطن امه .

وذكر في الخبر : ان جبريل عليه السلام قال للنبي عليه السلام عش ما شئت فإنك تموت ، واحبب ما شئت فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنك تجزى

به .

وذكر في الخبر عن النبي ﷺ أنه قال لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس ، شبابك قبل هرمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك ، وصحتك قبل سقمك .

وقد جمع النبي ﷺ من هذه الخمس علما كثيرا لأن الانسان يقدر على الأعمال في حال شبابه ما لا يقدر في حال هرمه ، فينبغي للانسان ان يجتهد في هذه الخمس ويغتنم أيام الصحة ووقت الفراغ مادام حيا .

واعلم ان الموتى يتندمون على تفريط أيام الحياة لأنه من كان منهم من أهل الجنة ورأى ما أعطي العاملون يندم حين لم يعمل ، ومن كان منهم من اهل النار يندم على معصية الله التي عملوها ، وهذا مواقف لما ذكر عن النبي ﷺ انه قال : «خصلتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ» .

فمن اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ، ومن اشفق عن النار لهي عن الشهوات ، ومن ترقب الموت لهي عن اللذات ، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب .

وذكر في الخبر عن الحسن أنه قال : يا ابن آدم أنت تطأ الأرض بقدمك ، وهي عن قريب قبرك ، وأنت لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك ، فالويل لمن كانت الدنيا اكثر همه ، وطال امله ، وساء عمله ، وهو مع ذلك عظيم البطنة ، قليل الفطنة ، عالم بدنياه ، جاهل بأخراه .

والعجب كل العجب لمن يرى الدنيا مولية عنه ، والأخرى مقبلة عليه فكيف يشتغل بالمولية ويعرض عن المقبلة .

ولقد احسن من قال شعرا :

إنـا لنفـرح بـالأيـام نقـطعهـا ... وكل يوم مضى نقص من الأجل

فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهدا فإنما الربح والخسـران في العمل

وذكر عن لقمان قال لابنه : يا بني زاحم العلماء بركبتك ولا تجادلهم فيمقتوك ، وخذ من الدنيا ما يبلغك المحل وانفق فضل كسبك لآخرتك ، ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتبقى عيالا وعلى أعناق الناس كلا ، وصم صوما يكسر شهوتك ، ولا تصم صوما يضر بصلاتك فإن الصلاة أفضل من الصوم ، ولا تجالس السفيه ، ولا تخالط ذا الوجهين ولا تضحك من غير عجب فإن الضحك يميت القلب ولا تمش من غير أرب ، ولا تسأل عما لا يعنيك ، ولا تضيع مالك وتصلح مال غيرك فإن مالك ما قدمت لنفسك ومال غيرك ما تركت خلفك ، وإياك والناس وعليك بالناس فإن الناس هم الناس . وليس كل الناس ناس ، وقد ذهب الناس وبقي النسناس . وما أراهم بالناس ومن ابصر عيبه اشتغل عن عيوب غيره ، ومن تعرى عن لباس التقوى لم يستره شيء من الثياب ، ومن رضي برزق الله لم يحزن على شيء فاته من الدنيا ولا على شيء في يد غيره .

ومن سل سيف البغي قتل به .

ومن احتفر حفرة لأخيه وقع فيها .

ومن هتك حجاب غيره فأنكشفت عورته هتك الله حجاب ستره .

ومن نسي ذلة نفسه استعظم ذلة غيره .

ومن كابد الأمور عطب .

ومن خاطر بنفسه هلك .

ومن استغنى بنفسه عن مشاورة غيره زل .

ومن تكبر على الناس ذل ، ومن سفه على الناس شتم ، ومن صاحب

الأراذل حقر ، ومن جالس العلماء وقر ، ومن دخل مداخل السوء اتهم ، ومن تهاون بالدين ارتطم ، ومن اغتنم أموال الناس افتقر ومن جهل موضع قدمه مشت في ندامة ، ومن خشي الله فاز يوم القيامة ، ومن لم يحرس الأمور جزع ، ومن صارع الحق صرع ، ومن احتمل ما لا يطيق عجز ، ومن عرف أجله قصر أمله ، ومن ترك الجهل لزم طريق العدل .

واعلم بالحقيقة أنه إذا صلح القلب كفاه قليل من الموعظة ، واذا فسد لم يزدد مع الموعظة الا قسوة . شعرا :

لا ينفع الوعظ قلبا قاسيا ابدا والحبل في الحجر القاسي له أثر
اذا قسا القلب لم تنفعه موعظة كالأرض إن سبخت لم يحيها المطر

ومن اعرض عن الموعظة فقد رضي بالنار ، وأصل ذلك العلم والمعرفة والتقوى ، فكما لا يستضيء الأعمى بضوء النهار فكذلك لا ينور العلم إلا أهل التقى وكما أن الميت لا ينفعه الدواء فكذلك لا ينفع الأدب في أهل الدعوى .

وكما ان الوابل لا تنبت على الصفا فكذلك الحكمة لا تثمر في قلب محب الدنيا ، ومن خالف قوله عمله فقد كثر جهله لأن من لا ينفعه دواء كيف يعالج به غيره .

كما ذكر في الخبر أن العبد اذا وعظ الناس يناديه الملكان الموكلان به : يا واعظ الناس عظ نفسك قبل ان تعظ الناس ، واستح من مولاك ، وفي هذا المعنى ما ذكر عن النبي ﷺ أنه قال : «من وعظ الناس ولم يتعظ وزجر ولم يزجر ونهي ولم ينته فهو عند الله من الخائنين» .

شــعرا :

يا واعظ الناس وعظا ليس يفعله تنهى سواك وعاد القلب في لبس
كغاسل لثياب الناس يلحها وثوبه غرق في النتن والنجس

ما بال دينك ترضى ان تـدنسه وثوبك الدهر مغسول من الدنس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجري على اليبس

فيجب على كل انسان ان يعظ نفسه قبل ان يعظ الناس ، وينهى نفسه قبل ان ينهى غيره ، ولا يكون ممن يأمر بالحق ، ولا يفعله ويجب ان يوبخ نفسه في السر والعلانية ، ويجاهدها كل المجاهدة ، ويردها عن هواها . وما تذهب إليه من طريق الرفعة والعلو والمنزلة الرفيعة والمدحة عند الناس ويترك الاعجاب ، ويخوف نفسه بالموت ، ويمثل لنفسه موقف الحساب وسوء المنقلب ، ويتفكر في الخبر المروي عن النبي عليه الصلاة والسلام حيث قال : «ما من خطيب ولا واعظ إلا يوقف يوم القيامة بين يدي الله عز وجل وتعرض عليه خطيتة ووعظه ويسأل عنها حرفا حرفا وماذا أراد بقوله فإن كان اراد به وجه الله تعالى ووافق قوله عمله فاز ونجا ، وان كان اراد بقوله عرض الدنيا والثناء والمدحة عند الناس هلك وخسر خسرانا مبينا» ، نعوذ بالله من سخطه وأليم عقابه الذي لا طاقة لنا به فانظر لنفسك يا أخي بأي بدن تقف بين يدي الله وبأي لسان تجيبه ، وماذا تقول إذا سألك عن القليل والكثير فأعد للسؤال جوابا ، وللجواب صوابا ، واعلم انه قد آلى على نفسه ان لا يترك عبدا قد أمره ونهاه حتى يسأله عن عمله دقيقه وجليله ، سره وعلانيته ، فأي أمر مصيبة تجيء من هذا أو أي محنة بعد هذا الا أن يتكرم الكريم بفضله وكرمه ورحمته قال الله تعالى : ﴿فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون﴾ [1] .

فانظر لنفسك أيها الانسان واجتهد في طاعة ربك وإياك والتسويف فإن الموت يأتي بغتة ، وإياك والاغترار بطول الأمر وحب الدنيا فإنك لن تلقى الله بكبيرة أصعب عليك من طول الأمل والحرص على البقاء وحب الدنيا .

---

١ - الآيتان ٩٢ ، ٩٣ من سورة الحجر

الباب الثاني

ذكر القلب وآفته

وأما القلب فعليك أيها الانسان بإصلاحه ، واحسن النظر فيه وأبذل المجهود فيه ، فإنه أعظم الأعضاء خطرا وأدقها أمرا وأشقها إصلاحا .

واعلم ان القلب هو موضع نظر الرب سبحانه وتعالى . فيا عجبا لمن يهتم بوجهه الذي هو منظر الخلق فيغسله وينظفه من جميع الأقذار والأوساخ والأدناس ، ويزينه بما امكنه لئلا يطلع مخلوق على عيب فيه ، ولا يهتم لموضع نظر رب العالمين وهو القلب فيطهره ويزينه ، وينظفه من جميع الأقذار والأوساخ والأدناس لكي لا يطلع الرب سبحانه وتعالى على دنس فيه وشين وأفة ، بل يهمله بفضائح وقبائح وأقذار ، ولو اطلع الخلائق على واحدة منها لهربوا عنه وهجروه وتبرؤ وا منه .

واعلم ان القلب ملك مطاع ، ورئيس متبع ، والأعضاء كلها تبع له فإذا صلح المتبوع صلح التبع ، واذا استقام الملك استقامت الرعية .

كما ذكر عن النبي عليه السلام أنه قال : «إن الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد الا وهي القلب»[1] فإذا كان صلاح الكل في ذلك وجب صرف العناية إليه .

---

١ ـ رواه النعمان بن بشير وهو متفق عليه وروي من طرق مختلفة

واعلم ان القلب خزانة كل جوهر نفيس ، ومعدن كل معنى خطير . أولها العقل ومعرفة الله تعالى التي هي سبب السعادة في الدارين جميعا ، والنية الخالصة في الطاعات ثم انواع العلوم وسائر الأخلاق الشريفة .

وحق لمثل هذه الخزانة ان تحفظ وتصان عن الآفات والأدناس والأقذار ، وتحرس من جميع الأعداء والسراق والقطاع ، وتكرم بأنواع الكرامات لئلا يلحق تلك الجواهر النفيسة دنس ولا قذار ، ولا قوة إلا بالله والله المستعان .

واعلم ان حقيقة الايمان والحياء والمعرفة والنية والمراقبة والتقوى والخشية انما تقع في القلب .

كما ذكر عن ابي بكر الوراق أنه قال : ان الله بعث نبيه عليه السلام ليدعو الخلق إليه وأن يعلمهم بما أمرهم مولاهم وماذا طلب منهم .

فأما ما أمرهم به فبأن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا .

وما ما طلب منهم فأربعة اشياء وهي : القلب واللسان والجوارح والخلق ، ثم طلب من كل واحد من هذه الأربعة شيئين على الدوام .

فأما القلب فطلب منه تعظيم اموره لله تعالى والشفقة على جميع خلقه .

وأما اللسان فطلب منه ذكر الله تعالى ومداراة الخلق .

وأما الجوارح فطلب منها عبادة الله تعالى وعون عباده .

وأما الخلق . فطلب منه الرضى بالقضاء وحسن المعاشرة مع جميع الخلق واحتمال الأذى من جميع الناس .

وذكر عن بعض الحكماء أنه قال : يقول الله تعالى : «أيما عبد اطلعت

على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكري ، توليت سياسته ، وكنت جليسه ، ومحادثه وانيسه» .

وذكر عن علي أنه قال : أن لله عز وجل في ارضه آنية ، وان من آنيته فيها القلوب ، لأنها أوعية وخيرها أوعاها وخير الناس من كان له قلب واع للخير ، واتقى الله في السر والعلانية ، فإن الله لا يقبل الا ما صفا ورق وصلب لله ورسوله والمؤمنين والدين .

فأما صفاؤه لله عز وجل فاتباع أمره ونهيه ، ومشاهدة الصدق ، والاشفاق على جميع الخلق .

وأما صفاؤه للرسول عليه السلام فبقبول ما أتى به ودعا اليه قولا وعملا ونية .

وأما صفاؤه للمسلمين فكف الأذى عنهم ، وايصال النفع لهم .

وأما صلابته في الدين فمعناه ان يكون قويا في جميع حدود الله في الأمر والنهي .

وأما رقته فالبكاء والتضرع والخشوع لله والرأفة والرحمة والشفقة لجميع الخلق .

وذكر عن سهل بن عبدالله أنه قال : ما من ساعة إلا والرب سبحانه مطلع علي قلوب عباده فمن رأى في قلبه خيرا تولى سياسته ، ومن رأى فيه فترة وغفله سلط عليه الشيطان فاجتهد يا أخي في اصلاح القلب إذ هو أصل كل شيء ، وهو القطب الذي تدور عليه جميع الجوارح ، وهو المعدن ومنه يتفرع الخير والشر .

كما ذكر عن سهل بن عبدالله أنه قال : أودع الله الانسان خزانة ،

وجعلها عنده أمانة وهي القلب ، وأودع فيها أربع جواهر ، وهي العقل والمعرفة والايمان واليقين ووكل بالقلب أربعة أعداء : ابليس والدنيا والنفس والهوى ومرادهم ان يسلبوا تلك الجواهر .

واعلموا انه اذا صلح القلب صلح الدين ، واذا فسد القلب فسد الدين كما ذكر عن النبي ﷺ أنه قال : «إن في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله وهي القلب» .

ومعنى الجسد ها هنا الدين ، لأن بالدين صلاح الجسد وأصل فساد القلب ترك المحاسبة للنفس ، والاغترار بطول الأمل فإذا أردت اصلاح قلبك فقف مع الارادة عند الخواطر فخذ ما كان لله ، ودع ما كان لغير الله .

وقد ورد في معنى القلب أخبار كثيرة .

فللقلب شهوة واقبال وادبار فالزموها عند شهواتها واقبالها ، وذروها عند فتراتها وادبارها .

وذكر عن ابن المبارك أنه قال : القلب مثل المرآة اذا طال مكثها في الندى صدأت ، أو كالدابة اذا غفل عنها صاحبها عدلت عن الطريق .

وذكر عن بعض الحكماء أنه قال : مثل القلب كمثل البيت له ستة أبواب ، ثم قيل لصاحب البيت : احذر ان يدخل عليك أحد من هذه الأبواب بشيء فيفسد عليك البيت فالبيت هو القلب ، والأبواب الستة هي : العين والأذن واللسان والفرج واليدان والرجلان . فمتى انفتح من هذه الأبواب شيء بغير علم ضاع البيت .

وذكر عن أبي سليمان الداراني انه قال : القلب بمنزلة القبة المضروبة القائمة المنصوبة ، وعلى القبة أبواب مغلقة وفي داخل القبة جواهر نفيسة : وهي العقل والدين والايمان والحياء والمعرفة واليقين والاخلاص وجميع أنواع

الخير قد جمعت في داخل القبة ، وهي تضيء بتلك الجواهر التي فيها ووكل بالقبة جميع أنواع الشر وجميع الاعداء .

أولها ابليس والنفس والهوى وحب الدنيا والحرص وجميع الشهوات وغيرها من انواع الشر فإن نور الله القلب أضاءت تلك القبة ، وغلب ضياؤ ها ونورها على ما حولها من أنواع الشر وهرب عنها كل من أرادها من الاعداء ، وارتفع شعاع نورها حتى يصل الى عنان السماء ، واذا أراد الله أن يطفئها اسودت تلك الجواهر ، وغلب عليها السواد والران حتى يطفىء نور تلك الجواهر النفيسة ، فتغلب عليه الأعداء وأنواع الشر فتكسرت أبواب القبة ودخل عليها جميع انواع الشر ، وتمكنت منه الأعداء ودخلته الوسوسة والغفلة والشهوات ، فصار أسيرا في يد الشيطان ، فقاده الى الكبائر والآثام .

وذكر عن بعض الصالحين أنه قال : سواد القلب من الذنوب وعلامة سواد القلب ان لا يجد العبد للذنوب مفزعا ولا للطاعة موقعا ، ولا للموعظة موضعا ، وبعد هذه الجملة فاعلم ان العدو قاصد الى القلب ، وملازم له ، لأن الشيطان جاثم على قلب ابن آدم بالوسوسة ، وقد تعلق بالقلب الهوى ، فالقلب هو معترك وجميع العوارض والخواطر والشهوات فيه لاتزال تقع فيه كالمطر ليلا ونهارا لا ينقطع ، ولا يقدر العبد على منعها ، وليس القلب بمنزلة العين التي هي بين جفنين ، فيقدر الانسان ان يغمض عينيه أو يكون في موضع خال بعيد من الخلق حتى لا ينظر شيئا ولا هو بمنزلة اللسان الذي هو خلف الحجابين ، وهي الأسنان والشفتان ، ويقدر الانسان على تسكينه ومنعه من الكلام اذ هو قادر على الصمت ، ولا هو بمنزلة الأذن لأن الانسان يقدر على أن يغلق اذنيه حتى لا يسمع شيئا بل القلب هو المعدن للخواطر والعوارض وموضع الأفات ولا يقدر احد على منعها ، ولا يقوى عليها بحال لأنها ليست تحت يده ولا يملكها ثم ان النفس مسارعة الى اتباعها واعلم أن الامتناع من ذلك بمجهود الطاعة ـ لعله ـ الطاقة أمر صعب شديد ، ومحنة عظيمة ،

وعلاجه عسير إذ هو مغيب على الانسان ، ولا يكاد يشعر حتى تدخل فيه آفة او يحدث فيه حادث ، ولا يقدر ان يمتنع من ذلك فيحتاج الانسان ان يبحث عن ذلك بأشد البحث ، وقوة العزم ، ودقيق النظر ، وكثرة الرياضة .

واعلم بالحقيقة ان من القلب تكون جميع انواع الخير وانواع الشر كالنية والاخلاص والعجب والرياء والبخل والطمع والتوكل واليقين والحرص والأمل والكبر والفخر وحب الدنيا والتوبة وحسن الظن والخوف والرجاء وما أشبه ذلك من أنواع الخير وأنواع الشر ، إذ القلب هو معدتها لكونها فيه ومنها فخوف الفقر وسخط المقدور والغل والحقد والحسد والغش وطلب العلو وحب الثناء وحب طول البقاء في الدنيا للتمتع والكبر والرياء والغضب والآنفة والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والرغبة والبذخ والأشر والبطر وتعظيم الأغنياء والاستهانة بالفقراء والفخر والخيلاء والتنافس والمباهاة ، والاستكبار عن الحق ، والخوض فيما لا يعني وحب كثرة الكلام ، والصلف والتزيين للخلق ، والمداهنة والعجب ، والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال الحزن من القلب ، وخروج الخشية من القلب وشدة الانتصار للنفس ، إذا نالها ذل ، وضعف الانتصار للحق ، واتخاذ اخوان العلانية على عدوان السر ، والأمن من مكر الله في سلب ما أعطي ، والاتكال على الطاعة ، والمكر والخيانة والمخادعة ، وطول الأمل والقسوة ، والفظاظة ، والفرح بالدنيا ، والأسف على فواتها ، والأنس بالمخلوقين ، والوحشة بفراقهم والجفاء والطيش والعجلة وقلة الحياء وقلة الرحمة وهذه أمثالها من صفات القلب . مغارس الفواحش ومنابت الأعمال المحظورة .

ثم اعلم ان جميع الآفات المهلكات قد تعلقت بالقلب وسارعت إليه ، وهو بالانقلاب أقرب ، وإنما سمي القلب قلبا لتقلبه .

وقد ذكر ان النبي ﷺ يقول : «يا مقلب القلوب ثبت قلبي» .

وقال الله تعالى : ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم﴾ [1] .

نإن زل القلب فزلته عظيمة ، ووقوعه صعب شديد وادنى ذلك قسوة القلب ، ومنتهاه استكبار وكفر كما قال الله عز وجل : ﴿إلا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين﴾ [2] .

وذلك ان الكبر كان بقلبه فحمله على ذلك الاباء والكفر بظاهر أمره ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه﴾ [3] ، فكان الميل واتباع الهوى بقلبه فحمله ذلك على الذنب المشئوم حتى كفر بالله .

وأصل كل فتنة وبلاء يدخل على القلب من الأمل والاستعجال والحسد والكبر ، فيجب على الانسان أن يتعلم أضدادها ، وهي قصر الأمل ، والتأني في الأمور ، والنصيحة لجميع الخلق ، والتواضع .

وهذه الخصال التي ذكرناها هي التي تسود القلب وتصلحه وهي التي عليها المدار .

فيجب على كل انسان ان يبذل المجهود في التحذر من هذه الآفات المفسدة المهلكة ، والتحصيل لهذه المناقب الأخرى التي هي المصلحة لكي يلحق بالأمن ، ويظفر بالمراد ، فحسبك في القلب أنه الأصل وعليه المدار ، وهو القلب الذي لا تدور جميع الجوارح إلا عليه فإن فسد فسد الكل ، وان صلح صلح الكل .

وإذا القلب [4] هو الشجرة ، وسائر الأعضاء والجوارح هي الأغصان ومن الشجرة تشرب جميع الأغصان ، وهو[5] الملك المطاع المتبوع ، وسائر

---

١ ـ الآية ١١٠ من سورة الأنعام

٢ ـ الآية ٧٤ من سورة «ص»

٣ ـ الآية ١٧٦ من سورة الأعراف

٤ ـ هكذا وردت في الأصل ولعله أراد أن القلب مثل الشجرة

٥ ـ هكذا في الأصل ولعله يريد أن القلب هو الملك المطاع

الأعضاء والجوارح تبع له ، فإذا صلح الملك صلحت الرعية ، واذا فسد الملك فسدت الرعية .

وصلاح العين واللسان والبطن دليل على صلاح القلب وعمارته .

فإذا رأيت في الجوارح خللا وفسادا فاعلم ان ذلك من خلل القلب وفساد وقع فيه ، ثم ان الفساد أسرع الى القلب من كل شيء إذ هو القطب وعليه المدار ، فاصرف عنايتك أيها الانسان إليه .

واعلم أن أمر القلب دقيق عسير ، اذ هو مبني على الخواطر ، وهي ليست بحكم أحد ، ولا يقدر عليها أحد ، ولذلك صار اصلاح القلب عسيرا البصائر والاجتهاد والاهتمام .

فأمر القلب اكبر وأكبر مما يصفه الواصفون ، فحسبك في القلب ما ذكرت لك فيه كفاية وبلاغة وما يتذكر إلا أولي الألباب .

الباب الثالث
في آفـة النظـر

قال الله تعالى : ﴿**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن**﴾ [1] .

فالنظر بالعيون زنا العيون وهو القادح في القلب جمرة الحب فمن غض طرفه أراح قلبه . وقال رسول الله ﷺ : «من لم يغمض بصره عن المحارم كحل بصره يوم القيامة بميل من نار جهنم» .

وقال ﷺ : «النظر الى محاسن المرأة سهم مسموم من سهام ابليس» فمن غض بصره أذاقه الله تعالى عبادة يجد حلاوتها في قلبه . وقال ﷺ لِعَليّ : «إياك ان تتبع النظر فإن الأولى لك والثانية عليك» واعلم أن اللحظ بازٌ إن أطلقته من قيد الجفن صاد قلبك بمخالف الشغف والقاه على قاذورات العشق فيقع في شرك الهلاك فيتعسر خلاصه منها .

وأعلم أيضا ان النظر بمنزلة النَّهْشَة في بعض الجسد يسري سمها في جميعه ، والنظر نصل يصل سهمه الغرض ثم يرجع الى صدر راميه فيقتله نصله .

---

١ ـ الأيتان ٣٠ ، ٣١ من سورة النور

فكم من نظرة كانت مقبرة فلا تجرد سيف لحظك عن جفنه في جلبة الشهوة فإن جراحه في هذه الحالة لا يتعداك .

والنظر أيضا معول الشيطان يحفر به راسخات جبال الأديان وينقب به أسوار حصون القلوب فيشغلهم بالفكر والألم عن علام الغيوب ، والنظر أيضا نبال نصالها وبال الا نظرة اورثت فكرة أو نظرة اثارت عبرة ، والناظر بمنزلة الزند ، والنظر بمنزلة الحجر ، والمنظور اليه بمنزلة القادح والميل الى النظر بمنزلة الشرر ، والقلب بمنزلة الحراق والفكر بمنزلة الكبريت ، والذكر بمنزلة الفتيل ، والشغف بمنزلة الحطب ، والهوى بمنزلة النافخ ، والجسد بمنزلة الملقي في النار ، فمتى اتصلت هذه الأشياء بعضها ببعض أذابت الجسد ، واحرقت الكبد ، وأورثت الكمد ، واعـدمت الحس وأماتت النفس ، واتلفت الخاطر ، واعمت القلب والناظر فلا يرى صاحب هذا المقام أحدا من الأنام ، الا الذي أورثه الذهول والسقام فغض الطرف عن النظر فالطرف جواد إن أطلقت عنانه مرح بك في ميدان الشهوات .

صن شفاف جوهر نظرك عن اكدار النظر لئلا يستولى عليه صدأ الفتنة ، ويذهب رونقه حزب الاستحسان ، فرب نظرة اورثت حسرة ، ورب لمحة اورثت لفحة .

فالنظر داء سهل قبل ان يستحكم وهو غض الطرف ، فإذا استحكم عسر دواؤه إلا من رحم الله فامتثل أيها الانسان ما أمرك الله به ، ولا تخالف أمره فيما أمرك به ، فإن خالفته وعصيت أمره ، ولم تغض بصرك ، وأرخيت عنانه بالنظر الى ما لا يعنيك ، فقد وقعت في امر كبير وبحر عظيم ، وذلك لا يخلو من أحد امرين ، إما ان تقع عينك على حرام او تقع على مباح ، فإن وقعت على حرام وتعدت فذنب كبير وربما يتعلق قلبك بذلك فتهلك ، إلا ان يرحم الله تعالى كما ذكر ان العبد لينظر النظرة ينتغل بها قلبه كما ينتغل

الجلد في الدباغ فلا ينتفع به ابدا .

وان وقعت عينك على مباح فربما يشتغل قلبك به فجاءك الوسواس والخواطر بسببها .

ولعلك لا تصل إليه فتبقى مشغول القلب منقطعا عن الخير .

فإذا لم تنظر الى شيء من ذلك كان بصرك محبوسا عندك وكنت سالما للنفس عن الآفات .

واعلم ان من امتنع عن النظر الى ما لا يعنيه ، وجد للعبادة لذة وحلاوة ، ووجد للقلب صفوة .

فإذا اكثر النظر الى ما لا يعنيه لم يجد للعبادة لذة ولا صفوة ولا حلاوة ودخله الوسواس .

فينبغي للانسان ان يغض بصره عن المحارم وعما حجب عنه وستر كما ذكر عن أبي الدرداء أنه قال : من غض بصره عن النظر إلى ما حرم الله عليه زوجه الله من الحور العين حيث أحب ومن اطلع فوق بيوت الناس فيما حجب عنه وستر ، حشره الله يوم القيامة أعمى .

وذكر عن داود الطائي انه قال لرجل قد حد النظر الى من ينظر اليه يا هذا ردَّ نظرك إليك فإنه بلغني ان الانسان يسأل عن فضول نظره كما يسأل عن فضول ماله وكلامه وعمله .

ويقال : النظرة الأولى لك ما لم تتعمد ، والنظرة الثانية فما فوقها ليست لك ، وكل ما استمد به الانسان النظر بمعقول الفهم فهو مأخوذ به ومسئول عنه .

وذكر عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ

يقول : «النظر سهم مسموم من سهام ابليس» فمن غض بصره من خوف الله تعالى والتماس ثوابه أعطاه الله إيمانا يجد حلاوته في قلبه .

وذكر عن الفضيل أنه قال : يقول ابليس لعنه الله : النظرة الى المرأة سهمي وقوسي اللّذين لا أخطىء بهما .

وذكر في الخبر : ان الله عز وجل أوحى الى داود عليه السلام (يا داود ، مر بني اسرائيل ألّا يكثروا الالتفات الى حرم المسلمين ولا يفشون الزنا فأسلط على حريمهم من يزني بهن ، يا داود ، من زنى بالبنات زني منه بالبنات ، ومن زنى بالأخوات زني منه بالاخوات ، ومن زنى بالزوجات زني منه بالزوجات ، ومن زنى بالامهات زني منه بالامهات ، ومن كاد او نظر أو التفت فعل منه بحرمته مثل ذلك ، ومن لم تكن له حرمة استوفى منه بالنكال والعذاب في دار الخزي والهوان) .

وذكر عن الحسن أنه قال : لا تخلون بامرأة إلا وأنت تملك فرجها فإن ثالثكما الشيطان .

والنساء أصل كل بلية وفتنة كانت على وجه الأرض وتكون الى يوم القيامة ، والسلامة منهن هي السلامة العظمى الجامعة لكل خير .

وأصل ذلك كله النظر . وقيل : ما حفظ احد بصره الا حفظ قلبه .

شعر :

وانت إذا أرسلت طرفك زائدا ... لقلبك يوما أتعبتك المناظر

رأيت الذي لا كله أنت قادر ... عليه ولا عن بعضه أنت صابر

الباب الرابع
في آفة السمع

اعلم وفقك الله أن سماع ما لا يحل سماعه ضار بالدين ومهدم للحسنات ، فلا يستعمله في سماع الملاهي والبهتان والكذب والغيبة ، فسماع ذلك لا يحصل منه خير ، بل تجتني من ثمرات غرس سماعك في الآخرة هوانا وذلا ، فإن المستمع شريك القائل فيما يقوله من خير وشر فصن سمعك عما لا ينفعه سماعه ، فإن كل ما لا ينفع يذل ويهين وإياك والاصغاء الى ما لا يعني فتبع جواهر عمرك بفساد امرك ففضول الكلام مفسدة للدين ، مضيعة للدنيا متلفة للعمر ، مورثة للتباغض .

وفضول السمع كفضول الغذاء ، لا يتولد منه إلا داء وضعف قوة .

والانصات لأشرار الاغيار كالتعرض لملاقاة الأسود في القفار .

والسماع وعاء إذا أوعيت فيه خيرا وجدته ، أو شرا اصبته ، فانظر ماذا أوعيت ، والسمع زجاجة ، وفضول الكلام أحجار صائبة فمتى حميتها من الحجارة نفعت ، ومتى أصابتها الحجارة انصدعت .

والسمع غرض ، وفضول الكلام نبال ، والمنصت لها كالمستهدف لرشق السهام .

وحصول الكلام في السمع كإصابة السهم للغرض يمزق قرطاسه وان اخرج جلاسه حركن بالحقائق عن سماع الغني في غنى فضول الكلام في الاستماع مثل شرب الخمر تشتهي وتفسد خلافا ، واصلح ما كانت فعلا أفسد ما كانت عقلا . وأحيِ ما كانت نفسا أقتل ما كانت حسا ، وبقدر تمتعك بلذتها تجني ثمار غائلتها ، وكن لسماع ما ينفعك أشغل لسمعك من سماع ما يضرك ، ولا تضيع عزيزا لست قادرا على رده في سماع ما غيره انفع منه .

ولا تضيع جواهر أوقات عزيزة في اكتساب رذائل كلمات حقيرة ، فحصول الكلمة الطيبة كفلق الصبح في الجو كلما دام في الأفق نوره .

وحصول الكلمة الخبيثة في السمع كالغسق في الجو كلما دام إدلهمّ ظلامه .

والتعرض لسماع الفضول كتعرض صفاء شفاف جوهر المرآة للهواء ، إن لم يكسه حربا أبدا غطى على رونقه الضياء ، فعليك بصيانة أذنك عن كل شيء من الفضول .

واعلم ان المستمع أشر من المتكلم ، إذ لأنك إذا سمعت القبيح والمنكر ورضيت بذلك كنت شريكا لقائله في الاثم .

وفضول السمع تبع للكلام والنظر ، فكل ما لا يحل لك الكلام به ، ولا النظر اليه ، فكذلك لا يحل لك استماعه ولا التلذذ به ، وإياك والبحث عما كتم عنك من سر فذلك تجسس وقد نهى الله عنه في كتابه فقال : ﴿ولا تجسسوا﴾ [1] وإياك وسماع اللهو والغناء والنوح وغيبة المؤمنين . وذلك كله حرام كالميتة والدم ولحم الخنزير ، وقد ذكر عن النبي ﷺ أنه قال : «من استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنيه الآنك» [2] ومن استمع

---

١ ـ الآية ١٢ من سورة الحجرات
٢ ـ الزيت المغلي

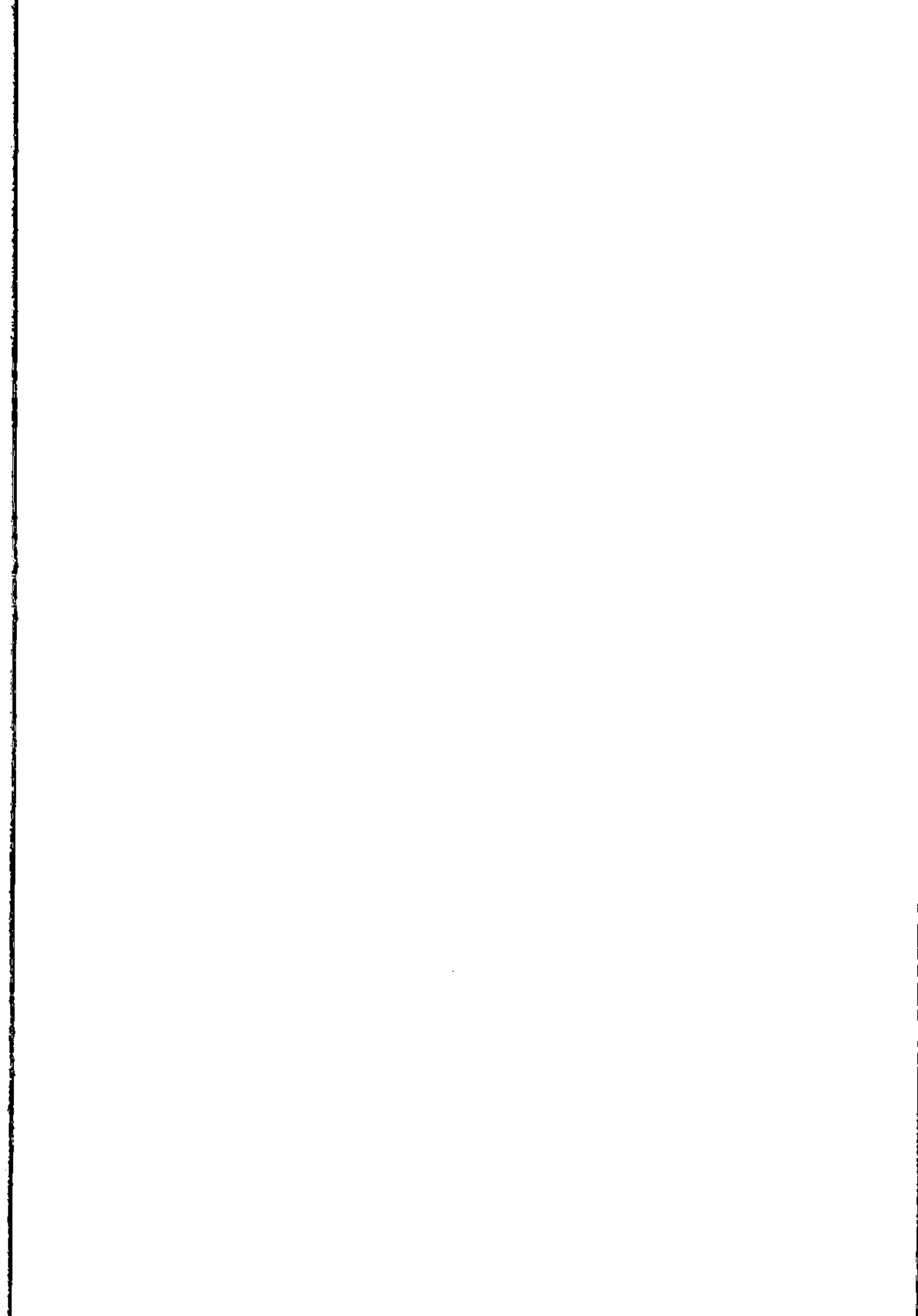
إلى ما لا يباح له من القول فقد أخذ بحظه من السرقة وهو لا يشعر .

وسئل القاسم بن محمد عن سماع الغناء فقال للسائل : إذا ميز الله تعالى يوم القيامة بين الحق والباطل فأين يكون الغناء مع الحق أو مع الباطل ؟ فقال له السائل مع الباطل .

فقال له : لا يحل لك استماعه وهو حرام .

وذكر عن عبدالله بن عمر أنه قال : نهينا عن الغيبة وعن الاستماع لها .

وذكر عن ابن مسعود أنه قال : سماع الغناء ينبت في القلب النفاق . وليس على الانسان شيء بعد لسانه أشر عليه من سماعه لأنه اسرع رسول الى القلب ، وابلغ وقوعا في الفتنة ، فكفى بهذا بيانا لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد .



الباب الخامس

في تهذيب النفس ورعايتها وتوبيخها

أما بعد . فابدأ بإصلاح قلبك فإنه اذا صلح القلب صلح به الجسد واذا فسد القلب فسد به الجسد ، واذا فسد الجسد فسد العمل . فليكن من همتك تفقد نفسك ورعايتها في جميع امورك .

واحذر الشياطين على دينك ووساوسهم وشرهم وشر الجن والانس اجمعين ، وعليك بالمواظبة على طاعة الله تعالى ، والزم لسانك الصمت ولا تتكلم إلا بالحق ، واتق الكذب واليمين والمزاح والضحك وكلام اللهو والأباطيل والفضول والغضب والجدال والمراء واللجاجة والمنازعة والخصومة ونقض العهد وخلف الميعاد والتهمة ومدح الناس والثناء عليهم والغيبة وشهادة الزور ، وقذف المحصنات ، وشتم المؤمنين وأذاهم والاستهزاء بخلق الله ، وكلام الفحش ، وتشديق الكلام وكثرة الطيرة ، والغناء والحسد وسوء الظن والحرص والكسل والرياء والمكر والخديعة والنفاق والعجب وكثرة الأكل وكثرة النعاس والكبر والاستطالة والتعظيم والفظاظة وسوء النية والعلو وحب الزينة ، واتباع الشهوات التي لا تحل ، والاستطالة على الناس ، والحقرة [1] لهم وتضييع طلب المعيشة ، والاعجاب بالرأي ، ومتابعة الهوى ، وقلة الصبر

---

١ ـ يقصد الاحتقار لهم

والجزع عند الشدائد ونزول النوائب ، والغضب على الناس بغير حق ، والحمية والافراط في حب أو بغض ، والتزيين للناس والمباهاة ، وحب السمعة ، والضجر في البلاء ، والبخل والأشر ، والاستماع الى الباطل والى ما لا يجوز ، ومجالسة السفهاء ، ونسيان الآخرة ، والمشي في غير حاجة وصحبة الفاسق والسفيه ، وتسويف العمل الصالح ، والنظر في غير حق وفيما لا يجوز ومجالسة الأغنياء والتواضع لهم ، والغفلة والجهل والشك ومخادعة النفس ، وحب المركب والملبس ، وجمع المال ، والوقوع في الحرام ، والاصرار على المعاصي ، والتزكية والبحث عن عيوب الناس ، وافشاء السر ، ومعاداة الناس ، والجرأة على الله والتملق للناس لطلب ما عندهم .

وإياك وشرب الخمر ، وأكل الحرام ، والزنا ، والمقام على الذنب، والعمل بالخطأ ، والسرور والاستبشار بما تؤتى من الدنيا ، واجتنب الفجور والاثم والغش والسخط وطلب الشرف في الدنيا وحب الباطل ، ومنع حقوق الله فاتق هذه كلها ، وارغب ان يصرفها عنك ، فإن سلمت منها فاحدث لله شكرا ، واجتهد في طلب رضى الله تعالى ، وجاهد نفسك ، وواظب على فعل الطاعات حتى يأتي أجلك ، ولا تكن مرة هكذا ومرة هكذا ، واعمل لله تعالى بكل ما أمرك واتق معاصيه تصلح لك الدنيا والآخرة ، وارح نفسك من هموم الدنيا وأشغالها واجعل همك كله في طاعة الله ، ووطن نفسك على الصبر في كل شيء تكرهه منها ، واكثر الشكر لله فيما أنعم عليك ، وارض بقضاء الله ودافع يوما بيوم حتى يأتي أجلك ، ودع عنك هم الدنيا وهم الناس ورضاهم وسخطهم وذكرهم وذكر ما لا تنتفع به عند نزول الموت ، واذكر ذنوبك ، وتفكر في عيوبك ، واشتغل باصلاحك قبل ان يحال بينك وبين ذلك ثم لا تنفعك الندامة ولا لك كرة ولا رجعة الى الدنيا ، وعليك بالطاعة لله في الشدة والرخاء ، وان ابتليت فلا يحملنك البلاء على ترك الطاعة ، فإن ذلك كفر وتمسك بالقرآن واعمل بما فيه ، وعلمه أولادك ، واعتبر ما بقي من الدنيا بما مضى منها ولا تكتم شهادة عندك وبما قدرت على نفقة من مالك فقدمه

لنفسك واجعل ذلك لله ، واعف عمن ظلمك ، واعط من منعك ، وصل من قطعك ، واكثر تلاوة القرآن واعمل بما فيه ، وارحم المساكين ، وابن السبيل ، ووطن نفسك على الصبر وصل القرابة واعطف عليهم واحفظ فيهم وصية الله .

ولا تحدث الناس بكل شيء سمعته من أحاديث الدنيا وادفع السيئة بالتي هي أحسن ، واكظم الغيظ ، واحلم عند الغضب ، وتجاوز عند المقدرة .

ولتحسن خلقك في كل أمر هو لله ، وألن للسائل كلامك وواسهم من معروفك ، واذا أنعم الله عليك فأشكر الله ، واجبهم الى ما ملكت يمينك ، وألن لهم الكلام ، واشبع بطونهم ، واكس جلودهم ، ولا تكلفهم ما لا يطيقون من للعمل ، وعلمهم وأدبهم فإنك مسئول عنهم واعلم ان الدنيا دار بلاء ومصائب وفجائع فوطن نفسك على الصبر عند كل بلاء ومصيبة ، واسترجع في ذلك وعند فجأة المصيبة واحذر فيه لعله فتنة الشيطان ، وتزود من الدنيا بما ينفعك يوم الحسرة والفاقة والحاجة .

وجالس الفقهاء والعلماء ، واحذر مجالسة السفهاء وأهل الغفلة وامر بالمعروف وانه عن المنكر ، وقل إذا قلت خيرا أو اصمت ، واجعل قلبك سليما لأخوانك ، وإياك والزيارات إلا ما كان في طاعة الله تعالى ، واغضض بصرك إذا خرجت من بيتك ، وانظر الى من فضلت عليه واحمد ربك ، ولا تنظر إلى من هو فوقك فيما أوتي من الدنيا .

ولا تتثاءب في الصلاة ، ولا تقرأ القرآن بغير وضوء ولا تنم بين المغرب والعشاء الآخرة ، وطهر قلبك ولسانك بذكر الله وقل إذا خرجت من بيتك : بسم الله واذكر الله ـ تعالى ـ وإذا دخلت بيتك فسلم على أهلك ، ولا تجادلن عن خائن ولا مريب ولا ظالم ، ولا تعينن أحدا منهم بظلم وبما رزقك الله من ولد فارض به ، وأكثر الدعاء بالخير له وأحسن أدبه ، وعلمه الخير ، وسمه

بأحسن اسم ، وعلمه القرآن وإذا بلغ فزوجه ، وامر أهلك وولدك بطاعة الله ـ تعالى ـ .

وإياك ومسألة الناس وطلب الحاجات إليهم فإن ذلك فقر وذلة ، واحفظ ما استطعت من وداعة وعارية حتى تردها إلى أهلها ، واحذر الشهوات ، واحذر النساء وطاعتهن ، ولا تضع سرك عندهن ، واحبس امرأتك في بيتك وامنعها من الخروج إلا ما لا بد لها منه ، وامنع دخول العجائز عليها وجيران السوء ولا من لا تثق به ولا تأذن لها بالقعود عند غير ذي محرم منها ، وامرها بخفض الصوت ، ولا تجرئها على نفسك ، ولا تعمل بهواها واعلم أن المرأة إذا خرجت تشوق الشيطان لها وربما تعرضت لها الفتنة .

ولا تغتر بصحة شبابك ، وإياك والسعي بين الناس بالفساد ، ولا تشبع بطنك ، واذكر الله في الخلوة ، واندم على الذنب .

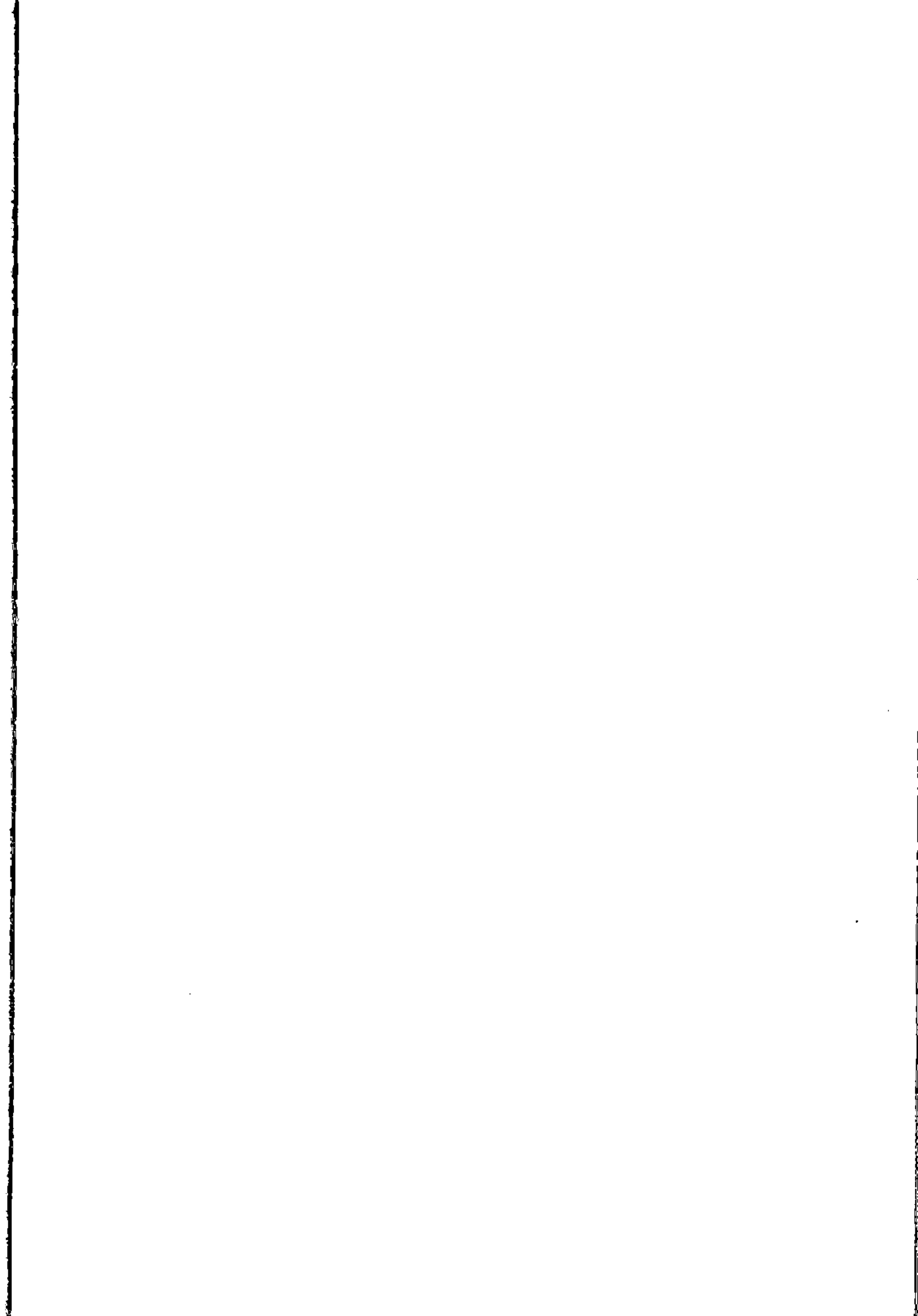
واعلم أن طاعة الله واجبة عليك في العسر واليسر والسر والعلانية ، واحذر أن يبطل عملك بمعصية الله واستغفر لذنبك ، وتعوّذ من الشيطان الرجيم ، وأحسن إلى ما كان عندك من البهائم ولا تجوعها ولا تعطشها ولا تحمل عليها ما لا تطيق .

واحذر الدّيْن وأموال الناس ، وانصف من نفسك واعدل بجهدك ولا تخن من هو فوقك ولا تظلم من هو تحتك .

وعجل التوبة من الذنوب ، واحمد الله ـ تعالى ـ على كل حال فيما تحب أو تكره .

واحذر عثرات لسانك ، ولا تكن ذا وجهين ولا لسانين وإياك أن ترضي الناس وتسخط ربك ، واوف الكيل والميزان واحفظ غيبة صاحبك وجارك ، وإذا وليت مال اليتيم فاحفظه ولا تضربن مملوكا إلا بحق ، واعمل

في دار العمل قبل انقطاعها واعمل لدار الجزاء قبل أن تصير إليها ، فإن الدنيا دار العمل والآخرة دار الجزاء ، وأنت كما تزرع تحصد ، وكما تعمل تجازى .



الباب السادس

في ذكر محاسبة النفس وذكر عيوبها

روى شداد بن أوس عن النبي [1] ﷺ أنه قال : «الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله» دان نفسه أي حاسب نفسه .

ويوم الدين : هو يوم الحساب ، قال - تعالى - : ﴿إنا لمدينون﴾ [2] أي إنا لمحاسبون .

وسئل بعضهم عن قوله - تعالى - : ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه﴾ [3] فقال : معناه ؛ ذلك لمن راقب ربه - تعالى - حاسب نفسه وتزود لمعاده .

وقال عمر - رضي الله عنه - : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوها قبل أن توزنوا ، وتهيأوا للعرض الأكبر ، وان المؤمنين قوم أوثقهم الله بالقرآن فحال بينهم وبين شهواتهم - أو قال بين هلكتهم - وان المؤمن أسير في الدنيا يسعى في فكاك رقبته ولا يأمن شيئا حتى يلقى الله يعلم أنه مأخوذ عليه في سمعه وبصره وجوارحه .

---

١ - رواه الترمذي وقال حديث حسن

٢ - الآية ٥٣ من سورة الصافات

٣ - الآية ٨ من سورة البينة

وقيل : من لم ينظر في العقاب لم يفرق ، ومن لم يتفكر في الثواب لم يصدق ومن لم يذكر الموت لم يتزود ، ومن لم يذكر الحساب لم يشتغل ، ومن لم يخف قبيح فعله لم يخف تبعته ، ومن لم يخف لم يتق الله ربه .

وقال حكيم : إذا أردت أن يكون العقل غالبا للهوى فلا تعجل بقضاء الشهوة حتى تنظر العاقبة فإن مكث الندامة في القلب أكثر من مكث خفي الشهوة .

وقال لقمان : المؤمن من إذا أبصر العاقبة أمن الندامة .

وقال ﷺ : «ثلاث من كن فيه استكمل الايمان ؛ أن لا يخاف في الله لومة لائم ، ولا يرائي بشيء من عمله ، وإذا عرض له أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة آثر الآخرة على الدنيا»[1] .

وروى عبادة بن الصامت أن النبي ﷺ قال لرجل كان يسأله أن يوصيه ويعظه : «إذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فإن كان رشدا فامضه وإن كان غيا فانته عنه» .

وروي في بعض الكتب أن الله ـ تعالى ـ قال للملائكة : (أنتم موكلون بالظواهر وأنا رقيب على البواطن) .

وقال سهل : لم يتزين القلب بشيء أفضل من علم العبد بأن الله ـ تعالى ـ شاهده حيث كان .

وقال ـ عليه السلام ـ : «إن الله يحب البصير النافذ عند ورود الشبهات ، والعاقل الكامل عند هجوم الشهوات فمن لم يتوقف عند الاشتباه فإنه يكون متبعا لهواه معجبا برأيه ، وكان ممن وصفه رسول الله ﷺ قال : «إذا

---

١ ـ رواه الترمذي

رأيت شحا مطاعا وهو متبع واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك» .

فكل من خاض في شبهة بغير تحقيق فقد خالف قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ولا تقفُ ما ليس لك به علم﴾ [1] .

وقال الحسن : المؤمن قوام على نفسه يحاسبها الله ـ تعالى ـ ، وإنما خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا ، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة .

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : «رحم الله أقواما يحسبهم الناس مرضى وما هم بمرضى» .

وقال الحسن : أجهدتهم العبادة .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿والذين يؤتون ما ءاتوا وقلوبهم وجلة﴾ [2] قال الحسرة ، يعملون ما عملوا من أعمال البر ، ويخافون أن لا ينجيهم ذلك من عذاب الله ـ تعالى ـ .

أوحى الله إلى عيسى ـ عليه السلام ـ : (يا ابن مريم ؛ عظ نفسك فإذا اتعظت فعظ الناس وإلا فاستح مني) .

أبو ذر عنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ : «لا يكون المرء ظاعنا إلا في ثلاث ؛ تزود لمعاد ، أو مرمة لمعاش ، أو لذة في غير محرم» .

وما روي في معناه : على العاقل أن يكون له أربع ساعات ؛ ساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يتفكر في صنع الله

---

١ ـ الآية ٣٦ من سورة الاسراء
٢ ـ الآية ٦٠ من سورة «المؤمنون»

ـ تعالى ـ ، وساعة للمطعم والمشرب .

وقيل : من أجاب النفس ذهب منه الورع ، ومن أجاب الهوى ذهب منه العقل ، ومن أجاب الدنيا ذهبت عنه الآخرة ، قوله ـ تعالى ـ : **﴿فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المـأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المـأوى﴾**[1] قوله طغى أي تكبر وعتا وآثر الحياة الدنيا يعني اختيار نعيم الدنيا على نعيم الآخرة **﴿فإن الجحيم هي المـأوى﴾** فإن النار مأوى من كان هكذا . **﴿وأما من خاف مقام ربه﴾** يعني عند المعصية خاف مقامه بين يدي الله وسؤاله وحسابه ، **﴿ونهى النفس عن الهوى﴾** منع النفس عن معاصي الله خوفا من عقاب الله **﴿فإن الجنة هي المـأوى﴾** مأوى من كانت صفته هكذا .

فحكم الله للخائف بالجنان في العقبى والأمان في الدنيا .

وقيل : إن العيب على المرء أن لا يلزم داره . ، وهو إذا لزم داره تمكن من فكره في خلواته فحاسب نفسه وتدبر أمسه ، وخاف من الله عقوبته ، وأسال من خشية الله دمعته ، وبكى آناء الليل وأطراف النهار على خطيئته .

قال الضحاك : قال رجل : يا رسول الله ؛ من أزهد الناس ؟ قال : «من لم ينس المقابر والبلى ، وترك فضل زينة الدنيا ، وآثر ما يبقى على ما يفنى ، ولم يعد غدا من أيامه ، وعد نفسه من أهل القبور» .

وقال أبو بكر الوراق : من نسي الموت أسرته الدنيا ، ومن نسي الحسنات أسرته الشهوات ، ومن نسي عيوب نفسه أسره ذكر عيوب الناس .

وعيوب النفس تمني المغفرة من غير أن يتوب من الذنوب والفترة[2] في

---

١ ـ الآيات ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ من سورة النازعات

٢ ـ يريد الاهمال وعدم الاهتمام

القيام بالحقوق ، وأكبر منه عيبا من لا يهتم بتقصيره وفترته ثم أكبر منه عيبا من يظن أنه متوقر لفضيلة والفضل مع فترته وتقصيره .

ومن عيوبها أنها تطيع ولا تجد للطاعة لذة ، وذلك لثبوت ـ لعله ـ لشوب ـ الطاعة برياء وقلة اخلاص أو ترك سنة . ومنها أنها تألف الخواطر الردية فتتولد منها المخالفات والغفلة والتواني والاصرار والتسويف وتقريب الأمل وتبعيد الأجل ، والاشتغال بما لا يعنيها من اللهو واللعب وذكر كلمات وحكايات وأحوال لا طائل تحتها ، ومداواتها أن تتيقن في ذلك تضييع العمر الذي هو أنفس الأعلاق وهو رأس مال المؤمن في تجارة الآخرة ، ومن خسر رأس ماله فأنى له الربح .

ويجب أن يتأمل قوله ـ عليه السلام ـ : «من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[1] .

وفي بعض الآثار : من اشتغل بما لا يعنيه فاته ما يعنيه .

وقال بعض السلف : عليك نفسك إن لم تشغلها شغلتك .

ومن عيوبها الغضب في غير موضعه والكذب والنميمة وقبولهما من غير بينة والبخل والشح وطول الأمل والاغترار بالمدائح الباطلة الكاذبة والحرص والحسد وترك الكسب الحلال تكلفا في اظهار التوكل ثم طمعا فيما عند الناس .

ومنها استعظام ما يعطى والمن والأذى واظهار الفقر مع الكفاف والكفالة ـ لعله والكفاية ـ ، والأخذ بالرخص ، وترك الغرائم ، وتعظيم الأغنياء ، وتحقير الفقراء ، والكسل وهو ميراث الشبع ، وإن النفس إذا شبعت قويت

---

١ ـ رواه الترمذي عن أبي هريرة

وجاعت إلى الشهوات .

ومداواتها التجويع فإنها إذا جاعت ضعفت عن اتباع الشهوات ولذلك قال رسول الله ﷺ : «ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه» .

ومنها طلب الرياسة بالعلم والتكبر والافتخار على أبناء جنسه وفي الحديث : «من طلب العلم ليباهي به العلماء وليماري به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس إليه دخل النار» .

ومداواتها تصحيح النية في أن يحصل العلم لاصلاح الدين وحفظه وتقويته لابتغاء وجه الله ـ تعالى ـ ، وأن يرى منة الله عليه في أن خلقه أهلا للعلم والحكمة ، ووفقه للطلب والتحصيل وذلك من فضل الله ورحمته ، قال الله ـ تعالى ـ : **﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا﴾** [1] .

وقال ـ تعالى ـ : **﴿وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما﴾** [2] ومنها الاشتغال بتزين الظاهر ، والتخشع من غير خشوع ، والتعبد من غير حضور القلب ، وأن يظهر من تواضعه ما يسقط صيانته ويبدي بظهر خفته ، أو يظهر من صيانة وقاره ما يمسك عليه كبره .

ومنها أن يطمع من الجاهل في العلم ، ومن الأحمق في العقل ومن الفاجر في السر ، ومن الضعيف في القوة ، ومن الطائش في الوقار ، ومن كل انسان فوق قدره وطاقته وتحقيقه الظن ، وحكمه بالشك من غير يقين ، والاستهزاء واللجاجة والاستخفاف ولا سيما بالعلماء والأشراف والمشايخ والعباد والضعفاء وأصحاب السلطان .

ومنها تطاوله على من يفيده ويعلمه وارتفاعه بقلبه ولطفه بلسانه وظاهر

---

١ ـ الآية ٢١ من سورة النور

٢ ـ الآية ١٣ من سورة النساء

أفعاله ليغر به .

وإظهار الفرح بما يصيب فيما يحب أو بما يصنع إذا وقع محكما مستقيما لأنه يصير كأنه يمدح نفسه ، وأن ينبسط إلى من لم يعرفه ولم يجربه ، وأن يتكلم بجواهر العلم والحكمة والدقائق والحقائق عند من ليس لها بأهل ، واطلاع الناس على خفياته وأسراره وحكايته لهم عن نفسه بالمعاصي وسرعة الهرب واظهار الجزع عند أدنى مكروه يصيبه بقلة صبره ، وسرعته إلى ما يشتهيه ويستحليه من غير تأمل في العواقب ، وكثرة عناية الأهل والولد والاخوان والاستقصاء عليهم في زلاتهم ، والاعراض عن طلب العذر ، وأن يلبس من اللباس ويظهر من الزي فوق قدره ومنزلته واستحقاقه من الدون والمرتفع .

ومنها أن يتقدم بالسؤال والمصافحة والمعانقة على من فوقه ولا ينظر في ذلك وأن يظهر له مقدار ما ينزله الكبير من نفسه .

ومنها أن يشير على من لا يستشيره ، ويتأمر على من لا يؤامره ويتملك على من لم يستسلم له ، وأن يزين المنكر ممن يعجبه ، ويهجن المعروف ممن لا يعجبه .

ومنها أن يطلب الأمر من غير معدنه ، والحاجة من غير أهلها كطلب الفقه من غير فقيه ، والحكمة من غير حكيم ، وحفظ الأمانة والوفاء من خائن ، ومعرفة الحقوق من لئيم ، وافراطه في الحب والبغض والقرب والبعد واللطف والجفاء .

ومنها إذا رضيت عن انسان مدحته فوق الحد ، وإذا غضبت على انسان ذممته وتجاوزت عن المقدار .

ولعل المرضي عنه والمغضوب عليه لا يستحقان جميع ذلك ومداواتها رياضة النفس على الحق وتوطينها على الصدق وأن يتأمل قوله ـ تعالى ـ :

﴿اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ [1] .

ومنها الطمع ومداواتها أن يعلم أن طمعه يفوته حلاوة العبادة ويصيره عبدا للعبيد بعد أن خلقه الله حرا كما قال :

يا خادم النفس كم تشقى بخدمتها   لتطلب الربح مما فيه خسران
احرص على النفس تستكمل فضائلها   فأنت بالنفس لا بالجسم انسان

وعن رسول الله ﷺ أنه قال : «اللهم اني أعوذ بك من طمع يهدي إلى طمع ، ومن طمع في غير مطمع ، ومن طمع حيث لا طمع الطبع أنكى ذل» .

وفي الحديث عن بعض السلف : الطمع الفقر الحاضر ، والغنيّ الطامع فقير ، والفقير المتعفف غنيّ .

والطمع من أسباب المذلة ، شعرا :

لا خير في طمع يهدي إلى طبع   وعفة من قوام العيش تكفين

ومنها أن يقوم يخوض قوم في أمر بغيهم ومعهم من لا يعنيه ذلك فيخوض معهم غير ناظر في النفع والدفع ولا ناوٍ فيه خيرا وأن يسأل شيئا من غير حاجة ، وذكر مناقبه ومصالحه وخصاله الحسنة ، وأن يجيب بأكثر من حاجة السائل وأن يظهر من بره وكرامته للخاصة فوق الأحسن وللعامة فوق الوحشة ، وللعدو فوق ما يدفع به شره .

ومنها سؤاله عالما عن مسألة عويصة يحفظها هو ولا يحفظها العالم يريد أن يحير العالم حتى يخجله بها ويرى أنه أعلم منه وانبساطه إلى من يهاب منه كالسلطان والأمراء والأئمة والكبار ، وخضوعه عند الحاجة ، وشموخه عند

---

١ - الآية ١١٩ من سورة التوبة

الغنى ، واتكاله على العلم دون العمل ، وعلى القول دون الفعل ، وعلى الظاهر دون الباطن ،وعلى الرواية دون الرعاية ، وأن يكون قوله أكثر من فعله ، واظهاره أكثر من اضماره ، وذكره أكثر من اختياره ، ومؤ ونته أكثر من معونته ، وتملقه أكثر من محبته ، وعدته أكثر من عطيته ، وأطماعه أكثر من مواساته ، ودعواه أكبر من منزلته ومن ذلك قطعه الكلام على العالم الحكيم المتكلم وطمأنينته وسكوته وفرحه بحسن حاله .

ولا يتأمل تغير الحال عليه ، ولا ينظر في عاقبة أمره ولا يسأل الله العفو والعافية ، وان رأى سوء حال يضجر ولا يشكر أحواله السالفة التي كان فيها في نعمة ورخاء ورغد ومن ذلك استثقاله مجالسة من يخبره بعيوبه وينصحه واعراضه عنه وهربه منه ، واستحسانه مجالسة من يمدحه ويتواضع له واقباله عليه كأنه يكره الارشاد ويحب التلبيس والمداهنة ، ولا ينظر في عاقبة كل واحد منها ، ومن ذلك تسارعه إلى الرئاسة دون احكام أمر نفسه واحتناك سنه ، ولا يتفقد الأخطاء والآفات ، ومن ذلك أن يكون عند ذكر الله وقراءة القرآن ومذاكرة العلم والحكمة والثواب والعقاب في غفلة وتهاون وانبساط وضحك وعدم خشوع وهيبة ووجل .

ومن ذلك أن يكون مشغولا بفضائل غيره فارغا من فرائضه تاركا فهو في ذلك يقدم أمر المخلوق ، ويؤخر أمر الخالق ، ومن ذلك إذا بلغه نمام عن طاعن فيه وغائب إياه نميمة أو بهتانا تسارعه في شتمه وإرسال لسانه في عرضه وإظهار الحدة والخفة من نفسه .

وترك حلمه ووقاره وتأمله وترك التثبيت فيه . قال الله ـ تعالى ـ : ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾ [1] وفي قراءة (فتثبتوا) .

---

١ ـ الآية ٦ من سورة الحجرات

فهذه وأشباهها جملة من العيوب يجب على المؤمن أن يتحرز منها وإن كانت فيه وأن يتطهر منها والله الموفق للصواب .

الباب السابع

في حب الدنيا وبيان ذم الغرور بها

اعلم أن رأس هذه الخبائث كلها وجلها ومعظمها وأصلها حب الدنيا ، فحبها يوجب الحرص على الجمع والطمع ، وقلة القناعة وطول الأمل ، وتعطيل الفرائض ، والغفلة عن ذكر الله ـ تعالى ـ والأمن من الحوادث ، وتسويف التوبة ، وبغض الآخرة وكراهية الموت ولقاء الله ـ تعالى ـ ، ومن حبها تتشعب جميع المهلكات وذلك يوجب الرين على القلب والبعد من الله كما قال الله ـ تعالى ـ : **﴿فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا﴾** [1] .

فمن أعرض الله عنه كيف ترجو له فلاحا ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ، وقد حذرك الله ـ تعالى ـ ذلك بالكتاب والسنة وأغلظ الله ـ سبحانه ـ القول في حب الدنيا ونسب حبها إلى الكفار ، وجعل ذلك سببا يستحقون به العذاب مع كفرهم وقال ـ عز وجل ـ : **﴿ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون﴾** [2] .

---

١ ـ الآية ٢٩ من سورة النجم

٢ - الآيات ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ من سورة النحل

وقال ـ تعالى ـ : ﴿أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون﴾[1] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون﴾[2] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب﴾[3] .

وقال ـ عز وجل ـ : ﴿من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا كلًّا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا﴾[4] .

وقال ـ عز من قائل ـ : ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾[5] .

فقد أمركم ـ جل وعلا ـ برفض الدنيا وترك الحرص عليها والقناعة منها بما خف وأخذ ما طف مما لا بد منه والمسابقة إلى دار نعيمها لا يبلى وملكها لا يفنى فبادروا رحمكم الله .

---

١ ـ الآية ٨٦ من سورة البقرة
٢ ـ الآية ١٥ من سورة هود
٣ ـ الآية ٢٠ من سورة الشورى
٤ ـ الآيات ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ من سورة الاسراء
٥ ـ الآيتان ٢٠ ، ٢١ من سورة الحديد

وقال ـ سبحانه ـ : ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ [1] والغرور هو الشيطان .

وقال الله ـ عز وجل ـ : ﴿فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾ [2] والآي في ذلك كثير .

وقال رسول الله ﷺ : «حب الدنيا رأس كل خطيئة» .

وقال ﷺ : «ما من شيء أبغض إلى الله ـ تعالى ـ بعد الشرك بالله من حب الدنيا» .

وقال ﷺ يوما لأصحابه : «والله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تسلط عليكم الدنيا فتتنافسوا فيها كما تنافس من قبلكم فتهلككم كما أهلكتهم» .

وقال ﷺ : «من أصبح حزينا على الدنيا أصبح ساخطا على الرب عز وجل» .

وقال ﷺ : «من أصبح والدنيا أكثر همه فليس من الله في شيء وألزم الله ـ تعالى ـ قلبه أربع خصال ؛ هما لا ينقطع أبدا ، وشغلا لا يتفرغ منه أبدا ، وفقرا لا يبلغ غناه أبدا ، وأملا لا يبلغ منتهاه أبدا» .

وقال ﷺ : «من أصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه أمره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة» .

---

١ ـ الآية ٣٣ من سورة لقمان

٢ ـ الآيات ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ من سورة النازعات

وقال ﷺ : «ليجيئن أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم إلى النار» . قالوا : يا رسول الله ؛ أيصلون هم ؟ قال : «نعم يصلون ويصومون ويأخذون هنيئة من الليل فإذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه» .

وقال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ : «يا أبا هريرة ؛ ألا أريك الدنيا جميعا ؟» قلت : نعم يا رسول الله . فأخذ بيدي إلى مزبلة فيها رؤوس أناس وغدرات وخرق وعظام فقال : «يا أبا هريرة ؛ هذه الرؤوس كانت تحرص كحرصكم وتأمل كآمالكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم كأنك بها صارت رفاتا وهذه الغدرات ألوان أطعمتهم فأصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فأصبحت والرياح تصفقها ، وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك» .

وقال ﷺ : «إنما الدنيا كظل شجرة استظل الرجل بها ثم زال عنها وتركها»[1] .

وقال ﷺ : «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» .

وقال ﷺ : «من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى» .

وقال ﷺ : «يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور» .

وقال ﷺ : «ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون إن بني اسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تباهوا في الحلية والنساء

---

١ ـ رواه الترمذي عن ابن مسعود وقال حسن صحيح

والطيب والثياب» .

وقال ﷺ : «لتأتينكم بعدي دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب» .

ومر موسى ـ عليه السلام ـ برجل وهو يبكي ورجع وهو يبكي فقال موسى : يا رب ؛ عبدك يبكي من مخافتك فقال : يا ابن عمران ؛ لو نزل دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى تسقطا لم أغفر له وهو يحب الدنيا .

وأوحى الله ـ تعالى ـ إلى موسى ـ عليه السلام ـ : (يا موسى ؛ لا تركن إلى حب الدنيا فلن تأتيني بكبيرة هي أشد عليك منها) .

وقال عيسى ـ عليه السلام ـ : لا يستقم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في إناء واحد .

وقال عيسى ـ عليه السلام ـ : ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها ، ويأمنها وتغره ، ويثق بها وتخدعه ، وويل للمغترين لمن الدنيا والخطايا عمله كيف يفتضح عند الله ـ تعالى ـ .

وقال ﷺ : «لا يعالج الدنيا إلا شقي ولا يتركها إلا تقي» .

وقال عيسى ـ عليه السلام ـ : من الذي يبني على موج البحر دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا .

وعنه ﷺ أنه قال : «حب الدنيا رأس كل خطيئة» .

وقال أيضا : «حب الدنيا من كبائر الذنوب» .

وأما من طلبها استعفافا عن المسألة وصيانة لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر .

وإذا كان طلبك للتفاخر والتكاثر وإقامة الجاه والمباهاة فهي الدنيا

المذمومة .

وإن كان طلبك لها من طريق المباح مما لا بد لك منه فيما فيه الفضل وصيانة الدين فهو من الدنيا المحمودة لا من الدنيا المذمومة .

والدنيا المذمومة التي أمرت بالرغبة عنها هو كل شيء دنا من هواك ، ووافق رضاك ، وخالف رضى الله وأمره فمتى ما آثرته على رضى الله وأمره ، وآثرت الحياة الدنيا على الآخرة ، فحينئذ تصير بذلك مذموما ، وتستوجب ما قال الله : ﴿فأما من طغى﴾ [1] (الآية) .

ويقال : الدنيا ثلاثة أشياء ؛ حلال وحرام وشبهة . فالحرام يوجب العذاب ، والشبهة توجب العتاب ، والحلال يوجب الحساب . كما قال ﷺ : «حلالها حساب وحرامها عقاب» .

ويروى أن عيسى ـ عليه السلام ـ اشتد به المطر والرعد والبرق فجعل يطلب شيئا يلجأ إليه فرفعت له خيمة من بعيد فأتاها فإذا فيها امرأة فحاد عنها ، فإذا هو بكهف في جبل فأتاه فإذا فيه أسد فوضع يده عليه وقال : إلهي ؛ جعلت لكل شيء مأوى ولم تجعل لي مأوى فأوحى الله إليه : مأواك في مستقر من رحمتي لأزوجنك يوم القيامة مائة حوراء خلقتها بيدي ، ولأطعمن في عرسك أربعة آلاف عام ـ يوم لعله ـ كل يوم منها كعمر الدنيا ولآمرن مناديا ينادي أين الزهاد في الدنيا ، زوروا عرس الزاهد عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ .

وقال عمار بن ياسر : مر عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ بقرية فإذا أهلها موتى في الأفنية والطرق فقال : يا معاشر الحواريين ؛ إن هؤلاء ماتوا عن سخطه ، ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا . فقالوا : يا روح الله وددنا أنا علمنا خبرهم . فسأل ربه ـ عز وجل ـ فأوحى الله ـ تعالى ـ إليه : إذا كان الليل

---

١ ـ الآية ٣٧ من سورة النازعات

نادهم يجيبوك . فلما كان الليل أشرف على نشز[1] ثم نادى : يا أهل القرية فأجابه مجيب : لبيك يا روح . فقال : ما حالكم وما قصتكم ؟ فقالوا : بتنا في العافية وأصبحنا في الهاوية . قال : وكيف ذلك ؟ فقالوا : بحبنا الدنيا وطاعتنا أهل المعاصي . قال : وكيف كان حبكم للدنيا ؟ قال : حب الصبي لأمه . إذا أقبلت فرحنا ، وإذا أدبرت حزنا . قال : فما بال أصحابك لم يجيبوني ؟ قال : لأنهم ملجمون بلجم من نار بأيدي ملائكة غلاظ شداد . قال : وكيف أجبتني من بينهم ؟ قال : لأني كنت فيهم ولم أكن منهم فلما نزل بهم العذاب أصابني معهم وأنا معلق على شفير جهنم لا أدري أنجو منها أم أكبكب فيها .

وقال المسيح للحواريين : أكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح ، والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة .

وفيما يروى أنه ـ عز وجل ـ أوحى إلى داود ـ عليه السلام ـ : يا داود ؛ حذِّر وأنذر أصحابك أكل الشهوات فإن القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها محجوبة .

وقال وهب بن منبه : لما بعث الله ـ عز وجل ـ موسى وهارون إلى فرعون قال : لا يروعنكما لباسه الذي لبس من الدنيا فإن ناصيته بيدي ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس إلا بإذني ، ولا يعجبكما ما مُتِّع به منها فإنما هي زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين فلو شئت أن أزينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها أن مقدرته تعجز عما أوتيتما لفعلت ولكن أرغب بكما عن ذلك فأزوي ذلك عنكما ولذلك أفعل بأوليائي إني لأذودهم عن نعيم الدنيا كما يذود الراعي غنمه عن مواقع الهلكة واني لأجنبنهم سكونها كما يجنب الراعي الشفيق إبله عن مبارك العرة وما ذلك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا نصيبهم

---

١ ـ النشز المكان المرتفع من الأرض

من كرامتي سالما موفرا إنما يتزين لي أوليائي بالذل والخشوع والخوف والتقوى تثبت في قلوبهم فتظهر على أجسادهم ، فهي ثيابهم التي يلبسون ، ودثارهم الذي يظهرون ، وضميرهم الذي يستشعرون ، ونجاتهم التي بها يعرفون ، فإذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك .

واعلم أنه من أخاف لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ثم ـ لعله ـ أنا الثائر لهم يوم القيامة .

قال الغزالي : وقد عرفت فيما سبق في بيان الدنيا ومن سيرة الأنبياء والأولياء أن حد الدنيا كل ما أظلته الخضراء ، وأقلته الغبراء إلا ما كان لله من ذلك .

وضد الدنيا الآخرة وهي : كل ما أريد به الله مما يؤخذ بقدر الضرورة من الدنيا لأجل قوة طاعة الله ، وذلك ليس من الدنيا .

وقال ﷺ : «أنزل الله ـ تبارك وتعالى ـ إليّ جبريل ـ عليه السلام ـ بأحسن ما كان يأتيني صورة فقال : إن السلام يقرئك السلام ويقول لك : إني أوحيت إلى الدنيا أن تمردي وتكبري وتنكري وتضيقي وتشددي على أوليائي حتى يحبوا لقائي ، وتسهلي وتوسعي وتطيبي لأعدائي حتى يكرهوا لقائي» .

وقال ﷺ : «إذا زهد العبد في الدنيا ورثه الله ـ تعالى ـ ثلاث خصال ؛ عزا من غير عشيرة ، وغنى من غير مال ، وعلما من غير تعلم» .

وكتب عمر ـ رضي الله عنه ـ إلى أمراء الأجناد : احفظوا من المطيعين ما يقولون فإنه تتجلى لهم أمور صادقة .

وقال بعضهم : إذا زهد العبد في الدنيا وكل الله ـ تعالى ـ به ملكا حكيما يغرس من أنواع الحكمة في قلبه كما يغرس أحدكم من أطراف الأشجار في بستانه .

وقال عيسى ـ عليه السلام ـ : الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها .

وقال أيضا : مثل صاحب الدنيا كمثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله .

وأوحى الله ـ تعالى ـ إلى داود : (فإن كنت كذلك تزعم أنك تحبني فاخرج حب الدنيا من قلبك فإن حب الدنيا وحبي لا يجتمعان في قلب واحد) وفي التوراة مكتوب : (يا ابن آدم أنت في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك) .

وفي المناجاة أن الله ـ تعالى ـ قال : (يا ابن آدم إذا أفنيت عمرك في طلب الدنيا فمتى تطلب الجنة . يا موسى الصبر على طاعتي أهون من الصبر على ناري) .

وقال لقمان لابنه : يا بني إن دارا لا يأتي عليك يوم من الدهر ليلة إلا ظننت أنك مفارقها ، ولا منفعة فيها فانظر لنفسك ما تزود منها .

وقال بعض الصالحين : الناس في الدنيا على ثلاثة أنواع ؛ فالمؤمن فيها يتزود ، والحريص فيها يتزيد ـ لعله يتزين ـ ، والكافر فيها يتنعم .

وقال لقمان لابنه : يا بني إن الدنيا بحر عميق قد هلك فيها عالم كثير ، فاجعل سفينتك فيها الايمان بالله ـ عز وجل ـ ، والدنيا جسرك الذي تعبر عليه ، والأعمال الصالحة بضاعتك التي تحشو فيها ، وحرصك عليها ريحك التي تسيرها ، والأيام موجك الذي يدحرجها والتوكل على الله ـ عز وجل ـ دليلها الذي يهديها ، ورد النفس عن الهوى حبالها التي ترسيها ، والموت ساحلها الذي هو منتهاها ، والقيامة أرض المتجر التي تبتغي الربح فيها ، والله ـ عز وجل ـ ملكها الذي عليها .

واجعل زادك تقوى الله ـ تعالى ـ ، فإن نجوت فبرحمته ، وإن هلكت

فبذنوبك .

وقال بعض الحكماء : ليس شيء أنفع للرجل من أن لا يركن إلى حاله من الدنيا ولا يطمئن إليها .

وقال : من كرمت عليه نفسه صغرت الدنيا وأهلها في عينه . ومن هانت عليه نفسه كبرت الدنيا وأهلها في عينه .

وقال عيسى ـ عليه السلام ـ : طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غائب .

وكتب حكيم لحكيم : أما بعد ؛ فإن الله ـ تعالى ـ قد حف الدنيا بالشهوات وملأها بالآفات ، ومزج حلالها بالمؤونات ، وحرامها بالتبعات .

وقال أحد الحكماء : الدنيا غنيمة الأكياس ، وحسرة الحمقى .

وقال النبي ﷺ : «دعوا الدنيا لأهلها فمن أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حتفه وما يشعر» .

وقال أبو حازم : يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة .

وقال مالك بن دينار : بقدر ما تحزن من الدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك ، وبقدر ما تحزن للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك .

وقيل : قدم عمر ـ رضي الله عنه ـ الشام فاستقبله أبو عبيدة بن الجراح على ناقة مخطومة بحبل فسلم عليه وسأله النزول عنده ، ثم أتى منزله فلم ير فيه إلا سيفه وترسه ورحله . فقال له عمر : لو اتخذت متاعا فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن هذا يبلغنا المقيل .

وقال الحسن : لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بحسرات ثلاث ؛ أنه لم يشبع بما جمع ، ولم يدرك بما أمل ، ولم يحسن الزاد لما قدم عليه .

وقال أبو سليمان : لا يصبر عن شهوات الدنيا إلا ما كان في قلبه ما يشغله بالآخرة .

وقال أبو أمامة الباهلي : لما بعث محمد ﷺ أتت إبليس جنوده فقالوا : قد بعث نبي وأخرجت أمة قال : يحبون الدنيا ؟ قالوا : نعم . قال : لئن كانوا يحبونها ما أبالي أن لا يعبدوا الأوثان ، وأنا أغدو عليهم وأروح بثلاث ؛ أخذ المال من غير حقه ، وانفاقه في غير حقه ، وامساكه عن حقه ، والشر كله لهذا تبع .

وقال رجل لعلي : صف لنا الدنيا . فقال : ما أصف لك من دار أولها عناء ، وآخرها فناء ، من صح فيها سقم ، ومن أمن فيها ندم ، ومن افتقر فيها حزن ، ومن استغنى فيها فتن ، ومن ساعاها[1] فاتته ، ومن قعد عنها واتته ، ومن أبصر بها بصرته ، ومن نظر إليها أعمته ، في حلالها الحساب ، وفي حرامها العقاب .

وقال أبو سليمان : إذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تزحمها ، وإذا كانت الدنيا في القلب لم تزحمها الآخرة لأن الآخرة كريمة والدنيا لئيمة .

عن عبدالله بن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «تكون أمتي في الدنيا على ثلاثة أطباق ؛ أما الطبق الأول فلا يرغبون في جمع المال وادخاره ، ولا يسعون في اقتنائه واحتكاره ، وانما رضاهم من الدنيا سد جوعة وستر عورة ، وغناهم فيها ما بلغ الآخرة ، فأولئك الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وأما الطبق الثاني فيحبون جمع المال من أطيب سبله ، وصرفه في أحسن وجوهه يصلون به أرحامهم ، ويؤثرون به اخوانهم ، ويواسون به فقراءهم ، ولعض أحدهم على الرضف أسهل عليه أن يكتسب درهما من غير حله وأن يضعه في غير حله ، وأن يمنعه من حقه ، وأن يكون

---

١ - هكذا في الأصل ولعله يقصد من سعى اليها

خازنا له إلى حين موته ، فأولئك الذين إن نوقشوا عذبوا وإن عفي عنهم سلموا ، وأما الطبق الثالث فيجمعون المـال ما حل وحرم ، ومنعه مما افترض أو وجب ، إن أنفقوه أنفقوه اسرافا وبدارا ، وإن أمسكوه أمسكوه بخلا واحتكارا ، فأولئك الذين ملكت الدنيا أزمة قلوبهم حتى أوردتهم النار بذنوبهم» .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «إياكم وفضول المطعم ، فإن فضول المطعم تسِم القلب بالقسوة ، وتبطىء بالجوارح عن الطاعة ، وتضمر الهمم عن استماع الموعظة ، وإياكم وفضول النظر فإنه يبذر الهوى ، ويولد الغفلة ، وإياكم واستشعار الطمع فإنه يشرب القلب بشدة الحرص ويختم على القلوب بطابع حب الدنيا ، فهو مفتاح كل سيئة وسبب احباط كل حسنة» .

عن عبدالله بن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «انما هو خير يرجى ، وشر يتقى ، وباطل عرف فاجتنب وحق تيقن فطلب ، وآخرة أطل اقبالها فسعي إليها ، ودنيا أزف فناؤ ها فأعرض عنها» .

وكيف يعمل للآخرة من لا تنقطع عن الدنيا رغبته ، ولا تنقضي فيها شهوته ، إن العجب كل العجب لمن صدق بدار البقاء وهو يسعى لدار الفناء ، وعرف أن رضى الله في طاعته وهو يسعى في مخالفته .

وعن أبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يوصيه : «اقلل من الشهوات يسهل عليك الفقر ، واقلل من الذنوب يسهل عليك الموت ، وقدم مالك أمامك يسرك اللحاق به ، واقنع بما أوتيته يخف عليك الحساب ، ولا تتشاغل عما فرض عليك بما قد ضمن لك ، إنه ليس بفائتك ما قسم لك ، ولست بلاحق ما زوى عنك ، ولا تكن جاهلا فيما يصبح نافدا واسعَ لملك لا زوال له في منزل لا انتقال عنه» .

وقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ : إذا سمعت كلمة تؤذيك فطأطىء لها تخطيك .

وقال بعض العلماء : من أمضى يومه في غير حق قضاه ، أو فرض أداه ، أو مجد أثله ، أو حمد حصله ، أو خير أسسه ، أو علم اقتبسه فقد غبن يوما وظلم نفسه .

وقال لقمان لابنه : يا بني إذا أردت أن تؤاخي أحدا فاغضبه فإن أنصفك وهو مغضب فآخه وإلا فاحذره .

وقال أيضا : يا بني لا تدخل الدنيا دخولا يضر بآخرتك ولا تتركها تكن كلا على الناس .

ومما أوحى الله ـ تعالى ـ إلى موسى : يا موسى ؛ إذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته ، وإذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين . يا موسى ؛ إنك لن تتقرب إليّ بعمل من أعمال البر خير لك من الرضى بقضائي ، ولن تأتي بعمل أحبط لحسناتك من البطر ، وإياك والتضرع لأبناء الدنيا إذا أعرض ، وإياك أن تجور بدينك لدنياهم إذا من أبواب رحمتي أن تغلق دونك ، قرب الفقراء وادن مجلسهم منك ، ولا تركنن إلى حب الدنيا فإنك لن تلقاني بكبيرة من الكبائر أضر عليك من الركون إلى الدنيا .

يا موسى ؛ قل للمذنبين أبشروا ، وقل للعاملين المعجبين إخسأوا واعلم أنه ما تزين العباد بزينة هي أبلغ من الزهد في الدنيا فإنها زينة المتقين عليهم منها لباس يعرفون به من السكينة والخشوع ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾ [1] أولئك أوليائي حقا حقا ، فإذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك ، وذلل لهم قلبك ولسانك ، واعلم أنه من أهان لي وليا أو أخافه فقد بارزني بالمحاربة وعرض نفسه ودعاني إليها وأنا أسرع شيء إلى نصرة

---

١ ـ الآية ٢٩ من سورة الفتح

أوليائي ، أفيظن الذي يحاربني أن يقوم بي أو يظن الذي يضادني أن يعجزني ، أم يظن الذي يبارزني أن يسبقني أو يفوتني ، وأنا الثائر لهم في الدنيا والآخرة لا أكِلُ نصرتهم إلى غيري .

وقيل : متى رأيتم العقل يؤثر الفاني على الباقي فاعلموا أنه قد مسخ ومن ركب ظهر التفريط نزل به منزلة الندم .

وفي المناجاة أن الله ـ تعالى ـ يقول : يا ابن آدم ؛ أحباؤك ثلاثة ؛ أهل ومال وعمل ، فمالك يفارقك عند قبض روحك ، وأهلك يفارقونك عند دخول قبرك ، ولا يبقى معك إلا عملك فعملك باق معك ملازم أبدا .

وقال أبو الدرداء : الناس على ما ماتوا عليه يبعثون ؛ يبعث العالم عالما ، والجاهل جاهلا .

وقال رسول الله ﷺ : «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا» .

واعلم أن من اطمأن إلى الدنيا وهو يتيقن أنه راحل عنها فهو من جملة الحمقى .

وقال سهل بن عبدالله التستري : علامة حب الله ؛ حب القرآن ، وعلامة حب الله وحب القرآن ؛ حب النبي ﷺ ، وعلامة حب النبي ﷺ حب السنة ، وعلامة حب السنة حب الآخرة ، وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا ، وعلامة بغض الدنيا أن لا يدخر منها شيئا إلا زادا أو بلغة إلى الآخرة .

وقال الحواريون لعيسى ـ عليه السلام ـ : يا روح الله ؛ من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؟ فقال : هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا ، حين نظر الناس إلى ظاهرها ، ونظروا إلى آجل الدنيا حين نظر الناس إلى عاجلها ، وأماتوا منها ما خافوا أن يميتهم ، وتركوا منها ما خافوا أن

سيتركهم ، فصار استكثارهم منها استقلالا ، وطلبهم لما أدركوا منها قوتا ، وفرحهم لما أصابوا منها حزنا ، فما عارضهم من نائلها رفضوه ، وما عارضهم من رفعتها بغير الحق وضعوه ، خَلِقت عندهم الدنيا فلم يجددوها ، وخربت فلم يعمروها ، وماتت في صدورهم فلم يحيوها ، فهم يبنون بها آخرتهم ، ويبيعون دنياهم فيشترون ما يبقى لهم .

رفضوها فكانوا برفضها فرحين ، ونظروا إلى أهلها غرقى قد حلت بهم المثلات ، فأحيوا ذكر الموت ، وأماتوا ذكر الدنيا ، يحبون الله ـ تعالى ـ ويحبون ذكره ، ويستضيئون بنوره ، لهم خبر عجيب وعندهم أعجب الخبر ، بهم قام الكتاب وبه قاموا ، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا ، وبهم عُلِمَ الكتاب وبه عُلِمُوا ، ليس يرون نائلا مع ما نالوا ، ولا أمانا دون ما يرجو ، ولا خوفا دون ما يجدوا .

ويكى لقمان عند وفاته فقال له ابنه : ما يبكيك ؟ قال : يا بني ليس على الدنيا ولا على نعيمها ، إنما أبكي على ما أمامي ، ما آمن من شقة بعيدة ، ومفازة سحيقة ، وعقبة كؤود ، وزاد قليل ، وحمل ثقيل ، فما أدري أيحط ذلك الحمل عني حتى أبلغ الغاية ، أو يبقى عليّ فأساق إلى جهنم .

وقيل : إن الدنيا خمرة الشيطان فمن سكر منها لم يفق من سكرته إلا في عساكر الموتى نادما بين الخاسرين .

وذكر عن لقمان أنه قال لابنه : يا بني بع دنياك بأخراك تربحهما جميعا ، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا ؛ لأن القلب إذا دخل فيه حب الدنيا لم ينتفع بموعظة ما دام حب الدنيا في قلبه .

وذكر عن ابن عباس أنه قال : إن الله قد جعل الدنيا ثلاثة أجزاء ؛ جزء للمؤمن ، وجزء للمنافق ، وجزء للكافر ؛ فالمؤمن يتزود منها ، والمنافق يتزين بها ، والكافر يتمتع فيها .

والدنيا جيفة منتنة ، فمن أراد أن ينال منها شيئا فليصبر على معاشرة الكلاب .

وذكر عن علي أنه قال : من جمع ست خصال لم يترك للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا ؛ من عرف الله فأطاعه ، وعرف الشيطان فعصاه ، وعرف الحق فاتبعه ، وعرف الباطل فتركه ، وعرف الدنيا فرفضها ، وعرف الآخرة فطلبها .

فصـــل

يا ابن آدم إن كنت تريد من الدنيا ما يكفيك فالقليل منها يكفيك ، وإن كنت تريد منها فوق ما يكفيك فجميع الدنيا بأسرها لا تكفيك . فلا تهلكوا أنفسكم بطلب الدنيا ، واغلبوا أنفسكم عليها بترك ما فيها ، فعراة دخلتموها وعراة تخرجون منها ، فاسألوا الله رزق يوم بيوم ، واعلموا أن الله قد جعل الدنيا قليلا وما بقي منها قليل من قليل قد شرب صفوه وبقي كدره .

واعلموا أن الدنيا دار عقوبة وغرور فكونوا فيها كرجل يداوي جرحه يصبر على شدة الدواء لما يرجو من الشفاء وعاقبة الداء ، فلا يغرنكم شاهد الدنيا على غائب الآخرة .

وذكر عن النبي ـ عليه السلام ـ أنه قال : «إن الله يحمي عبده المؤمن من الدنيا وربما يكون محبا فيها ، كما يحمي أحدكم المريض الطعام والشراب مخافة عليه» .

وذكر أن عابدا من العباد اشتهى خبزا حارا بزيت فلما اشتراه وهم بأكله بعث الله إليه ملكا وأمره بإهراق الزيت حتى لا ينال شهوة مما أحب ، فلما صعد الملك التقىٰ بملك آخر وهو نازل فقال له : إلى أين تذهب ؟ فقال له :

إن فلانا اليهودي اشتهى سمكة فما وجدت فأمرني ربي أن آتي إلى البحر فأزعج له منه سمكة حتى ينال شهوته مما أحب .

فإياك يا أخي إذا أنعم الله عليك بنعمة في الدين أن تلتفت إلى الدنيا وحطامها فإن ذلك لا يكون منك إلا بضرب من التهاون ، أما سمعت قول الله ـ تعالى ـ لسيد المرسلين : **﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه﴾** [1] معناه أن من أوتي القرآن العظيم يجب عليه أن لا ينظر إلى الدنيا الحقيرة نظرة واحدة فضلا عن أن تكون له رغبة فيها بل يجب عليه أن يلتزم الشكر على ذلك إذ جعله الله من أوليائه وهذه نعمة عظيمة .

وأما نصيب الدنيا فإنه يصبه على كل كافر وملحد وفرعون وزنديق وفاسق وجاهل وأشباههم الذين هم أهون خلقه عليه حتى يغرقوا في البلايا ، ويصرفه عن كل ولي وصفي ونبي وصديق وعالم وعابد وزاهد إذ هم أعز خلقه عليه ثم إنهم لا يكادون يصيبون خرقة ولا كسوة وتزوى الدنيا وكذلك يفعل بأوليائه وأصفيائه من خلقه ، ويذودهم عن نعيم الدنيا كما يذود الراعي إبله عن كل ضر وآفة ، وليس ذلك لهوانهم عليه ، ولكن ليستكملوا حظهم وافرا من كرامته كما ذكر في الخبر أن الله ـ تعالى ـ أوحى إلى داود ـ عليه السلام ـ : يا ابن آدم لم أعطك الدنيا بقوتك وغلبتك إنما أعطيتكها خسارة لك وعقوبة ، إنما الدنيا فرس جموح من ركبها صرعته ، وقلَّ من ينجو منها ، فيا عجبا لمن قرت عينه في الدنيا وأنا أسأله عن الفتيل والنقير والقطمير .

فالله الله يا أخي أن تذهب بك الدنيا وزهرتها وتستجرك شهواتها إليها فتغرق في بحار فتنتها فتبقى في ندامة حيث لا ينفعك الندم وانظر أين المقتدرون عليها ، والمطمئنون بها ، والمتنافسون فيها ، والمتحاربون عليها ،

---

١ - الآية ١٣١ من سورة طه

والمتباغضون عليها ، والمغترون بزينتها حين أمكنهم من شهواتها ولذاتها حتى اطمأنوا بها فأهلكتهم فهل ترى لهم من باقية ، فكيف السرور لمن لا يدوم سروره أم كيف الأمن بمن لا يؤمن محذوره ، فكم من مستكثر من الدنيا قد أعجبه أمله حتى كثرت أمنيته واستعجله عن ذلك أجله فعند ذلك رشح للموت جبينه ، وصار من بعد اللذات إلى غمرات السكرات ، فعند ذلك رنّت الباكيات وصرخت عليه الناعيات وانعقد لسانه وناداه جبينه وهو مطرق لا يجيبه ثم أصبح خاويا جسده ، واستثقله أهله وولده واستعجلوا رحلته من رحب الديار إلى ضيق القرار .

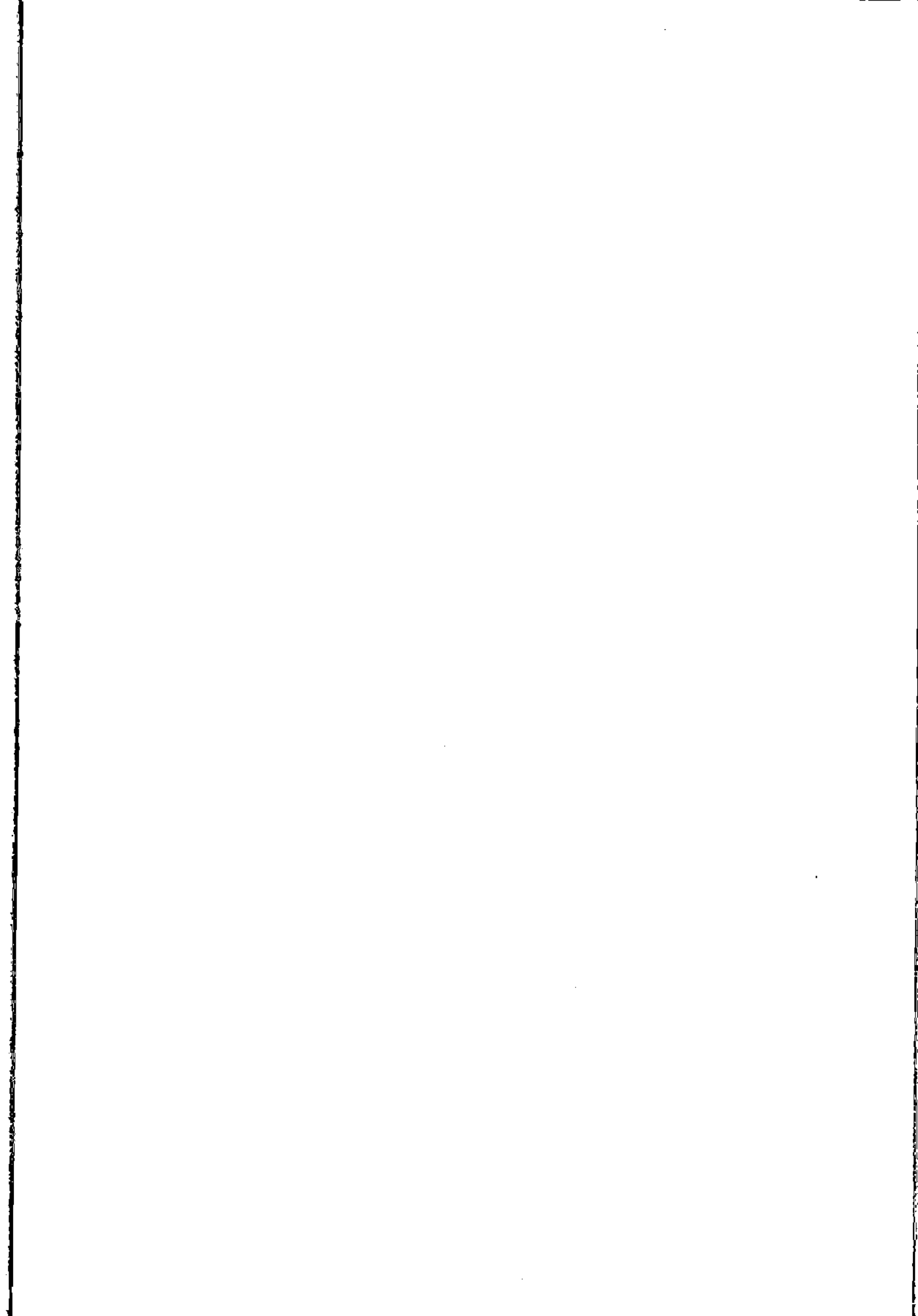
ومن المنزل المتسع المبيض الى المنزل المضيق المظلم والوطن المقلق فاسلموه الى ما أسلف وانصرفوا عنه إلى نهب ما خلف فجرد البلى ثوب بهجته وغير التواحش نضرته ، فبلي جديده وسال صديده وذهبت صفاته وامتزج بالتراب رفاته .

فنعم المنزل إن أعقبه الثواب ، وبئس الوطن ان تلاه العقاب والعذاب .

واعلموا ثم اعلموا أن الدنيا سريعة الزوال ، متقلبة بأهلها حالا بعد حال ، صحتها سقم ، وشبابها هرم ، وصفوها كدر ، ولذتها غرر ، وايثارها غبن ، وغناها فقر ، فارفعوا رغبتكم عنها وتزودوا بأفضل زاد منها ، فإنها جعلت بلغة للعباد ليتزودوا منها خير زاد للمعاد ، فمن قدم خيرا وجده وهنيئا له ، ومن قدم شرا وجده وويل له ، فلا تهتكوا استاركم عند من لا يخفى عليه أخباركم واسراركم ، فإذا جاء الأجل انقطع العمل ، وذهبت وجوه الحيل ، وحيل بينهم وبين ما يشتهون ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ تفضل عليكم وجعلكم مسلمين ، وانعم عليكم قبل ان تعرفوه وبسط لكم رزقه قبل ان تسألوه وعرفكم نفسه قبل ان تعرفوه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ولو كلفكم مكافأة ذلك لم تبلغوها فرضي منكم بالحمد والشكر وأوجب لكم أجرا .

فاعملوا عباد الله في مهل مادامت الأقلام جارية ، والتوبة مبسوطة ، والأعمال مقبولة قبل جفاف الأقلام وانقطاع الأيام وطي الصحف .

واياكم والغفلة والتفريط وطول الأمل والتسويف فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور .



الباب الثامن

في الزهد والورع

اعلم ان الزهد ثلاثة أحرف . زا وها ودال ، فمعنى الزا ان يترك زينة الحياة الدنيا ومعنى الهاء ان يترك هواها ومعنى الدال ان يترك الدنيا بأسرها ، وهكذا صفة الزاهدين .

والزهد في الدنيا على وجهين . فرض ونفل ففي الحرام فرض وفي الحلال نفل ، ومنزلة الحرام عند أهل الاستقامة والتقى بمنزلة النار لا يكادون يقربون منه بحال ولا يخطر ببالهم ولا يمكن ان يأكل جمرة من نار .

ومنزلة الحلال عندهم بمنزلة الميتة لا يتناولون منها شيئا إلا عند الحاجة الشديدة والضرورة إليها والورع اشارة الى التوفيق في كل شيء . وترك الاقدام عليه إلا بإذن الشرع فإن وجد للشرع فيه فعلا ولينا وله فيه مساغا والا تركه .

والورع ملاك الأمور كلها ، والورع ثلاث درجات .

ورع العوام وهو ورع عن الحرام والشبهة .

وورع الخواص . وهو ورع عن كل ما للنفس فيه شهوة .

وورع خواص الخواص . وهو عن كل ما لهم فيه ارادة وروية .

والورع ورعان : ظاهر وهو ان لا يتحرك إلا لله . وباطن وهو ان لا يدخل قلبك سوى الله تعالى ، ومن لم ينظر في دقائق الورع لم يحصل له نفائس العطاء .

والورع في المنطق أشد . وقيل أول الورع ملاك الدين ولا دين لمن لا ورع له .

وقيل : الورع ان تدع ما يريبك وما حاك في صدرك فدعه وخير دينكم الورع ، والورع الوقوف عند الشبهة .

فمن دين الله ؛ الورع من محارمه والوفاء بعهده ولزوم فرائضه واستكمال دينه ويكون خائفا وجلا ويستغفر ربه ويتوب إلى الله تعالى فعسى أن يرحمه ويدخله الجنة برحمته .

والزهد في الرئاسة أصعب ، والزهد أول الورع ولا يتم الورع إلا ان يرى عشر خصال فريضة على نفسه :

أولها : حفظ اللسان عن الغيبة لقول الله تعالى : **﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾** (١) .

والثاني : اجتناب سوء الظن لقول الله تعالى : **﴿اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن اثم﴾** (٢) ، ولقول النبي ﷺ : «اياكم والظن فإنه اكذب الحديث» .

والثالثة . اجتناب السخرية لقول الله تعالى : **﴿لا يسخر قوم من قوم﴾** (٣) الآية .

---

١ - الآية ١٢ من سورة الحجرات

٢ - الآية ١٢ من سورة الحجرات

٣ - الآية ١١ من سورة الحجرات

والرابعة : غض البصر عن المحارم لقول الله تعالى : ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ [1] .

والخامسة : صدق اللسان لقول الله تعالى : ﴿واذا قلتم فاعدلوا﴾ [2] ، اي فاصدقوا .

والسادسة : مِنّة الله تعالى عليه لئلا يعجب بنفسه لقول الله تعالى : ﴿بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان﴾ [3] .

والسابعة : ان ينفق ماله في الحق ولا ينفقه في الباطل لقول الله تعالى : ﴿والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا﴾ [4] ، يعني لم ينفقوه ولم يمنعوه من الطاعة .

والثامنة : ان لا يطلب لنفسه العلو والكبر لقول الله تعالى : ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا﴾ [5] .

والتاسعة : المحافظة على الصلوات الخمس في مواقيتها بركوعها وسجودها لقول الله تعالى : ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين﴾ [6] .

والعاشرة : الاستقامة على الكتاب والسنة لقول الله تعالى : ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ [7] ، والسبل الأهواء الضالة .

---

١ ـ الآية ٣٠ من سورة النور
٢ ـ الآية ١٥٢ من سورة الأنعام
٣ ـ الآية ١٧ من سورة الحجرات
٤ ـ الآية ٦٧ من سورة الفرقان
٥ ـ الآية ٨٣ من سورة القصص
٦ ـ الآية ٢٣٨ من سورة البقرة
٧ ـ الآية ١٥٣ من سورة الأنعام

وقيل : من ترك الورع اسود قلبه بالشبهات والتخليطات .

وقال حكيم : النزاهة اشرف من سرور الفائدة .

وأول الزهد ان لا تريد سوى الله ، وان تقطع طمعك من المخلوقين ، ثم تمسك لسانك وجوارحك ان لا تغتاب احدا ولا تقول إلا خيرا ، ثم تعلم أنه ما كان لك لن يخطئك ، وما لم يقدر لك فلا حيلة لك فيه ، ولا تجزع على ما مات ـ لعله ـ فات ، ولا تجزع من الذل ، ولا تحب إلا الله وخفه أشد المخافة فإنك موقوف بين يديه .

وسأل رجل رسول الله ﷺ عن الزهد ما هو فقال ﷺ : «مَثّل الآخرة في قلبك ، والموت نصب عينيك ، وكن من الدنيا على وجل وأد فرائض الله ، واكفف عن محارمه ونابذ هواك ، واعتزل الشك والشبهة والطمع والحرص ، واستعمل التواضع والفقه وحسن الخلق ولين الكلام واقنع بقبول الحق من حيث ورد عليك ، واجتنب الكبر والبخل والفخر والرياء ومشية الخيلاء ، ولا تستصغرن نعم الله عليك وان قلت وجاورها بالشكر .

واذكر الله في كل وقت واحمده على كل حال ، واعف عمن ظلمك وصل من قطعك واعط من حرمك ، وليكن صمتك فكرا وكلامك ذكرا ونظرك اعتبارا ، واعمل الفكرة في المعاد ، واجعل شوقك إلى الجنة ، واستعذ بالله من النار ، وعاشر الناس بخلق حسن . واصبر على النازلة ، واستهن المصيبة ، وامر بالمعروف وانه عن المنكر ولا تأخذك في الله لومة لائم ، وخذ من الحلال ما شئت اذا مكنك ، وجانب الجمع والمنع ، واعتصم بالاخلاص والتوكل وابن على أساس التقوى .

وكن مع الحق حيثما كان ، وميز ما اشتبه عليك بعقلك فإنه حجة الله عليك ووديعته فيك وبرهانه عندك وذلك اعلام الزهد ومنهاجه والعاقبة للمتقين .

وقال النبي ﷺ : «الزاهدون في الدنيا الراغبون في الآخرة هم الآمنون يوم القيامة» .

وقال ﷺ خبرا عن الله تعالى : «ما تقرب إليّ عبدي المؤمن بمثل الزهد في الدنيا» .

وقال يحيى بن معاذ : الزهد حبل الله تعالى في الأرض من تعلق به صار الى ربه .

وقال النبي ﷺ : «نعمت الدار الدنيا لمن تزود منها لآخرته حتى يرضي ربه ، وبئست الدنيا لمن صرفته عن آخرته وقصرت به في رضى ربه» .

وسأل رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام عن الزهد فقال : ان الزهد ان تحب ما يحب خالقك ، وتبغض ما يبغض خالقك ، وتتحرج من حلال الدنيا كما تتحرج من حرامها .

وقيل لرسول الله ﷺ ما الزهد في الدنيا ؟ فقال : «أما أنه ما هو بتحريم الحلال ولا إضاعة المال ولكن ان تكون بما في يد الله أغنى منك مما في يدك» .

وقال ﷺ : «إذا رأيتم العبد قد أعطى صمتا وزهدا في الدنيا فاقتربوا منه فإنه يلقي الحكمة» .

ولما سئل رسول الله ﷺ عن معنى الشرح في قوله تعالى : ﴿**فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام**﴾ [1] ، فقيل ما هو الشرح ؟ فقال : «ان النور اذا دخل في القلب انشرح له الصدر وانفسح» فقيل له يا رسول الله هل لذلك من علامة ؟ قال : «نعم . التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله» .

---

١ ـ الآية ١٢٥ من سورة الأنعام

وروى ابن المسيب عن ابي ذر عن رسول الله ﷺ انه قال : «من زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة في قلبه فأنطق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءَها فأخرجه منها سالما إلى دار السلام» .

وروى مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت يا رسول الله الا تستطعم الله فيطعمك ؟ قالت وبكيت لما رأيت به من جوع فقال : «يا عائشة والذي نفسي بيده لو سألت ربي ان يجري معي جبال الأرض ذهبا لأجراها حيث شئت من الأرض ولكني اخترت جوع الدنيا على شبعها ، وفقر الدنيا على غناها ، وحزن الدنيا على فرحها ، يا عائشة لا تبتغي الدنيا لمحمد ولا لآل محمد ، يا عائشة إن الله لم يرض لأولي العزم من الرسل الا الصبر على مكروه الدنيا ، والصبر عن محبوبها ثم لم يرض لي إلا ان يكلفني ما كلفهم قال : ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾ [1] والله مالي بد من طاعته واني والله لأصبر كما صبروا بجهدي ولا قوة إلا بالله .

وروي ان الله عز وجل أوحى الى موسى عليه السلام أنه ما يتصنع المتصنعون الي بشيء مثل الزهد في الدنيا باتباع ما أمرت ، ولا يتقرب المتقربون إلي بشيء في الدنيا مثل الورع أما الزهد في الدنيا فأفتح لهم الجنة في الأخرة يتبوأ منها حيث يشاء .

وبلغنا عن عائشة أم المؤمنين قالت لقد كنا ننتظر ثلاثة أهلة ما توقد في بيت رسول الله ﷺ نار وما كنا نرى الدخان إلا من مكان بعيد فقيل لعائشة ما كنتم تعيشون قالت:الاسودين ؛ الماء والتمر .

وبلغنا والله اعلم ان النبي ﷺ وابا بكر وعمر كانوا يأكلون الشعير غير منخول .

---

١ - الآية ٣٥ من سورة الأحقاف

وقيل والله أعلم ان عائشة قالت : ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام متتابعة من خبز بر حتى فارق الدنيا ولو شئنا لشبعنا ولكن نؤثر على انفسنا .

وعن ابي هريرة : ما عاب رسول الله ﷺ طعاما قط إن اشتهاه اكله وان كرهه تركه .

وعن ابن عباس قال : لما ورد موسى عليه السلام ماء مدين كانت خضرة البقل ترى من بطنه من الهزال فهذا ما كان قد اختاره أنبياء الله ورسله وهم اعرف خلق الله بالله وبطريق الفوز في الآخرة وقال ابو بكر الصديق - رضي الله عنه - : إنا لندع سبعين بابا من الحلال خشية أن نقع في باب من الحرام .

وقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة ان نقع في الحرام .

وروي ان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه دخل على ابنه عاصم وهو يأكل لحما فقال له عمر : ما هذا ؟ قال : قد قدمنا والله إليه فقال له عمر : أو كلما قدمت الى شيء اكلته والله انه لاشتهي الشيء مما يساوي [1] دانقين فلا آكله سنة كراهية ان اتعجل النعيم في الدنيا ثم قال : كفى بالمرء سرفا أن يأكل كل ما اشتهى .

وروي انه دخل على ابنه عبدالله وهو يأكل لحما وسمنا مأدوما فعلاه بالدرة فقال : لا ام لك كُلْ يوما خبزا ولبنا وكل يوما خبزا وكل يوما خبزا وملحا وكل يوما خبزا قفارا .

وروي عن النبي ﷺ : «مازال العبد متماسكا ما لم يشته على أهله صنائع الأطعمة فإذا احس ذلك من نفسه فهو من الهالكين» .

---

١ - وردت في الأصل (يسوى) والصحيح ما أثبت

وروي عن النبي ﷺ أنه سئل عن رجل فاثنوا عليه خيرا فقال كيف ذكره للموت ؟ قالوا ما سمعناه يكثر ذكره قال : «كيف تركه لما يشتهي ؟» قالوا : انه يصيب من اطايب الأطعمة قال : «ليس صاحبكم هناك» .

ويروى عن النبي ﷺ : «من لا يبالي من أين اكتسب فلا يبالي الله من أي باب أدخله النار» .

وقال ﷺ : «إذا اراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره بعيوب نفسه» .
وقال ﷺ : «من اراد أن يؤتيه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا»

وقال ﷺ : «من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ، ومن خاف من النار لها عن الشهوات ، ومن ترقب الموت ترك اللذات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب» .

وقال علي العطار : مررت في البصرة في بعض الشوارع فإذا مشايخ قعود والصبيان يلعبون فقلت للصبيان أما تستحيون من هؤلاء المشايخ فقال صبي من بينهم هؤلاء المشايخ قل ورعهم فقلت هيبتهم .

وقال عمر ـ رضي الله عنه ـ : الزهادة في الدنيا راحة القلب والجسد .

وقال يحيى بن معاذ الرازي : الزاهد الصادق قوته ما وجد ، ولباسه ما ستر ، ومسكنه حيث أدرك ، الدنيا سجنه ، والقبر مضجعه والخلوة مجلسه ، والاعتبار فكرته ، والقرآن حديثه ، والرب انيسه ، والذكر رفيقه ، والزهد قرينه ، والحزن شأنه ، والحياء شعاره ، والجوع ادامه ، والحكمة كلامه ، والتراب فراشه ، والتقوى زاده ، والصبر غنيمته ، والصمت معتمده ، والتوكل حسبه ، والعقل دليله ، والعبادة حرفته ، والجنة مبلغه إن شاء الله .

وعن جابر قال : دخل رسول الله ﷺ على فاطمة وهي تطحن بالرحاء وعليها كساء من اجلة الأبل فلما نظر إليها بكى فقال : «يا فاطمة تجرعي مرارة الدنيا لنعيم الأبد» فأنزل عليه : ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ [1] .

وأوصى رسول الله ﷺ عائشة رضي الله عنها خاصة وقال لها : «ان اردت اللحوق بي فإياك ومجالسة الأغنياء ولا تنزعي ثوبا حتى ترقعيه» .

وعد على قميص عمر ـ رضي الله عنه ـ اثنتا عشرة رقعة بعضها من أدم .

وفي الخبر : «البذاذة من الايمان» وفي الخبر : «من ترك ثوب جمال وهو يقدر عليه تواضعا لله وابتغاء لوجهه كان حقا على الله ان يدخر له من عبقرى الجنة في تخوت الياقوت» .

وأوحى الله الى بعض انبيائه : (قل لأوليائي لا يلبسوا ملابس اعدائي ولا يدخلوا مداخل اعدائي فتكونوا كما هم أعدائي) .

وقال علي : إن الله عز وجل أخذ على الأئمة ان يكونوا في مثل أدنى أحوال الناس ليقتدى بهم الغني ولا يزري بالفقير فقره .

وقال علي لعمر ـ رضي الله عنه ـ إن اردت ان تلحق بصاحبيك فأرقع القميص ، ونكس الاذار ، واخصف النعل ، وكل دون الشبع .

وقال عمر : اخلولقوا واخشوشنوا واياكم وزي العجم كسرى وقيصر .

وقال ﷺ : «ان من شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم يطلبون الوان الطعام وألوان الثياب ويتشدقون في الكلام وكل ما يراد للضرورة من الدنيا ولا ينبغي

---

١ ـ الآية ٥ من سورة الضحى

ان يجاوز حد الضرورة وقدر الضرورة من الدنيا آلة الدين ووسيلته وما جاوز ذلك فهو مضاد للدين» .

فالغرض من المسكن دفع المطر والبرد ودفع الأعين والأيدي ، وأقل الدرجات فيه معلوم ومازاد عليه فهو من الفضول ، والفضول كله من الدنيا وطالب الفضول والساعي له بعيد من الزهد جدا .

وقد قيل أول شيء ظهر من طول الأمل بعد رسول الله ﷺ التدريز والتشييد ـ يعني التدريز كف دروز الثياب فإنها كانت تشل شلا ، والتشييد هو البنيان بالجص والآجر وانما كانوا يبنون بالسعف والجريد .

وقد جاء في الحديث : «يأتي على الناس زمان يوشون بنيانهم كما توشى البرود اليمانية» .

وقال الحسن : مات رسول الله ﷺ ولم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة .

وقال النبي ﷺ : «اذا أراد الله بعبد شرا أذهب ماله في الماء والطين» .

وقال : «من بنى فوق ما يكفيه كلفه الله حمله يوم القيامة» .

وفي الخبر : كل نفقة العبد يؤجر عليها إلا ما أنفقه في الماء والطين .

وقال ﷺ : كل بناء وبال على صاحبه يوم القيامة إلا ما أكنه من حر أو برد» .

ونظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام الى حصن قد بني بجص وآجر فكبر وقال : ما كنت اظن أن يكون هذا في هذه الأمة .

من بنى بنيان [1] هامان لفرعون هو أول من بنى بالجص والآجر وأول

١ ـ وردت هكذا بالأصل ولعله أراد أن هامان أول من بنى بالجص لفرعون

من عمله هامان ثم أتبعهما الجبابرة .

وهذا هو الزخرف .

وقال ابن مسعود : يأتي قوم يرفعون الطين ويضعون الدين ويستعملون البرازين ، ويصلون الى قبلتكم ، ويموتون على غير ملتكم ، وروي ان عمر ابن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ دخل على رسول الله ﷺ وهو نائم على سرير مرمول بشريط فجلس فرأى أثر الشريط في جنبه ﷺ فدمعت عينا عمر ـ رضي الله عنه ـ فقال النبي ﷺ : «ما الذي ابكاك يا عمر بن الخطاب ؟» فقال : ذكرت كسرى وقيصر وما هما فيه من الملك ، وذكرتك وأنت رسول الله وحبيبه وصفيه نائم على سرير مرمول بالشريط فقال رسول الله ﷺ : «أما ترضى يا عمر ان تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ؟» قال : بلى يا رسول الله قال : «فذلك كذلك» .

وكان ﷺ ينام وتحت رأسه وسادة محشوة بالليف ، ولما قبض رسول الله ﷺ أخرجت عائشة ـ رضي الله عنها ـ كساء وازارا غليظا وقالت : قبض رسول الله ﷺ في هذين .

وذكر عن عيسى عليه السلام أنه كان يلبس الشعر ، ويأكل من الشجر ولم يكن له بيت يأوي إليه ، ولا كان يدخر طعاما إلى غد ، وكان اينما ادركه الليل نام .

وذكر عنه أنه كان يمشي في يوم صائف شديد الحر فأصابه حر الشمس وأصابه العطش وهو صائم فجلس في ظل خيمة لرجل فقال له : يا هذا قم من ظل خيمتنا فأقامه . فقال له عيسى عليه السلام : ما أنت اقمتني وانما أقامني الذي لم يُرِدْ ان أصيب من الدنيا شيئا .

وذكر في الخبر ان رسول الله ﷺ مات ودرعه مرهون عند يهودي من يهود

خيبر حتى افتكها من بعده عمر ـ رضي الله عنه ـ .

وكان بعض السلف إذا اقبلت عليهم الدنيا يهربون منها وهي الآن تهرب منا فاتبعناها .

وذكر ان رجلا دخل على ابي ذر في بيته فجعل ذلك الرجل يقلب نظره في بيت أبي ذر يمينا وشمالا فقال له : يا أبا ذر ما أرى في بيتك متاعا ولا شيئا من الأثاث فقال له : إن لنا بيتا آخر ونحن نريد ان نرتحل إليه لأنه موضع مقامنا وقرارنا فنحن نوجه اليه صالح متاعنا فقال له ذلك الرجل : فإنه لا بد لك من متاع مادمت ها هنا فقال له : ان صاحب البيت قد أذن لنا بالرحيل والا يتركنا في هذا الحال .

وذكر عنه عليه السلام أنه قال : «الرغبة في الدنيا تكثر الهم والحزن ، والزهد في الدنيا يريح القلب والبدن» .

الباب التاسع

ذكر الصبر على البلاء

قال الله تعالى : ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ [1]

وقال تعالى : ﴿وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا﴾ [2] .

اعلم ايها الانسان الغافل النائم غير مستيقظ أن الدار دار محنة وبلاء . فمن كان في الدنيا فلا بد له من الابتلاء بالشدائد والمحن والمصائب والرزايا .

وينقسم ذلك على أقسام : فمنها مصيبة تكون في الأهل والولد والآباء والأمهات والأخوة والقرابات والأصحاب بالموت والفرقة .

ومنها مصيبة تكون في الأجسام بأنواع الأمراض والأسقام والبلاء . ومنها مصيبة تكون في العرض بأفعال الناس إليه بالمذمة له والأزدراء بالغيبة فيه والنميمة عليه .

ومنها مصيبة بالمال بالتلف والنهب والسرق والغصب والغرق والذهاب . ولكل واحدة من هذه الآفات لوعة عظيمة وحرقة شديدة فيحتاج الانسان عند ذلك الى الصبر عليها ويرجع في أمره الى مولاه ومتى لم يصبر ولم يرد أمره الى الله تعالى فقد هلك وضاع امره ومتى الزم قلبه الفزع والجزع والتلهف على ما أصابه فإن ذلك يمنعه من التفرغ الى العبادة والطاعة لمولاه لأن

---

١ - الآية ١٠ من سورة الزمر

٢ - الآية ١٢ من سورة الانسان

قلبه مشغول وان عمل شيئا من الطاعات فبكد الاخلاص فيه لأن قلبه مملوء من الفكرة فيما اصابه ، وليس له عمل خالص لله إذ ليس له إلا قلب واحد وقد ملأه بالهموم والفكرة والأحزان .

واعلم بالحقيقة ان من قصد الى طريق الآخرة وأراد العبادة والطاعة فهو أشد ابتلاء واكثر محنة من غيره .

ومن كان لله اقرب فمصائب الدنيا له اكثر والبلاء عليه أشد .

كما ذكر عن النبي ﷺ أنه قال : «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الانسان على حسب دينه فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه ، وان كان في دينه رقة خفف الله عنه البلاء ولا يزال البلاء بالعبد حتى يمشي على الأرض وما له ذنب ولا خطيئة » .

وما كرم عبد على الله الا ازداد البلاء عليه شدة فمن تجرد لطريق الآخرة وطريق الخير استقبلته جميع المحن والشدائد فإن لم يصبر على ذلك فلا يصل الى ما يريد من القربة ولا من المقصود ، ولا تستقيم له طريق ولا عبادة بل يشتغل عن العبادة والطاعة بما اصابه من الهم والغم والحزن ، ويتفرغ قلبه من خوف الله وعظمته ويملأه بالهم والغم والحزن والفكرة وهذا الخسران المبين .

واعلم أن الصبر على ثلاثة أوجه : فصبر على المصيبة ، وصبر على الطاعة ، وصبر على المعصية .

فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزاء كتب الله له ثلاثمائة درجة ، ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين السماء إلى الأرض ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ، ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين السماء الدنيا الى العرش .

ومن صبر على المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجة الى

الدرجة كما بين تخوم الأرض السابعة السفلى الى العرش .

وقال ابن عباس : الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه :

صبر على اداء فرائض الله فله ثلاثمائة درجة .
وصبر عن محارم الله وله ستمائة درجة .
وصبر في المصيبة عند الصدمة الأولى فله تسعمائة درجة .

الآيات

وقد وصف الله تعالى الصابرين بأوصاف وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعا وأضاف اكثر الخير والدرجات الى الصبر وجعلها ثمرة له فقال عز ذكره : ﴿وجعلنا منهم ائمة يهدون بأمرنا لما صبروا﴾ [1]

وقال تعالى : ﴿وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا﴾ [2].

وقال تعالى : ﴿ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ [3].

وقال الله تعالى : ﴿اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا﴾ [4] .

وقال تعالى : ﴿انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب﴾ [5] .

فما من قربة إلا وأجرها بتقدير وحساب إلا الصبر ووعد الصابرين بأنه معهم فقال تعالى : ﴿واصبروا إن الله مع الصابرين﴾ [6] .

---

١ ـ الآية ٢٤ من سورة السجدة
٢ ـ الآية ١٣٧ من سورة الأعراف
٣ ـ الآية ٩٦ من سورة النحل
٤ ـ الآية ٥٤ من سورة القصص
٥ ـ الآية ١٠ من سورة الزمر
٦ ـ الآية ٤٦ من سورة الأنفال

وعلق النصرة على الصبر فقال تعالى : **﴿بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين﴾** [1] .

وجمع للصابرين بين أمور لم يجمعها لغيرهم فقال : **﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾**[2] فالهدى والصلوات والرحمة مجموعة للصابرين ، واستقصاء جميع الآيات في مقام الصبر يطول .

الاخبار

قال عليه السلام : «الصبر كنز من كنوز الجنة» .

وقال عليه السلام : «أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس» .

وقال : «من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطي حظه منهما لم يبال بما فاته من قيام الليل وصيام النهار ولأن تصبروا على ما أنتم عليه أحب إليّ من أن يوافيني كل امرىء منكم بمثل عمل جميعكم ولكني أخاف ان تفتح عليكم الدنيا بعدي فينكر بعضهم - لعله - بعضكم بعضا وينكركم أهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ثم قرأ قوله تعالى : **﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾** [3] .

وقال ﷺ : «المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد هواه» .

وقال عليه السلام : «في الصبر على ما تكره خير كثير» .

وقال المسيح عليه السلام : «انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على

---

١ - الآية ١٢٥ من سورة آل عمران

٢ - الآية ١٥٧ من سورة البقرة

٣ - الآية ٩٦ من سورة النحل

ما تكرهون» .
وقال عليه السلام : «من كنوز البر كتمان الأوجاع والمصائب والصدقة» .

وقيل في قوله تعالى : ﴿واصبر صبرا جميلا﴾ [1] ، الصبر الجميل ان يكون صاحب المصيبة في القوم لا يدرى من هو .

وقال ﷺ : «انتظار الفرج بالصبر عبادة»

وقال عليه السلام : يقول الله عز وجل : «اذا ابتليت عبدي ببلاء فصبر ولم يشكني الى عواده أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه فإن ابرأته أبرأته ولا ذنب له وان توفيته فإلى رحمتي» .

وقال نبينا ﷺ : «من اجلال الله تعالى ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك» .

وقال داود عليه السلام : يا رب ما جزاء الحزين الذي يصبر على النوائب ابتغاء مرضاتك فقال الله سبحانه : جزاؤه أن ألبسه لباس الايمان فلا أنزعه عنه ابدا

وقال النبي ﷺ : «سيأتي على الناس زمان لا ينال الملك فيه الا بالقتل والتجبر ، ولا الغنى الا بالغضب والبخل ، ولا المحبة الا باستخراج الدين واتباع الهوى فمن ادرك ذلك الزمان فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى ، وصبر على البغضة وهو يقدر على المحبة ، وصبر على الذل وهو يقدر على العز آتاه الله ثواب خمسين صديقا ممن آمن بي» .

وقال ﷺ : «ان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب» .

معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ [2] : «ثلاث خصال من كن

---

١ - الآية ٥ من سورة المعارج

٢ - رواه منهج الطالبين عن معاذ كما رواه أحمد في مسنده عن عبادة بن الصامت والطبراني

فيه فهو من الأبدال الذين هم قوام الدنيا وأهلها : الرضى بقضاء الله والصبر عن محارم الله والغضب في ذات الله» .

وقال ﷺ : «لو كان الصبر رجلا لكان كريما والله يحب الصابرين» والأخبار في هذا ما لا تحصى .

الآثـــار

وقيل : من ابتلي من المؤمنين ببلاء فصبر عليه كان له مثل أجر الف شهيد .

وقيل : رأس طاعة الله : الصبر والرضى عن الله فيما أحب العبد أو كره ، ولا يرضى عبد عن الله فيما أحب أو كره إلا كان خيرا له فيما أحب أو كره .

وقال منصور بن عمار : من جزع من مصائب الدنيا تحولت مصيبته في دينه .

وقيل : الجنة محفوفة بالمكاره والصبر فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة ، وجهنم محفوفة باللذات والشهوات فمن اعطى نفسه لذتها دخل النار .

قال الناسخ : وذلك يتوجه عندي اذا اعطاها لذتها في الحرام لأن الوعيد يتوجه على من ارتكب الحرام والآثام غير تائب ولا نازع والله اعلم .

وقال السري : اصبر الناس من صبر على الحق .

وقال ابراهيم الخواص : الصبر الثبات على أحكام الكتاب والسنة .

وقال ابن المبارك : الصبر حصن من حصون الصدق منه يرحل الى الآخرة .

وقال القرشي : الصبر مطية لا تكبو .

واعلم ان الصبر ملاك الايمان وذلك بأن التقوى أفضل البر والتقوى بالصبر .

وقال علي : بني الايمان على أربع دعائم : اليقين . والصبر : والجهاد والعدل .

وقال بعض العارفين : أهل الصبر على ثلاث مقامات :

أولها : ترك الشهوة وهذه درجة التائبين .

والثانية : الرضى بالمقدور وهي درجة الزاهدين .

والثالثة : المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين .

وقال بعض الملوك لبعض الزهاد : هل من حاجة ؟ فقال : كيف اطلب منك حاجة وملكي اعظم من ملكك . قال : كيف ؟ فقال : من انت عبده فهو عبد لي فقال : كيف ذلك ؟ قال : انت عبد شهوتك وغضبك وفرجك وبطنك وقد ملكتُ هؤلاء كلهم فهم عبيد لي ، فهذا إذن هو الملك في الدنيا وهو الذي يسوق الى الملك في الآخرة .

والمنخدعون بغرور الشيطان خسروا الدنيا والآخرة جميعا .

وقال : إنه أوحى الله الى موسى عليه السلام : (اني اذا احببت عبدا ابتليته ببلايات لا تقوم بها الجبال لأنظر كيف صدقه ، فإن وجدته صابرا اتخذته وليا وحبيبا ، وان وجدته جزوعا يشكوني الى خلقي خذلته ولم أبال) .

وذكر في الخبر : ان أيوب عليه السلام مكث ملقى في كوم مزبلة سبعة أعوام فلا يمر عليه أحدا الا وضع يده على أنفه من شدة نتنه ، حتى ذكر انه مر عليه رجلان من اكرم اصحابه عليه اذ كان في صحته فقال احدهما للآخر ما تقول في هذا ؟

فقال الآخر : لو كان لله بهذا حاجة أو كان كريما على ربه ما بلغ به من البلاء ما بلغ ، فلما سمع أيوب مقالته نادى ربه فقال : ﴿**رب اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين**﴾ .[1]

وانما اراد خير الكلام الذي سمع من الرجل والله اعلم .

وذكر عن لقمان أنه قال لابنه : يا بني إن الذهب يجرب [2] بالنار ، وان العبد الصالح يجرب بالبلاء ، فإذا احب الله عبدا ابتلاه فمن رضي فله الرضى ومن سخط فعليه السخط .

وذكر في الخبر : انه كان في بني اسرائيل ملك جبار طاغ يدعو الناس الى اكل لحم الخنزير ، فأتى بامرأة يقال لها سارة وكان لها سبعة اولاد وكانوا من المجتهدين في عبادة الله وطاعته ، فدعا باكبر اولادها ليأكل لحم الخنزير فقال له : ما كنت آكل شيئا مما حرم الله علي ، فأمر به فقطعت يداه ورجلاه وجميع اعضائه عضوا عضوا وأمه واخوته ينظرون اليه والى فعله ولم يزل يعذبه حتى مات ثم دعا بالذي يليه من تحته فقال له : كل شيئا من لحم الخنزير فقال له : ما كنت لآكل شيئا مما حرم الله عليَّ فأمر بعذابه فأتوه بقدر كبير من نحاس فملأه زيتاً ثم امر ان توقد تحته النار حتى غلي ، ثم اخذه ورمى به في القدر فتناثر لحمه من عظمه ، ثم دعا بالذي يليه من تحته فقال له : كل من لحم الخنزير ، فقال له : ما كنت لآكل شيئا مما حرم الله علي وانت اهون عندي واحقر من ذلك فاصنع ما شئت ، فقال لمن حوله اتدرون ما أراد هذا بقوله ؟

---

١ - الآية ٨٣ من سورة الأنبياء

٢ - وجد في الأصل ان (الذهب بالنار) والصحيح ما أثبت

إنما اراد ان يغضبني حتى أعجل بقتله فأمر به فسلخ جلده وهو حي حتى مات ، ثم دعا بالذي تحته فقال له كل شيئا من لحم الخنزير فقال له : ما كنت آكل شيئا مما حرم الله علي فاصنع ما شئت يا عدو الله ، فأمر ان تحفر في الأرض حفرة ثم ملئت حطبا وأوقد فيها بالنار حتى صارت جحيما ثم رمي فيها فلم يزل يقتل كل واحد منهم بقتلة لم يقتل بها أخاه ، وكان يتخير لكل واحد منهم نوعا من العذاب حتى لم يبق منهم إلا الصغير فالتفت اليه والى امه فقال لها لعلك ان تخلي بابنك هذا وتأمريه ان يأكل لقمة واحدة من لحم الخنزير ويعيش لك وأنعم عليه وعليك . فقالت نعم فمرت به حتى دخلت في موضع منفرد وخلت [1] به فقالت له : يا بني اعلم ان كل واحد من اخوانك كان لي عليه حق ولي عليك أنت حقان ، وذلك أني ارضعت كل واحد من اخوانك حولين حولين وارضعتك انت اربعة احوال ، وذلك أن أباك مات وأنا حامل بك فأدركني عليك الاشفاق ليتمك فأرضعتك اربعة احوال .

فأسألك بحق الله وحقي عليك الا ما صبرت على القتل ساعة واحدة ولا تأكل شيئا مما حرم الله عليك ، فإذا صبرت فأنت تلقى اخوتك في دار الكرامة وتلحق بهم يوم القيامة وتظفر معهم في الدرجات العلا عند الله تعالى غدا ، فبكى الطفل بكاء شديدا ثم قال الحمد لله يا أماه الذي اسمعني منك هذا القول ، وانما كنت أخاف ان تأمريني بأكله وكنت لا أفعل ذلك ، وأما الآن فقد طابت نفسي للموت . فاتت به الى الملك وقالت له دونك واياه فقد عزمت عليه فأبى ان يأكل من لحم الخنزير شيئا فأخذه وقتله والحقه بإخوته ثم قال لها : كلي انت من لحم الخنزير لقمة واحدة واصنع معك الخير وافعل لك ما تريدين . فقالت له : ما كنت لآكل شيئا مما حرم الله علي فيجتمع علي همان : ثكل اولادي ومعصية ربي ، فاصنع ما شئت واقض ما تريد ، فقتلها والحقها ببنيها . فتدبر ايها الانسان هذا الخبر العجيب الفظيع ذكره ، وانظر

---

١ - وجدت في الأصل (ودخلت) به والصحيح ما أثبت

الى هؤلاء كيف صبروا على شدة العذاب ولم يصرفهم ذلك عن دينهم ، بل صبروا واحتسبوا اجورهم على الله فأعقبهم الفوز والراحة في دار الكرامة .

فعليك أيها الانسان بالصبر في جميع الامور ولا تجزع فقد جرى عليك القلم بالقضاء السابق عليك وتكون مأثوما .

الباب العاشـــر
في فضائل الفقر

اعلم أن الفقر أفضل من الغنى لأن النبي ﷺ عرضت عليه خزائن الأرض فاختار تركها وصبر على الفقر ، ومحال ان يختار ادنى الحالين ، بل اختار افضلهما ، ومن فضل الفقر على الغنى أن بالصبر على الفقر الثواب ، ولا ثواب بالصبر على الغنى وايضا فلو لم يكن في الفقر فضيلة سوى أنه حرفة رسول الله ﷺ واقتداء به لكان عظيما .

وفي صحف موسى عليه السلام التي أنزلها الله عليه أن من عبادي لو سألني الجنة بحذافيرها لأعطيته ولو سألني من الدنيا علاقة سوط ما أعطيته ليس ذلك من هوانه علي ولكن اريد ان ادخر له من كرامتي أحميه من الدنيا كما يحمي الراعي غنمه من مواقع السوء .

يا موسى إني لم الجىء الفقراء الى الأغنياء لأن خزائني ضاقت أو رحمتي لم تسعهم ، ولكني فرضت للفقراء في اموال الأغنياء ما يسعهم من صدقات أموالهم ، فأردت ان أبلو الاغنياء كيف مسارعتهم في دفع ما فرضت للفقراء عليهم في اموالهم فإن فعلوا خلفت عليهم في الدنيا الواحدة عشر أمثالها ، وادخرت لهم في الآخرة حسن الثواب ، وان يذكر أهل النعمة أهل البؤس ، وأهل السعة أهل الضعف ـ لعله ـ الضيق ، واهل العافية اهل البلاء والآفات وأوحيت لهم رضواني في الجنة ونعيم ثواب الصابرين .

يا موسى : قل للأغنياء ادفعوا عنكم البلايا بالدعاء والاخلاص وداووا مرضاكم بالصدقة ولا تحقر الفقير لفقره ، ولا تنهروا المسكين ، ولا تقهروا اليتامى ، ولا تؤذوا الأرملة ، وواسوا الفقير ، وداووا العلة ، وآووا الغريب ، وفكوا رهن المحتاج .

وعن رسول الله ﷺ أنه قال : «ليس شيء أحب الى الله من خلقه الا واحب خلقه إليه الأنبياء وابتلاهم بالفقر» .

وكان من دعاء النبي ﷺ لمن أحبه ورضي عمله : «اللهم ارزقه كفافا» ولمن وجد عليه : «اللهم اكثر ماله وولده» وقال رسول الله ﷺ : «ان من كان قبلكم من الأنبياء لمن كان يبتلى بالعري حتى لم يجد شيئا يواري به عورته إلا العباءة يدرعها ، وأن منهم من كان يسلط عليه القمل حتى يقتله ، وانهم ليسرون بذلك كما تسرون بالعطاء والعافية .

وكان يقول : «ما حبس الله الدنيا عن محمد واصحابه لهوانهم عليه ، ولا بسطها لكم لكرامتكم عليه ، حبسها عنهم اختيارا ، وبسطها لكم اغترارا» .

وكان السائل يأتي اهل بيت النبي ﷺ فيقال له : ما أمسى في بيت آل محمد صاع من طعام وهي يومئذ تسعة بيوت [1] ولقد كان يمر بأهل بيت النبي هلال بعد هلال ما توقد في بيت من بيوتهم نار لطبخ ولا لخبز وانما كانوا يعيشون بالأسودين : الماء والتمر .

وقال حذيفة بن اليماني إن أقر أيامي لعيني يوم آتى اهل فيشكون الحاجة ، والذي نفسي بيده لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ان الله تعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الوالد ولده بالخير فكفى بهذا شرفا للفقراء ، إذا كان الفقر حرفة الانبياء والمرسلين وهم خيرة الله وأمناؤه على

١ ـ وردت في الأصل (أبيات)

وحيه وأحباؤه وأصفياؤه من خلقه وحرفة الأولياء الصالحين .

وكفى بلاء وآفة للأغنياء ما أوردناه في جمع المال ، وما يتعلق فيه من المؤن في الدنيا والحساب والسؤال في الآخرة .

فانظر لنفسك يا أخي ما استطعته واترك الرغبة في الدنيا تكن من الفائزين في الآخرة .

وسنورد من الأخبار والاحاديث في فضائل الفقر ما فيه شفاء لمن تأملها وامتثلها إن شاء الله . قال الله تعالى : **﴿للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض﴾** [1] الآية .

ساق الكلام في معرض المدح ثم قدم وصفهم بالفقراء على وصفهم بالهجرة والاحصار ، وفيه دلالة واضحة على مدح الفقر .

وروي عن عمر قال : قال رسول الله ﷺ لأصحابه : «اي الناس خير؟ فقالوا : موسى يعطي حق الله من نفسه وماله . فقال : نعم الرجل هذا وليس به [2] . قالوا : فمن خير الناس يا رسول الله ؟ فقال : فقير يعطي جهده» .

وبلغنا أن رسول الله ﷺ قال : «إن الله تبارك وتعالى يقول : ان احب عبادي إلي الفقراء الذين يطيعون أمري ويحفظون وصيتي وان من كرامتهم علي ان لا اعطيهم مالا يشتغلون به عن طاعتي» .

ويقال : ما من بار ولا فاجر الا ود يوم القيامة ان لو كان فقيرا في الدنيا لكي يكون أهون للحساب عليه .

---

١ ـ الآية ٢٧٣ من سورة البقرة

٢ ـ أي ليس هو خير الناس

وقال ﷺ : «من أحسن صلاته وقل ماله وكثر عياله ولم يغتب الناس جئت أنا وهو كهاتين» وأشار الى المسبحة والوسطى .

وقال أبو ذر : ذو الدرهمين اشد حسابا من ذي الدرهم .

عن ابي ذر الغفاري أن النبي ﷺ قال : «المكثرون هم الاسفلون الا من قال بالمال هكذا وهكذا اربع مرات . يعني يتصدق عن يمينه وعن يساره وعن خلفه ومن بين يديه وقليل ما هم» .

قال الفقيه : معنى قوله : (المكثرون هم الاسفلون) ، يعني اذا كان الغني من أهل الجنة فهو أسفل درجة من الفقير ، وان كان من أهل النار فهو من أسفل درك من النار ، إلا من قال بالمال هكذا يعني يتصدق عن يمينه وعن شماله وعن خلفه ومن بين يديه وقليل ما هم . قلَّ ما يوجد هذا في الأغنياء لأن الشيطان يزين لهم أموالهم في الدنيا .

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : ان الفقر مشقة في الدنيا مسرة في الآخرة ، وان الغنى مسرة في الدنيا مشقة في الآخرة .

وقال بعض الحكماء : اربع من كن فيه فهو محروم من الخير كله :

من تطاول على من تحته ، والعاق لوالديه . ومن يحقر القريب . ومن يعير المساكين بمسكنتهم .

وروي عن النبي ﷺ ما أوحى الله تعالى إلي ان أجمع المال واكون من التاجرين ولكن أوحى الله تعالى الي ان ﴿**فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين**﴾ [1] .

عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : أوتي بغنائم من غنائم

---

١ ـ الآيتان ٩٨ ، ٩٩ من سورة الحجر

القادسية فجعل يتصفحها وينظر إليها وهو يبكي فقال له عبدالرحمن بن عوف هذا يوم الفرح والسرور يا أمير المؤمنين .

قال : اجل ولكن ما أوتي هذا بقوم الا وقع بينهم العداوة والبغضاء ، فالواجب على الفقير ان يعرف منة الله تعالى ، ويعلم أنه قد صرف عنه الدنيا لكرامته عليه واكرمه بما اكرم به الأنبياء صلوات الله عليهم والأولياء ويحمد الله تعالى ، ولا يجزع في ذلك ولا يشكو امره الى احد ويصبر على نفسه من ضيق العيش ، ويستعف ويعلم أن ما وعد به في الآخرة خير له مما صرف عنه في الدنيا .

وقد روي ان الله عز وجل قال في بعض الكتب السالفة المنزلة (يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فإذا اعطيتك منها قوتا وجعلت حسابها الى غيرك فأنا إليك محسن) .

وروي ان النبي ﷺ كان متواضعا من غير ذل ، جوادا من غير سرف ، رحيما بكل ذي قريب . ومسلم رقيق القلب لم يبشم قط من شبع ، ولم يمد يده الى طمع ، ولم يبث إلى أحد شكوى ، ولم يمتلىء قط شبعا ، وانه كان القوت والفاقة احب اليه من اليسر والغنى وان كان جائعا يلتوي من شدة الجوع ليله حتى يصبح فما يمنعه ذلك من صيام يومه . ولو شاء لسأل الله فيؤتى من كنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها من مشارقها ومغاربها .

وقال ﷺ : «ان الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال» وقال ﷺ ايضا : «خير هذه الأمة فقراؤها وأسرعها نجعا الى الجنة ضعفاؤها» .

وروي أن جبريل عليه السلام نزل على رسول الله ﷺ فقال : يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول : أتحب ان اجعل هذه الجبال ذهبا تكون معك حيثما كنت فأطرق رسول الله ﷺ ثم قال : يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له فقال جبريل : يا محمد ثبتك الله

بالقول الثابت .

وعن أبي رافع انه قال : ورد على رسول الله ﷺ ضيف فلم يجد ما يصلحه فأرسلني الى رجل من يهود خيبر فقال : قل له يقول لك محمد اسلفني أو بعني دقيقا الى هلال رجب قال : فأتيت اليهودي فقال : لا والله الا برهن . فاخبرت رسول الله ﷺ بذلك . فقال : أما والله اني لأمين في اهل السماء أمين في أهل الأرض ولو باعني او سلفني لأديت اليه اذهب بدرعي هذا اليه فارهنه فلما خرجت نزلت هذه الآية : ﴿**ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به**﴾ [1] الآية تعزية له ﷺ عن الدنيا .

وقال عمران بن الحصين : كانت لي من رسول الله ﷺ منزلة وجاه فقال : «يا عمران ان لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله ﷺ» فقلت : نعم بأبي وأمي انت يا رسول الله وقمت معه حتى وقف بباب فاطمة وقال : «السلام عليكم . ادخل ؟» فقالت : ادخل بأبي وأمي يا رسول الله قال : «انا ومن معي ؟» قالت ومن معك يا رسول الله ؟ قال : «عمران» . قالت فاطمة : والذي بعثك بالحق نبيا ما علي إلا عباءة قال : «اصنعي بها هكذا وهكذا» وأشار بيديه . فقالت : هذا جسدي قد واريته فكيف برأسي فألقى إليها ملاءة كانت عنده فقال : شدي بها على رأسك ، ثم اذنت له فدخل فقال : «السلام عليك يا بنتاه كيف اصبحت ؟» فقالت : أصبحت والله وجيعة وزادني الوجع وجعا على ما بي أني لست اقدر على طعام آكله فقد اضر بي الجوع فبكى رسول الله ﷺ وقال : «لا تجزعي يا بنتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث واني لأكرم على الله منك ولو سألت ربي لاطعمني ولكن آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها : ابشري والله إنك لسيدة نساء أهل الجنة» فقالت : أين آسيا امرأة فرعون ومريم ابنة عمران : قال : آسيا سيدة نساء عالمها متروك ، وانت سيدة نساء

---

١ - الآية ١٣١ من سورة طه

عالمك انكن في بيوت من قصب لا اذى فيهن ولا صخب ولا نصب» .

وقال ﷺ : «من اصبح منكم آمنا في سربه [1] معافى في جسده وعنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها» .

وقال عطاء الخراساني : مر نبي من الأنبياء بساحل البحر فإذا هو برجل يصطاد حيتانا . فقال : بسم الله والقى الشبكة فلم يخرج فيها شيء ثم مر بآخر. فقال : بسم الشيطان والقى شبكته فخرج منها ما كان يتقاعس من كثرتها . قال النبي يا رب ما هذا ؟ وقد علمت ان ذلك بيدك . فقال تعالى للملائكة اكشفوا لعبدي منزلتيهما . فلما رأى ما أعد الله لهذا من الكرامة ولذاك من الهوان . فقال قد رضيت يا رب .

وقال نبينا ﷺ : «اطّلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء» .

وفي لفظ آخر : «فقلت أين الأغنياء ؟ قال : حبسهم الجد» .

وفي حديث آخر قال : «رأيت أكثر أهلها النساء فقلت : ما شأنهن ؟ فقيل : شغلهن الأحمران : الذهب والزعفران» .

وفي خبر : «آخر الأنبياء دخولا الجنة سليمان بن داود لمكان ملكه وآخر أصحابي دخولا الجنة عبدالرحمن بن عوف لأجل غناه» .

وقال ﷺ : «ألا أخبركم بملوك أهل الجنة ؟» فقالوا : بلى يا رسول الله . فقال : «لكل ضعيف مستضعف أغبر أشعث ذي طمرين لا يؤ به له لو أقسم على الله لأبره» .

وقال ـ عليه السلام ـ : «أكثروا معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الأيادي

---

١ ـ رواه الترمذي عن عبيدالله بن محصن

فإن لهم دولة» فقالوا : يا رسول الله وما دولتهم ؟ قال : «إذا كان يوم القيامة قيل لهم : انظروا من أطعمكم كسرة أو سقاكم شربة وكساكم ثوبا فخذوا بيده وافضوا به إلى الجنة» .

ولما قال سادة[1] العرب وأغنياؤهم للنبي ﷺ : اجعل لنا يوما ولهم يوما يجيئون إليك ولا نجيء[2] (يعنون بذلك الفقراء مثل بلال وسلمان وصهيب وأبي ذر وخباب بن الأرت وعمار بن ياسر وأبي هريرة أصحاب الصفة من الفقراء). فأجابهم النبي ﷺ إلى ذلك لأنهم شكوا إليه التأذي برائحتهم ، وكان لباس القوم الصوف في شدة الحر فإذا عرقوا فاحت الروائح من ثيابهم فاشتد على الأغنياء ذلك . منهم الأقرع بن حابس التميمي وعتبة بن بدر الفزاري وعباس بن مرداس السلمي وغيرهم ، فأجابهم رسول الله ﷺ ألا يجمعهم وإياهم في مجلس . فنزل قوله ـ تعالى ـ : **﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم﴾** ـ يعني الفقراء ـ **﴿تريد زينة الحياة الدنيا﴾** ـ يعني الأغنياء ـ **﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه﴾** ـ يعني الأغنياء ـ **﴿وقل الحق من ربكم﴾** ـ مع الفقراء ـ **﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾**[3] (الآية) .

ولما استأذن ابن أم مكتوم على النبي ﷺ وعنده رجال من أشراف قريش شق ذلك على رسول الله ﷺ فأنزل الله : **﴿عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى﴾**[4] يعني ابن أم مكتوم **﴿أما من استغنى فأنت له تصدى﴾** يعني الشريف .

فانظر يا أخي أي فضل وشرف للفقراء أعظم من هذا ، وانظر كيف

---

١ ـ وجدت في الأصل (السادات العرب) والصحيح ما أثبت

٢ ـ تكررت العبارة فحذف المكرر حيث لا داعي له

٣ ـ الآيتان ٢٨ ، ٢٩ من سورة الكهف

٤ ـ الآيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ من سورة عبس

عاتب الله نبيه على ذلك وأمره بأن يصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي في معنى الرواية هم المعنيون بذلك فكفى به شرفا وفضلا مبينا .

وقال أيضا ـ عليه السلام ـ : «لا أجد أفضل من الفقير إذا كان راضيا» .

وقال ﷺ : «يقول الله ـ تعالى ـ يوم القيامة : أين صفوتي من خلقي ؟ فتقول الملائكة : من هم يا ربنا ؟ فيقول : فقراء المسلمين القانعين بعطائي الراضين بقدري أدخلوهم الجنة» فيدخلونها ويأكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون فهذا في القانع والراضي .

وقال بعض أهل التحقيق : كفى للفقراء فخرا أن مقدمهم عيسى بن مريم ، وكفى للأغنياء مهانة أن رأسهم قارون خسف به الأرض .

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : «أحب العباد إلى الله ـ تعالى ـ الفقير القانع برزقه الراضي عن الله» .

وأوحى الله إلى اسماعيل ـ عليه السلام ـ : (اطلبني عند المنكسرة قلوبهم . قال : ومن هم ؟ قال : الفقراء الصادقون) .

عن أنس بن مالك قال : بعث الفقراء رسولا إلى رسول الله ﷺ فقال : إني رسول الفقراء إليك . قال : «مرحبا بك وبمن جئت من عندهم ، جئت من عند قوم أحبهم الله» قال : قالوا يا رسول الله إن الأغنياء ذهبوا بالخير يحجون ولا نقدر عليه ويعتمرون ولا نقدر عليه وإذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخيرة لهم عند ربهم . فقال النبي ﷺ : «بلغ عني الفقراء أن لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست في الأغنياء ؛ أما خصلة[1] واحدة فإن في الجنة غرفا ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الأرض إلى نجوم السماء

---

١ ـ هكذا في الأصل والمعنى ؛ الخصلة الأولى

لا يدخلها إلا نبي فقير أو شهيد فقير أو مؤمن فقير . والثانية ؛ يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام . والثالثة ؛ إذا قال الغني سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغني بالفقير ، وإن أنفق معها عشرة آلاف درهم وكذلك أعمال البر كلها» . فرجع إليهم فأخبرهم بما قال ـ عليه السلام ـ فقالوا : رضينا .

واعلم أنه يجب على من ابتلي بالفقر أن يلتزم الصبر والعفة والشكر لله على ما ابتلاه به من الفقر ، وأن لا يجزع ولا يسخط على ربه فيحبط أجره فيه فإن أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة كما جاء في الخبر عن النبي ﷺ أنه قال : «إن أشد الناس عذابا يوم القيامة من اجتمع عليه فقر في الدنيا وعذاب في الآخرة» وفي خبر آخر : «أشقى الأشقياء من اجتمع عليه الفقر في الدنيا والعذاب في الآخرة» قيل : يعني فقر القلب وأن يلجأ في فاقته وحاجته إلى الله ـ تعالى ـ ، ولا يكشف حاله إلى المخلوقين ، ويسأل الله من فضله فإن الله يأتي برزقه من حيث لا يحتسب وهو العليم بحاله .

وقد قال ﷺ : «يا معاشر الفقراء اعطوا الله الرضى من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم» .

واعلم أن للفقير على الغني خمس كرامات ؛ أحدها أن ثواب عمل الفقير أكثر من ثواب عمل الغني في الصلاة والصوم والصدقة وغير ذلك .

والثانية : إذا اشتهى الفقير شيئا فلم يجد لما يشتريه ولا قدر عليه يكتب له الأجر في ذلك .

والثالثة : أن الفقراء يسبقون الأغنياء إلى الجنة .

والرابعة : أن حساب الفقير في الآخرة أقل من حساب الغني .

والخامسة : أن ندامة الفقير يوم القيامة أقل لأن الأغنياء يتمنون يوم

القيامة أن لو كانوا فقراء ، ولا يتمنى الفقراء أن لو كانوا أغنياء .

وقال عيسى ـ عليه السلام ـ : لا تنظروا إلى أموال الأغنياء فإن بريق أموالهم يذهب بنور إيمانكم .

وقال رسول الله ﷺ : «طوبى لمن هدي للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به» .

وقال ابن مسعود : ما من يوم إلا وملك ينادي من تحت العرش : يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك ويلهيك .

وقال عمر : إن الطمع فقر واليأس غنى وأنه من ييأس عما في أيدي الناس وقنع استغنى عنهم .

وقيل لبعض الحكماء : ما الغنى ؟ قال : قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك .

وفي الخبر : لكل أمة عجل وعجل هذه الأمة الدينار والدرهم .

وفي الحديث : «أوحى الله إلى داود ـ عليه السلام ـ أن من عبادي عبادا كان صلاح إيمانهم في فقرهم ولو أغنيتهم لكفروا» .

وقال بعض الحكماء : مسكين ابن آدم ولو يخاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعا ، ولو يرغب في الجنة كما يرغب في الدنيا لفاز بهما جميعا ، ولو يخاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسعد في الدارين جميعا .

وروي عن علي عن رسول الله ﷺ قال : «إذا أبغض الناس فقراءهم وأظهروا عمارة الدنيا وتكالبوا على جمع الدراهم رماهم الله بأربع خصال ؛ بالقحط من الزمان ، والجور من السلطان ، والخيانة من ولاة الأحكام ، والشوكة من الأعداء» .

وقيل : تقتير المرء على نفسه توفير منه على غيره .

وقيل : ما جمع في تقتير إلا وأنفق في تبذير .

شعرا :

خـير مـن المال ومـن أهـله	عـلم يـرد المـرء عـن جـهـله
لم ينتفـع بـالمال يـومـا إذا	اجـلز بـالـزلات عـن فـعـله
ود امـرؤ يـومـا لـو يفتـدى	بـالمال والأولاد مـع أهـله
لـو يفتدى الكـافر من ذهب	مـلء الـسمـوات ومـن مـثله
مـا يقبـل الـرحمن منه الفـدا	بـل سـقـر في وجهـه تـصـله

وقال بعض : ستر الفقير من كنوز البر .

الباب الحادي عشر

في الحيـــاء

قيل ان داود ـ عليه السلام ـ ما رفع رأسه إلى السماء استحياء من الله ـ تعالى ـ إلى أن مات .

وكان يقال : احيوا الحياء بمجالسة من تستحيون منه .

وقيل : كفى بالحياء على الخير دالا وعلى السلامة مخبرا .

وقيل : خصلتان يحبهما الله ـ تعالى ـ ؛ الحلم والعلم والحياء .

وروي عن النبي ﷺ قال ذات يوم لأصحابه : «استحيوا من الله حق الحياء» قالوا : إنا نستحي والحمد لله . قال : «ليس ذلك بالحياء ولكن من يستحي من الله فليحفظ الرأس وما حوى والجوف وما حوى والبطن وما حوى والنظر وما وعى وليذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا ومن فعل ذلك فقد استحى من الله حق الحياء» معنى الرأس وما حوى يريد ما فيه من السمع والبصر واللسان أن لا يستعملهن إلا في خلة . قال الناسخ : ومعنى الخلة هي الحاجة . والجوف وما حوى أراد بالجوف البطن والفرج كما جاء في الحديث إن أخوف ما أخاف عليكم الأجوفان : الفرج والبطن . ومنه حديث جندب : من استطاع منكم أن لا يجعل في بطنه إلا حلالا طيبا فإن أول

ما يفتن الانسان من بطنه . ومعنى النظر وما وعى يعني القلب وما وعى من معرفة الله ـ تعالى ـ والعلم بحلاله وحرامه ، وأن لا يضيع ذلك ويريد بالرأس وما حوى ؛ الدماغ وانما خص القلب لأنه مجمع العقل .

وقال مهلب : من فعل في السر ما يستحي منه في العلانية فليس لنفسه عنده قدرة سليمان .

أول ما ينزع الله من ابن آدم : الحياء فيكون ممقوتا ، ثم ينزع منه الأمانة فيكون خائنا مخونا ، ثم ينزع منه الرحمة فيكون فظا غليظا .

وقال بعض الحكماء : من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه .

وقال صالح بن عبدالقدوس :

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه ... ولا خير في وجه إذا قل ماؤه
حياؤك فاحفظه عليك فإنما ... يدل على وجه الكريم حياؤه

وقيل : حياء الانسان على ثلاثة أوجه ؛ حياؤه من الله ـ تعالى ـ والثاني حياؤه من الناس ، والثالث حياؤه من نفسه .

فحياؤه من الله ـ تعالى ـ بامتثال أوامره والكف عن زواجره .

وأما حياؤه من الناس ؛ فكف الأذى وترك المجاهرة بالقبيح .

وأما حياؤه من نفسه ؛ فبالعفة وصيانة الخلوات .

وقيل : إن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ يتمثل بهذا الشعر :

وحاجة دون الأخرى قد سنحت لها ... جعلتها للذي أخفيت عنوانا
واني لأرى من لا حياء له ... ولا أمانة بين الناس عريانا

وقال غيره :

وإني ليثنيني عن الجهـل والخنـا ... وعن شتم ذي القربى خلائق أربع
حيـاء واسـلام وتقـوى وانـني ... كـريم ومثـلي قـد يضـر وينفـع

وقال آخر :

وسـري كـإعـلاني وتلك خليقتي ... وظلمـة ليلي مثـل ضـوء نهاري

وقيل : إن رجلا مر بقبر رجل كان يجله في حياته فأطرق في الأرض حياء منه واجلالا ثم قال :

وإني لأستحييـه والتـرب دونـه ... كـما أستحييـه وهـو يـراني

وهذا غاية في الوفاء والكرم وحسن الخلق .

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : «من اتقى الله اتقى الناس» .

وقال ﷺ : «من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له» وقد قيل في ذلك شعر :

إذا لم تخش عـاقبـة الـليـالي ... ولم تستحـِ فـافعـل ما تشـاء
فـلا والله مـا في العيش خـير ... ولا الـدنيـا إذا ذهب الحيـاء

وقال آخر :

ورب قبيحـة مـا حـال بيـني ... وبـين ركـوبهـا إلا الحـيـاء
إذا رزق الفتى وجهـا وقـاحـا ... تقلب في الأمـور كـما يشـاء

ودعا قوم رجلا وكان يألفهم ويألف عشيرتهم فلم يجبهم وقال : إني دخلت البارحة في الأربعين واني استحي من سني .

وقال ابن أحمر :

قد كنت أهدي ولا أهدى فأورثني   حسن المقـادة إذ فـاتني بصـري
لولا الحياء وبـاقي الدين عبتكم   ببعض ما فيكما إذ عبتما عوري

وقال بعض : يا رسول الله ؛ عوراتنا ما نأتي منها وما نذر ؟ قال : «احفظ عورتك إلا من زوجتك وما ملكت يمينك» .

قال : يا رسول الله ؛ إذا كان القوم بعضهم عن بعض خاليا ؟ قال : «الله أحق أن تستحي منه من الناس» .

جابر بن زيد عن رسول الله ﷺ قال : «الحياء من الايمان والايمان في الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء في النار»[1] .

وقال جابر بن زيد ـ رحمه الله ـ : ان رسول الله ﷺ قال : «إن الله اختار لكم دينا فأكرموه بالحياء وحسن الخلق فلا يكون إلا بهما» .

حكي أن الربيع بن حكيم كان يداوم على غض البصر حتى إن النساء كن يقلن : ما أجمل هذا إلا أنه أعمى .

وسئل حكيم عن الفاسق قال : من لم يغض بصره عن أبواب الناس .

وذكر في الخبر أن الله ـ تعالى ـ أوحى إلى داود ـ عليه السلام ـ : يا داود ؛ الحياء ركن من أركان الدين فمن ذهب حياؤه ذهب وفاؤه ، ومن ذهب وفاؤه ذهب عقله ، ومن ذهب عقله ذهب دينه ، ومن ذهب دينه ذهب خلقه إلى الانحطاط .

وكان النبي ـ عليه السلام ـ أشد حياء من العذراء في خدرها .

---

١ ـ رواه الحاكم

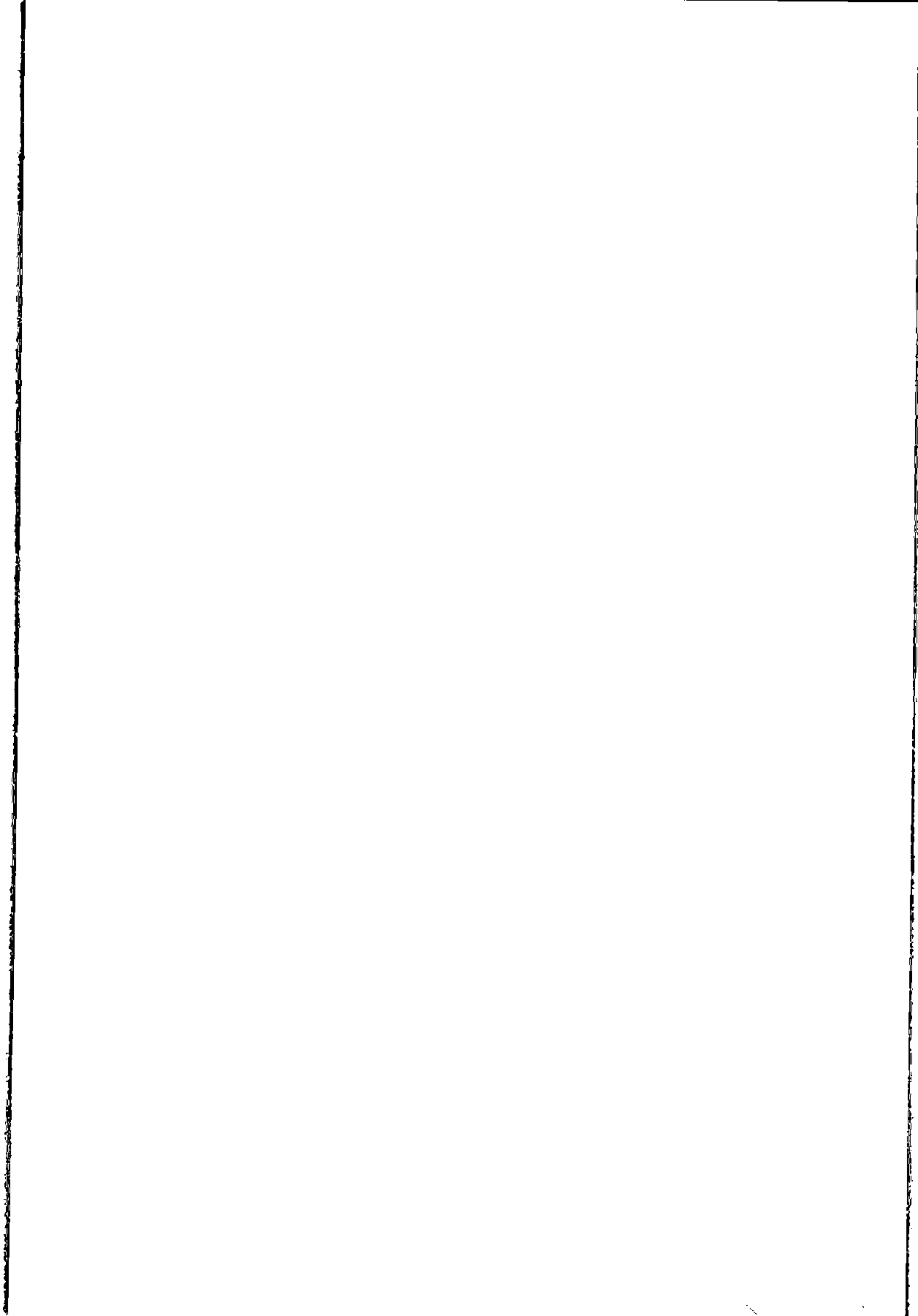
وقيل : لكل شيء كرم ، وكرم القلب الحياء ، ولكل شيء زينة وزينة الحياء ترك الذنوب ، ولكل شيء ثمرة وثمرة الحياء اكتساب الخير .

وكذلك لا يثبت لأحد دين إلا بالعقل والحياء ، ومنزلة الحياء من الايمان بمنزلة الرأس في الجسد ، فإذا عدم الجسد الرأس لم يكن له قيمة ، وإذا عدم الدين الحياء فليس بإيمان ، لأن العبد إذا استحى من الله اجتنب معاصيه ، وإذا لم يستح من الله يقع في المعاصي حتى يقع في الكفر فينبغي لكل مسلم أن يستحي من الله ويغض بصره عما لا يحل له من محاسن الرجال والنساء والصبيان وعن النظر إلى الدنيا بعين الرغبة فيها ويجتنب النظر إلى اللهو واللعب وجميع المنكرات .

ويجب عليه أن يحفظ عورته عن كل ما حرم الله ويستر عورته حتى لا تقع عين أحد من الناس على عورته .

كذلك يجب عليه أن يتعاهد نفسه عند قضاء حاجة الانسان من البول والغائط ، وعند الاستنجاء للوضوء يستر نفسه ويحفظ عورته جهده لئلا ينظر أحد إلى عورته .

وأصل الحياء تقوى الله ، وكان النبي ـ عليه السلام ـ إذا أراد حاجة الانسان لا يرفع ثوبه حتى يدنو من الأرض .



الباب الثاني عشر

في التواضـــع

اعلم أن التواضع من أخلاق المؤمنين والأنبياء والصالحين .

وقد مدح الله عباده المؤمنين بالتواضع فقال الله ـ تعالى ـ : ﴿**وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما**﴾[1] .

وقال ـ تعالى ـ لنبيه ـ عليه السلام ـ : ﴿**واخفض جناحك للمؤمنين**﴾[2] .

وكان ـ عليه السلام ـ من خلقه التواضع حتى ذكر عنه ـ عليه السلام ـ أنه قال : «أوتيت خزائن الأرض وخيرت أن أكون نبيا عبدا وأن أكون نبيا ملكا فأومأ إليّ جبريل ـ عليه السلام ـ أن تواضع فاخترت أن أكون عبدا نبيا فأثابني ربي على هذا أني أول من تنشق عنه الأرض وأول شافع وأول من يدخل الجنة» ﷺ .

وذكر عنه ﷺ أنه قال : «من سره أن يتمثل الناس إليه قياما ، ويعجبه إذا قام الناس إليه قياما يعظمونه بذلك فليتبوأ مقعدا من النار» .

---

١ - الآية ٦٣ من سورة الفرقان

٢ ـ الآية ٨٨ من سورة الحجر

ولم يكن أحد أحب إلى أصحاب رسول الله ﷺ منه ، وكانوا إذا أقبل عليهم النبي ﷺ وهم قعود لا يقوم أحد منهم إليه لما يعلمون من كراهيته لذلك ﷺ .

وذكر في الخبر : ان النجاشي ملك الحبشة أرسل إلى جعفر وأصحابه حين هاجروا من مكة إلى أرض الحبشة لما كثر إيذاء الكفار لهم فدخلوا على النجاشي فوجدوه جالسا على الأرض وليس تحته شيء يحجبه عن التراب ، وعليه ثياب خلقة فأشفقوا من حاله وملبسه حين رأوه على تلك الحالة ، وأنكروا ذلك من فعله لما كانوا يعرفون قبل ذلك من حاله وملبسه فلما رأى التغيير في وجوههم قال لهم : إني أبشركم بما يسركم وأخبركم أن الله ـ تعالى ـ قد نصر نبيكم ، وإني قد جاءني من نحو أرضكم عير لي فأخبرني أن الله قد نصر نبيه وأهلك عدوه وقد أسر فلان ، وقتل فلان وفلان ، والتقوا بواد يقال له بدر . فقال له جعفر : أيها الملك ؛ أراك جالسا على التراب وليس تحتك شيء يحجبك عن التراب ، وأرى عليك هيئة الثياب الخلقة . فقال له النجاشي : إنا نجد في كتاب الله الانجيل المنزل على عبده عيسى ـ عليه السلام ـ أن حقا على عباد الله أن يحدثوا الله تواضعا عند كل ما أحدث لهم من نعمة ، فلما نصر الله نبيه ، وأهلك عدوه أحدثت هذا التواضع . فأعجبهم ذلك من قوله .

ولقد كان عمر بن عبدالعزيز قبل أن يلي الخلافة تشترى له الحلة بألف دينار فيقول : ما أحسن هذا الثوب لولا خشونة فيه فلما ولي الخلافة كان يشترى له الثوب بخمسة دراهم فيقول : ما أحسنه لولا ليونة فيه . فقيل له : أين ملبسك ومركبك قبل هذا ؟ قال : خير الناس من تواضع لله .

وكان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يلبس ثوبا فيه اثنتا عشرة رقعة ليس فيها رقعة تشبه الأخرى ، أحدها من أدم . ولما أراد السفر إلى الشام حمل بينه وبين غلامه ناقة واحدة يتعاقبان عليها ، كان عمر يركب الناقة ويأخذ

الغلام بزمامها ويسير مقدار فرسخ ، ثم ينزل عمر ويركب الغلام ، ويأخذ عمر بزمامها مقدار فرسخ ثم ينزل الغلام ويركب عمر وكان دأبهما كذلك .

فلما قرب من الشام كانت نوبة الغلام في الركوب فركب الغلام الناقة وأخذ عمر بزمامها فاستقبله الماء والطين في الطريق فكان عمر يأخذ نعله في يده وزمام الناقة في يده الأخرى وهو يخوض في الماء والطين إلى نصف ساقيه ، فخرج إليه أبو عبيدة بن الجراح وكان يومئذ أميرا على الشام فقال له : يا أمير المؤمنين ، إن كبراء أهل الشام وعظماءها يخرجون إليك ليلقوك وأنا أكره أن يلقوك وأنت على مثل هذه الحالة فقال له عمر : إنا قوم أعزنا الله بالاسلام فما نطلب العز من غيره ولا نبالي من مقالة الناس . فلما تلقاه عظماء الشام وكبراؤها قيل له : اركب هذا البرذون لكي يراك الناس . فقال لهم : إنكم ترون هاهنا والأمر من هاهنا وأشار بأصبعه إلى السماء .

ويروى عن ربيع بن زياد الحارثي قال : كنت عاملا لأبي موسى الأشعري على البحرين فكتب إليه عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يأمره بالقدوم عليه هو وعماله وأن يستخلفوا من ثقاتهم حتى يرجعوا ، فلما قدمت أتيت برقا فقلت يا برق بن سبيل تسترشد أي الهيئات أحب إلى أمير المؤمنين ؟ فأومأ إليّ بالخشونة ، فاتخذت خفين مطارفين ، ولبست جبة صوف ، ولثت رأسي بعمامة دكناء ثم دخلنا على عمر ـ رضي الله عنه ـ فصفنا بين يديه وصعد فينا وصوب فلم تأخذ عينه أحدا غيري فدعاني فقال : من أنت ؟ فقلت : الربيع بن زياد الحارثي قال : وما تتولى من أعمالنا ؟ قلت : البحرين . قال : فكم ترزق ؟ قلت خمسة دراهم في كل يوم . قال : كثير . فما تصنع به ؟ فقلت : أتقوت منه شيئا وأعود بباقيه على أقارب لي فما فضل منهم فعلى فقراء المسلمين قال : فلا بأس ، ارجع إلى موضعك ، فرجعت إلى موضعي من الصف . ثم صعد فينا وصوب فلم تقع عينه إلا عليّ فقال : كم سنك ؟ فقلت : ثلاث وأربعون سنة . قال : الآن استحكمت ، ثم دعا

بالطعام وأصحابي حديثو عهد بلين العيش وكنت قد تجوعت له فأتى بخبز يابس واكسار فجعل أصحابي يعافون ذلك وجعلت آكل فأجيد ، فجعلت أنظر وهو يلحظني من بينهم ثم سبقت مني كلمة تمنيت أني سخت في الأرض ولم ألفظ بها ، فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ إن الناس يحتاجون إلى صلاحك فلو عمدت إلى طعام هو ألين من هذا . فزجرني وقال لي : كيف قلت ؟ قال : قلت أقول : لو نظرت يا أمير المؤمنين إلى قوتك من الطحين فيخبز لك قبل إرادتك بيوم ، ويطبخ اللحم كذلك ، وتؤتى بالخبز لينا واللحم غريضا . فسكن غربة وقال : يا ربيع ؛ لو شئنا ملأنا هذه الرحاب من صلائق وسبايك ولكني رأيت الله ـ تعالى ـ نعى على قوم شهواتهم فقال : ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها﴾[1] ثم أمر أبا موسى أن يقررني ويستبدل بأصحابي . فرجعت إلى موضعي واستبدل بالآخرين غيرهم .

فانظر كيف انتفع هذا بتواضعه الظاهر بين يدي عمر ـ رضي الله عنه ـ حين أظهر له التواضع في اللباس والكلام والأكل فنفعه ذلك وكان سبب بقائه على العمل دون أصحابه الذين لم يظهروا منهم ذلك فكيف لا تنتفع أنت أيها المسكين بتواضعك الباطن بين يدي رب العالمين رب العزة عالم السريرة وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم .

الأخبـــار

قال رسول الله ﷺ : «ما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا وما تواضع أحد لله إلا رفعه وما من أحد إلا ومعه ملكان وعليه حكمة يمسكانه فإن هو رفع نفسه جبذاها [2] ثم قالا : اللهم ضعه وإن وضع نفسه قالا : اللهم ارفعه» .

---

١ ـ الآية ٢٠ من سورة الأحقاف

٢ ـ هكذا في الأصل والصحيح (جذباها)

وقال ﷺ : «طوبى لمن تواضع في غير مسكنة وأنفق مالا جمعه من غير معصية ورحم أهل الضعف وخالط أهل الفقه والحكمة»[1] .

وقال ﷺ : «خيرني ربي بين أمرين أن أكون عبدا رسولا أو ملكا نبيا فلم أدر أيهما أختار وكان صفيي من الملائكة جبريل فرفعت رأسي فقال : تواضع لربك فقلت : عبدا رسولا» .

وأوحى الله ـ تعالى ـ إلى موسى ـ عليه السلام ـ : (إنما أقبل صلاة من تواضع لعظمتي ولم يتعظم على خلقي وألزم قلبه خوفي وقطع النهار بذكري وكف نفسه عن الشهوات من أجلي) .

وقال ﷺ : «الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى» .

وقال عيسى ـ عليه السلام ـ : طوبى للمتواضعين في الدنيا هم أصحاب المنابر يوم القيامة ، طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة ، طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين يرفعهم الله في أعلى الدرجات يوم القيامة .

وقال ﷺ : «أربع لا يعطيهن الله إلا من أحب ؛ الصمت وهو أول العبادة ، والتوكل على الله ، والتواضع ، والزهد في الدنيا» .

وقال ﷺ : «إذا تواضع العبد رفعه الله إلى السماء السابعة» .

وقال ﷺ : «إن التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا رحمكم الله» .

وقال ﷺ : «اذا رأيتم المتواضعين في امتي فتواضعوا لهم ، واذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فإن ذلك مذلة وصغار» .

---

١ ـ رواه البخاري

وفي خبر قال : «التواضع للمتواضعين تواضع لله والتكبر على المتكبرين تواضع لله» .

الآثــــار

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : وجدنا الكرم في التقوى ، والغنى في اليقين ، والشرف في التواضع .

وقال الفضيل : التواضع هو ان تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبي قبلته ، ولو سمعته من اجهل الناس قبلته .

قال الناسخ : المتواضع عندي هو الذي يأتمر بأوامر الله وينتهي عن نواهيه ، ولا يرفع نفسه عن ادنى منازل الدين ، واذا قيل له اتق لم تأخذه العزة بالآثم ، ولا يقيم على كبار المعاصي ولا صغارها طرفة عين والله اعلم .

ويقال : لا عز الا لمن تذلل لله ، ولا رفعة إلا لمن تواضع لله ، ولا أمن الا لمن خاف الله ، ولا ورع الا لمن ابتاع نفسه من الله .

وقيل لعبد الملك بن مروان اي الرجال أفضل ؟ قال : من تواضع عن قدرة وزهد عن قدرة ، وترك المضرة عن قدرة .

وقال أبو سليمان : لا يتواضع العبد حتى يعرف نفسه .

ويقال : من رأى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب ، وتواضع كل انسان على قدر معرفته بربه ومعرفته بنفسه .

وقال ابو يزيد مادام العبد يظن ان في الخلق من هو أشر منه فهو متكبر .

وقال يوسف بن أسباط يجزى قليل الورع من كثير العمل ، ويجزى قليل

التواضع من كثير الاجتهاد .

وقيل : أوحى الله الى عيسى عليه السلام : «اذا انعمت عليك بنعمة فاستقبلها بالاستكانة اتمها عليك» .

وقال مجاهد : لما أغرق الله قوم نوع عليه السلام شمخت الجبال ، وتواضع الجودي ، فجعله الله تعالى قرارا لسفينة نوح عليه السلام .

وقال قتادة : من اعطى مالا أو جمالا أو ثيابا أو علما ثم لم يتواضع فيه كان عليه وبالا يوم القيامة .

وقال الفضيل : من احب الرياسة لم يفلح ابدا .

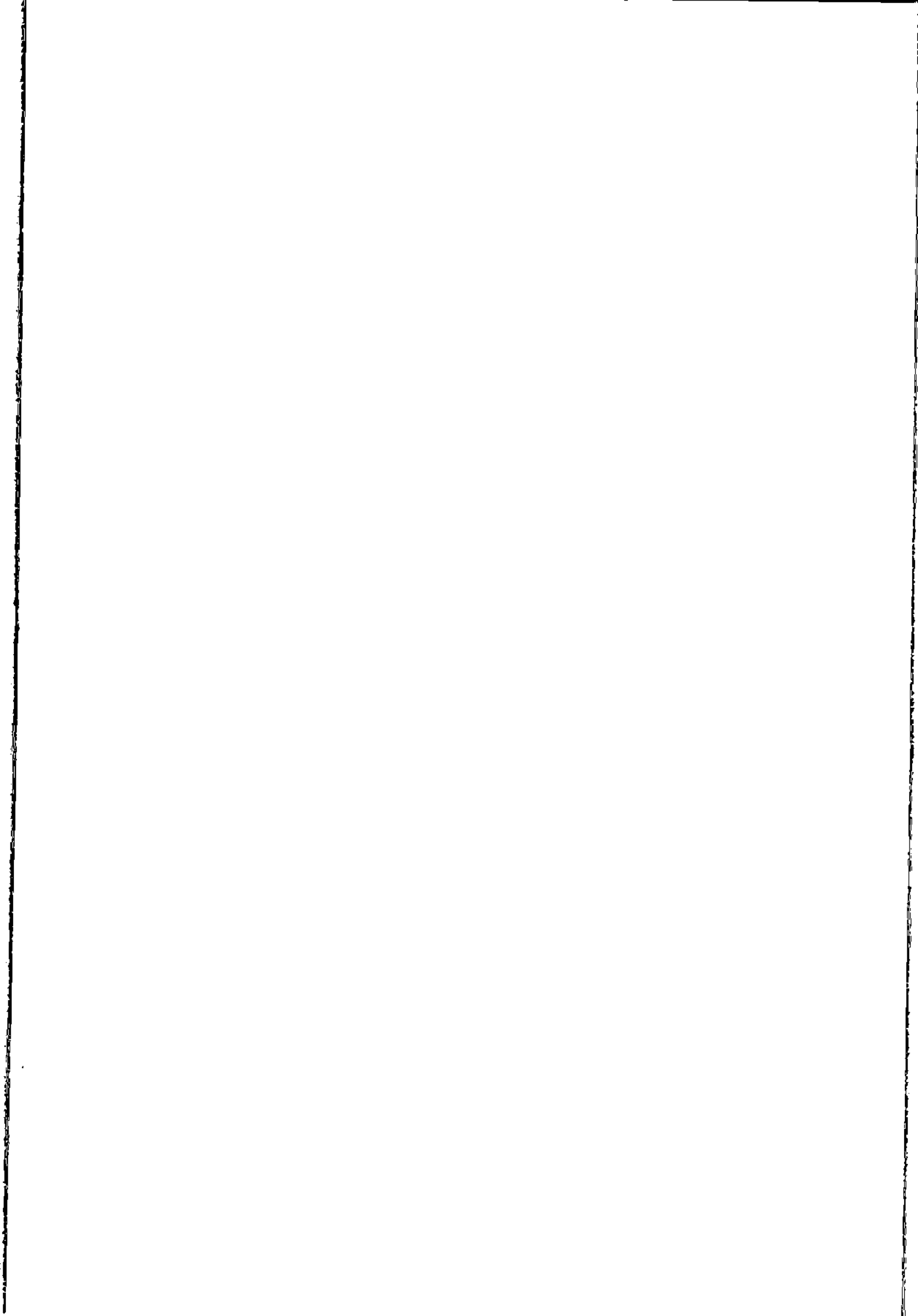
وقال : قراء الرحمن أصحاب خشوع وتواضع ، وقراء الأمراء اصحاب عجب وتكبر .

وقال يحيى بن معاذ : التكبر على ذي التكبر عليك بماله تواضعا .

وقال التكبر في الخلق كلهم قبيح ، وفي الفقراء اقبح ، والتواضع في الخلق كلهم حسن ، وفي الأغنياء احسن .

وقال ابن المبارك : التكبر على الاغنياء والتواضع للفقراء من التواضع .

وقال يحيى بن معاذ البرمكي : الشريف اذا تنسك تواضع والسفيه اذا تنسك تعاظم .



الباب الثالث عشر

في القناعة

قال الله تعالى : ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾[1] قال كثير من اهل التفسير : الحياة الطيبة في الدنيا القناعة .

وقيل في قوله تعالى : ﴿لأعذبنه عذابا شديدا﴾ [2] ، يعني لأسلبنه القناعة ولأبلونه بالطمع ، يعني أسأل الله ان يفعل به ذلك .

وفي قوله تعالى : ﴿وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي﴾ [3] ، اي مقاما في القناعة انفرد به من بين أشكالي وأكون فيه راضيا بقضائك .

وفي قوله تعالى : ﴿ليرزقنهم الله رزقا حسنا﴾ [4] قيل : هي القناعة .

وفي قوله تعالى : ﴿تعز من تشاء وتذل من تشاء﴾ [5] قيل : تعزه بالقناعة وتذله بالطمع .

---

١ - الآية ٩٧ من سورة النحل
٢ - الآية ٢١ من سورة النمل
٣ - الآية ٣٥ من سورة «ص»
٤ - الآية ٥٨ من سورة الحج
٥ - الآية ٢٦ من سورة آل عمران

وفي قوله تعالى : ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾ [1] يعني البخل والطمع ﴿ويطهركم تطهيرا﴾ بالسخاء والايثار .

الأخـــبار

روي أن العباس بن عبدالمطلب جاء الى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ولني فقال رسول الله : «يا عباس يا عم النبي قليل يكفيك خير من كثير يرديك .

يا عباس يا عم النبي نفس تنجيها خير من امارة لا تحصيها .

يا عباس يا عم النبي الامارة أولها ندامة وأوسطها ملامة واخرها خزي يوم القيامة» .

وقال ﷺ : «القناعة كنز لا يفنى»

وقال ﷺ لابي هريرة : «كن ورعا تكن أعبد الناس وكن قنعا تكن أشكر الناس وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وأقل الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب» .

وقال ﷺ : «طوبى لمن هدي للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به» .

وقال ﷺ : «ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس»[2] .

ونهى ﷺ عن شدة الحرص والمبالغة في الطلب فقال : «الا أيها الناس اجملوا في الطلب فإنه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب أحد من الدنيا حتى

---

١ - الآية ٣٣ من سورة الأحزاب

٢ - رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة

يأتيه ما كتب له في الدنيا وهي راغمة» .

وقال ﷺ : «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى وراءهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن أدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب» .

وروي أن موسى عليه السلام سأل ربه عز وجل فقال : اي عبادك أغنى ؟ فقال : اقنعهم بما أعطيته . قال : فأيهم أعدل ؟ قال : من انصف من نفسه .

أبو أيوب الأنصاري : أن اعرابيا اتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله عظني وأوجز قال : «اذا صليت فصل صلاة مودع ، ولا تحدثن بحديث تعتذر منه غدا ، واجمع اليأس مما في أيدي الناس» .

الآثـــار

قال عمر ـ رضي الله عنه ـ : ان الطمع فقر وان اليأس غنى ، وان من يئس مما في ايدي الناس استغنى عنهم ولبعضهم شعرا :

ولا تغضبن على امرىء في ماله ... وعلى كرائم صلب مالك فاغضب

واذا تصبك خصاصة فارج الغنى ... والى الذي يعطي الرغائب فارغب

وقال آخـــر :

من عاش عاين ما يسوء من الأمور وما يضر ... ولرب حتف فوقه ذهب وياقوت ودر

فـاقـنـع بـعـيشـك تـرضـه ... وامـلك هـواك وانـت حـر

وقال آخـــر :

لي في الله حسن ظن جميـل ... ان تجافى عن الخليل الخليـل

لي رزق لا بـد منـه وعـمـر ينقضي والكثير منـه قليـل
مـا قضاه الالـه لا بـد منـه وعلى ما هـذا العريض الطويل
رب أمـر يضيق ذرعـك منـه لـك فيـه الى النجـاة سبيـل
وقد علمنا ومـا انتفعنا بعلم أنـه قـد دنـا وآن الـرحيـل
إنمـا هـذه الحيـاة غـرور قد خدعنا بها فأين العقول
نـذكر الموت حين تـدبر عنا واذا أقبلت فـنحـن ذهـول
نعـرف الحق ثم نعرض عنـه ونـراه ونـحـن عـنـه نميـل
لـو قنعنا من المحال استرحنا وكفـانـا من الكثير القليـل
نحن مستعملون فيـها خلقنـا مـا لنا في نفوسنا مـا تقول

ليت شعـري عواقب الأمر فينا وإلى مـا المـآل فينـا يـؤول
ان لله في الـعـبـاد مـرادا وسـوى مـا أراده مستحيـل

وقال آخـــر:

قـنـع النفس بـالقليـل والا طلبت منك فوق مـا يكفيهـا
انمـا هـذه الحيـاة متـاع والسفيه الجهول من يصطفيهـا

وقال آخـــر :

لـذل السؤال وهـول الممـات وكـلا وجـدنـا طبعـا وبيـلا
فـإن كـان لا بـد احـديهـا مشينـا الى الموت مشيـا جميلا

وقال آخـــر :

اسأل العرق إن سألت كريمـا لم يـزل يعرف الغنى واليســارا
فقليـل الشريف يكسب حمـدا وكثـير الوضيـع يكسب عـارا
فـإذا لم يكن من الـذل بـد فـالق بـالـذل ان لقيت الكبـارا
ليس اجـلالـك الكبير بـذلٍّ إنمـا الـذل أن تجـل الصغـارا

وقال آخـــر :

إن المســائـل للرجـال مــذلــة   تفنى منـافعهـا ويخلد عـارهـا

وقيل لبعض الحكماء : ما الغنى ؟ قال : قلت تمنيك ورضاك بما يكفيك .

وقيل : الفقراء أموات إلا من أحياه الله بعز القناعة .

وفي الزبور : القانع غني وان كان جائعا .

وقال محمد بن علي الترمذي : القناعة رضى النفس بما قسم الله لها من الرزق .

ويقال : القناعة الاكتفاء بالموجود ، وزوال الطمع فيما ليس بحاصل .

وقيل : وضع الله خمسة أشياء في خمسة مواضع ، العز في الطاعة ، والذل في المعصية ، والهيبة في قيام الليل ، والحكمة في البطن الخالي ، والغنى في القناعة .

وقيل : من تبعت عيناه ما في ايدي الناس طال حزنه .

وقيل : من لم يقنع باليسير لم يكتف بالكثير .

وقيل : انت عزيز ما التحفت بالقناعة .

وقيل : من قنع استراح من الشغل ، واستطال على الكل .

وقال حكيم لأبنه : يا بني العبد حر اذا قنع ، والحر عبد اذا طمع .

وعن علي : تفضل على من شئت فأنت أميره ، واحتج الى من شئت فأنت اسيره ، واستغن عمن شئت فأنت نظيره .

وقال بعض في ذلك :

تفضل فمن اوليته منك نعمة فمد لها كفا فأنت اميره
ومن كنت محتاجا اليه فإنه اميرك في الدنيا وأنت اسيره
ومن كنت عنه في غنى وهو مالك ازمة قطب الأرض انت نظيره

وعن الحسن أنه مكتوب في التوارة اربع كلمات : الغنى في القناعة ، والسلامة في العزلة ، والحرية في رفض الشهوات ، والمحبة في ترك الرغبة .

وقيل : أوحى الله الى موسى عليه السلام : «يا موسى إني وضعت خمسة أشياء في خمسة مواضع . وضعت الحكمة في الجوع ، وهم يطلبونها من الشبع فمتى يجدون ، ووضعت الغنى في القناعة ، وهم يطلبونه في المال فمتى يجدون ، ووضعت العز في طاعتي ، وهم يطلبونه في خدمة المخلوقين فمتى يجدون ، ووضعت الكرم في التقوى وهم يطلبونه في ركوب الهوى فمتى يجدون ، ووضعت الراحة في الجنة وهم يطلبونها في الدنيا فمتى يجدون» .

وقال زيد بن ثابت : ثلاث من مناقب الأبرار : الاستعداد للموت ، والرضى بالكفاف ، والتفويض إلى الله في حالات الدنيا .

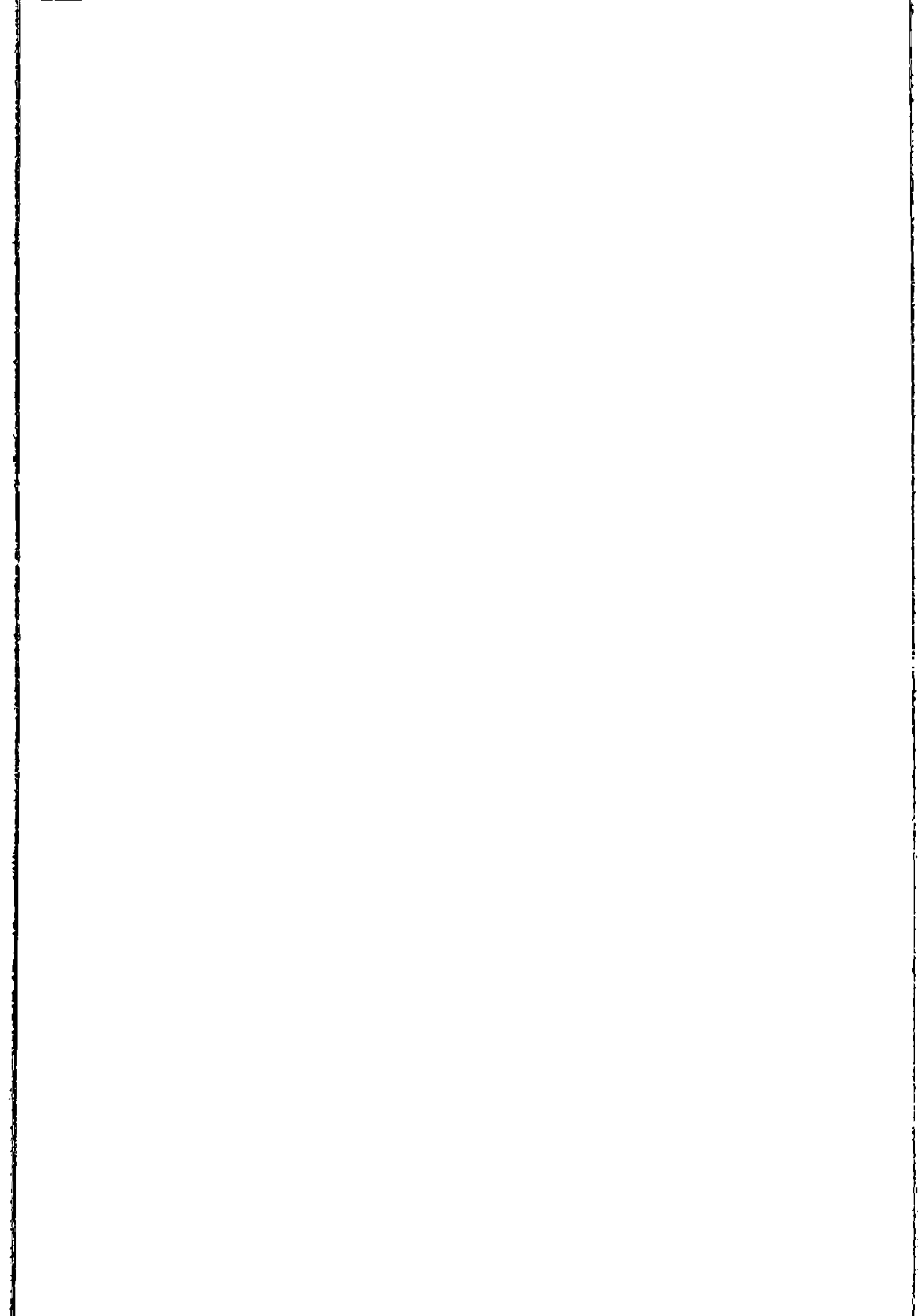
وقيل : من غلب علمه هواه فذلك العلم النافع ، ومن جعل شهوته تحت قدميه فر الشيطان من ظله ، ومن فرح قلبه بشيء من غرض الدنيا فقد أخطأ الحكمة .

وسئل حكيم عن الغنى فقال : ثلاثة أشياء . قلب عالم يستعين به لدينه ، وبدن صابر في طاعة ربه يتزود ليوم فقره ، والقناعة بما رزق مع الاياس من الناس .

وقال ابن مسعود : ما من يوم إلا وملك ينادي : يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك .

ويروى ان الله عز وجل قال : ﴿يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت ، فإذا أنا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا إليك محسن﴾ .

وقيل لعبدالله بن سلام : ما يذهب العلم من قلوب العلماء بعد إذ وعوه وعقلوه ؟ قال : الطمع وشره النفس وطلب الحوائج .



الباب الرابع عشر

في فضيلة الجوع

قال الله تعالى : ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع﴾ [1] ، ثم قال في آخر الآية : ﴿وبشر الصابرين﴾ [2] ، فبشرهم بجميل الثواب على الصبر على مقاساة الجوع وقال تعالى : ﴿ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ [3] .

الأخبار

قال ﷺ : «لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه» .

وقال ﷺ : «افضلكم منزلة عند الله أطولكم جوعا وتفكرا وأبغضكم عند الله كل نؤوم أكول شروب» .

وقال ﷺ : «إن الله يباهي الملائكة بمن قل طعمه في الدنيا يقول : انظروا الى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فتركهما اشهدوا يا ملائكتي ما من اكلة يدعها الا أبدلته بها درجا في الجنة» .

---

١ - الآية ١٥٥ من سورة البقرة
٢ - الآية ١٥٥ من سورة البقرة
٣ - الآية ٩ من سورة الحشر

وقال ﷺ : «لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فإن القلب كالزرع يموت إذا كثر عليه الماء»

وقال ﷺ : «اهل الجوع في الدنيا هم أهل الشبع في الآخرة وأن أبغض الناس إلى الله المتخمون الملأ [1] وما ترك عبد أكلة يشتهيها إلا كانت له درجة» .

وقال ﷺ : «المؤمن يأكل في معى واحد والمنافق يأكل في سبعة أمعاء» أي يأكل سبعة أضعاف أكل المؤمن أو تكون شهوته سبعة أمثال شهوة المؤمن ويكون المعا [2] كناية عن الشهوة لأن الشهوة هي التي تقبل الطعام وتأخذه كما يأخذه المعا وليس المعنى زيادة عدد معا المنافق على معا المؤمن .

وفي التوراة مكتوب أن الله يبغض الحبر السمين لأن السمين يدل على الغفلة وكثرة الأكل وذلك قبيح خصوصا بالحبر ولأجله .

قال ابن مسعود : ان الله يبغض القارىء السمين .

وفي الخبر : أن الأكل على الشبع يورث البرص .

وفي خبر مرسل : ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش .

وقال ﷺ :«أحب العفاف إلى الله عفاف البطن والفرج» .

الآثـــار

عن عبدالواحد بن زيد انه قال : من ضبط بطنه فقد ضبط دينه ، وما

---

١ ـ أي الذين امتلأت بطونهم وأجسامهم

٢ ـ يعني المعدة

كانت بلية ابيكم آدم إلا اكله وهي بليتكم إلى يوم القيامة .

وقال عمر ـ رضي الله عنه ـ : إياك والبطنة فإنها ثقل في الحياة نتن في الممات .

وقال لقمان لابنه : يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء عن العبادة .

وقال ذو النون المصري : لا تسكن الحكمة معدة ملئت من الطعام .

وقال الداراني : لكل شيء صدأ ، وصدأ العقل شبع البطن .

وقال الوراق : من أرضى الجوارح بالشهوات غرس في قلبه شجر الندامات .

وقال محمد بن داود : المعدة موضع يجمع الأطعمة ، فإذا طرحت فيه الحلال صدرت الأعضاء بالأعمال الصالحة ، واذا طرحت فيها الشبهات اشتبه عليك الطريق إلى الله تعالى ، واذا طرحت فيه الحرام كان بينك وبين الله حجاب .

وفي التوراة : (اتق الله تعالى واذا شبعت فاذكر الجائع) .

وقال مسهل التشترى : وضعت الحكمة والعلم في الجوع ، وجعلت المعصية والجهل في الشبع .

وقال : ما عبد الله تعالى بشيء أفضل من مخالفة الهوى في ترك الحلال .

وقال : رأس كل بر بين السماء والأرض الجوع ، ورأس كل فجور بينهما الشبع .

وسئل حكيم بأي قيد أقيد النفس ؟ قال : بالجوع والعطش ، وذللها

بإخمال الذكر وترك العز ، وصغرها بوضعها تحت ارجل الدنيا ، واكسرها بترك زي القراء عن ظاهرها ، وانج من آفاتها بدوام سوء عليها ، واصحبها بخلاف هواها .

الباب الخامس عشر

في حسن الخلق

قال الله تعالى : ﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾ [1] ، اي دين عظيم .

قال أبو علي : ان الله تعالى خص نبيه ﷺ بما خصه به ثم لم يثني عليه بشيء من خصاله بمثل ما أثنى عليه بخلقه فقال عز من قائل : ﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾ .

وقال الواسطي : وصفه بالخلق العظيم لأنه جاد بالكونين واكتفى بالله .

الأخبار

وقال ﷺ : «انكم لم تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق» [2] .

وقال ﷺ : «إنما بعثت لأتمم محاسن الأخلاق»

---

١ - الآية ٤ من سورة القلم

٢ ـ رواه الترمذي وابن ماجة

وقال ﷺ : «ما حسن الله خلق امرىء ولا خلقه فيطعمه النار» .

وقال : «من سعادة المرء حسن الخلق» .

وقال ﷺ : «ان العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وأن ـ لعله ـ وأنه لضعيف العبادة وأنه ليبلغ بسوء خلقه اسفل درك جهنم» .

وقال ﷺ : «هذه الأخلاق منائح من الله عز وجل فمن اراد الله به خيرا جعل خلقه حسنا وان أراد به شرا منه ـ لعله ـ منحه خلق سوء» .

وقال ﷺ : «حسن الخلق وحسن الجوار يعمران الدنيا ـ لعله ـ الديار ويزيدان في الأعمار» .

وقال ﷺ : «ألا اخبركم بأحبكم إلي أحسنكم اخلاقا الموطئون اكنافا الذين يألفون ويؤلفون» .

وقال ﷺ : «ان الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم الا السخاء وحسن الخلق ألا فزينوا دينكم بهما» وقيل يا رسول الله ما الشؤم ؟ قال : «سوء الخلق» .

الآثـــار

قالت عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله ﷺ : «خلقه القرآن» قوله عز وجل : ﴿خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين﴾ (١) .

وقال الواسطي : إنما الخلق العظيم ان لا يخاصم ولا يُخاصم من شدة

١ - الآية ١٩٩ من سورة الأعراف

معرفته بالله تعالى .

وقال يحيى بن معاذ : سوء الخلق سيئة لا ينفع معها كثير من الحسنات ، وحسن الخلق حسنة لا يضر معها كثير من السيئات .

وقال ايضا في سعة الاخلاق كنوز الأرزاق .

وقال الحسن البصري : حسن الخلق بسط الوجه ، وكف الأذى ، وبذل الندى .

وقال حكيم : علامة حسن الخلق ؛ ان لا يظلم ، ولا يمنع ، ولا يجفو أحدا ، فإن ظُلم غفر ، وان منع شكر ، وان ابتلي صبر .

وقيل : حسن الخلق ان يكون من الناس قريبا ، وفيما بينهم غريبا .

وقيل : الخلق قبول ما يرد عليك من جفاء الخلق وقضاء الحق بلا ضجر ولا قلق .

وقيل : حسن الخلق أن يكون سهل العريكة ، لين الجانب ، طلق الوجه ، قليل النفور ، طيب الكلمة .

وقد بين رسول الله ﷺ هذه الأوصاف فقال : «اهل الجنة كل هين لين سهل طلق» .

وأوحى الله تعالى الى موسى :(ان اردت ان لا تدعوني في أيام حياتك إلا أجبتك ، ولا تسألني في القيامة إلا قلت لك نعم عليك بحسن الخلق)وفي قوله تعالى : ﴿وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ [1] الظاهرة تسوية الخلق ، والباطنة تسوية الخلق .

---

١ - الآية ٢٠ من سورة لقمان

وقال الفضيل : لأن يصحبني فاجرا حسن الخلق أحب إلي من ان يصحبني عابد سيء الخلق .

وقيل : من سوء خلقك وقوع بصرك على سوء خلق غيرك .

وقال القرشي : من كثر همه سقم بدنه ، ومن ساء خلقه عذب نفسه ، ومن لاحى الرجال سقطت مروءته ، ومن كثر ضحكه قلت هيبته ، ومن قل روعه مات قلبه .

وسئل ما حسن الخلق ؟ فقال : موافقة الناس ما لم تكن معصية .

وقال الأحنف : ألا أخبركم بأدواء الداء قالوا : بلى قال : الخلق الدنىء ، واللسان البذىء ، وخير الرجال من كرمت خلائقه في اليسر والعسر ، ولم يبطره الغني ، ولم يذله الفقر ، ولم يغره لاخوانه تغير الدهر .

وقال ابن لقمان الحكيم لأبيه : يا أبت أي الخصال من الانسان خير ؟ قال : الدين قال : فإذا كانت اثنتين ؟ قال : الدين والمال . فإذا كانت ثلاث ؟ قال : المال والدين والحياء قال : فإذا كانت اربعا ؟ قال : الدين والمال والحياء وحسن الخلق . قال : فإذا كانت خمسا ؟ قال : الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء قال : فإذا كانت ستا ؟ قال يا بني إذا اجتمعت في هذه الخصال الخمس فهو تقي لله تعالى ومن الشيطان بريء .

وقال الجنيد : اربع ترفع العبد إلى اعلا الدرجات وإن قل علمه وعمله . الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الايمان .

وقال عمر : خالطوا الناس بحسن الاخلاق وباينوهم بالاعمال .

وسئل ابن عباس ما الكرم ؟ قال : ما بين الله في كتابه **﴿إن اكرمكم عند الله أتقاكم﴾** [1] وقيل له لعله ما الحسب ؟ قال : احسنكم اخلاقا

---

١ - الآية ١٣ من سورة الحجرات

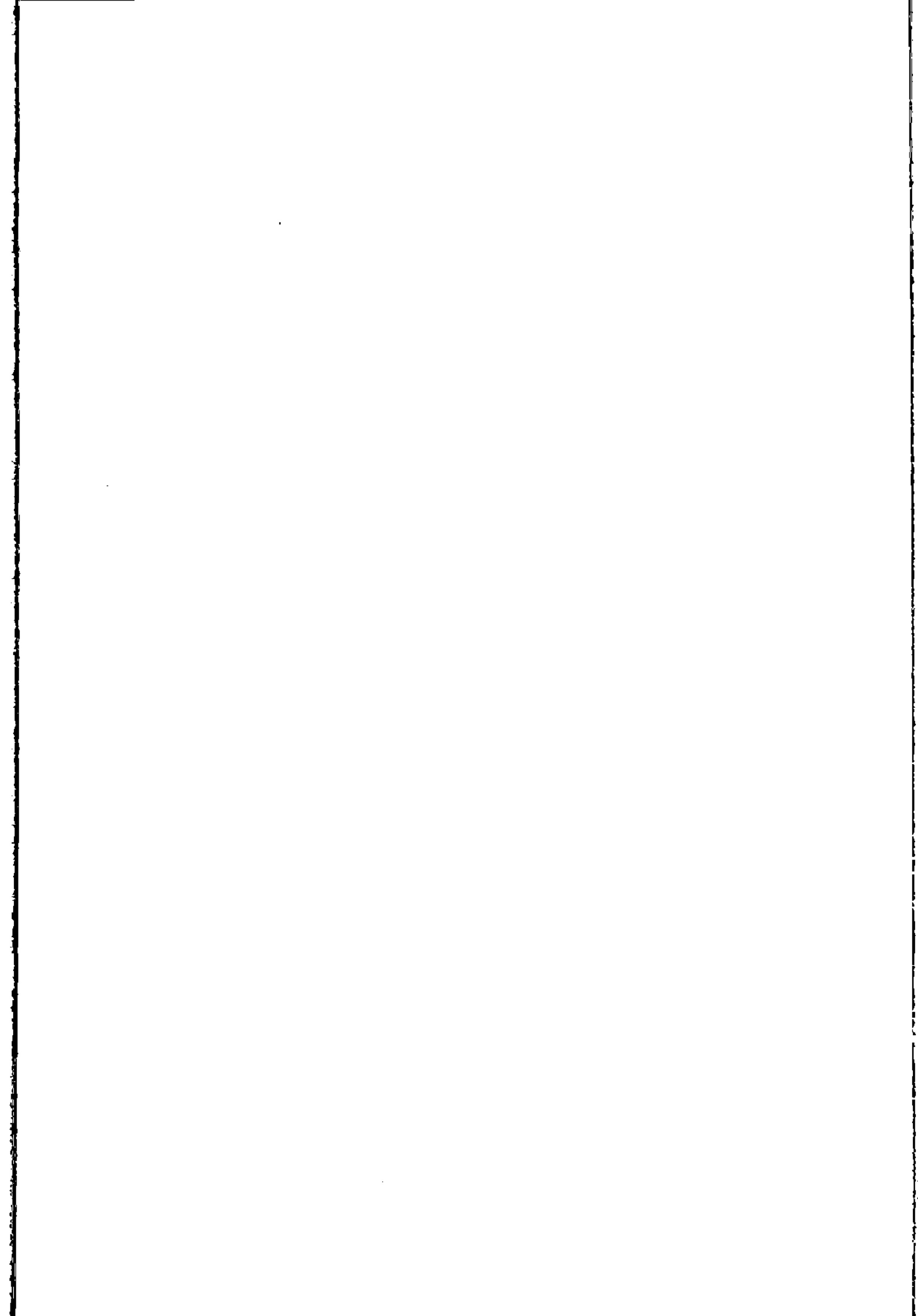
افضلكم حسبا .

وقيل : لكل بنيان أساس ، وأساس الاسلام حسن الخلق .

وقال ابن عطاء : ما ارتفع من ارتفع الا بحسن الخلق ، ولم ينله إلا المصطفى ﷺ أقرب الخلق إلى الله تعالى السالكون آثاره بحسن الخلق .

وقال عليّ : حسن الخلق في ثلاث : اجتناب المحارم ، وطلب الحلال ، والتوسعة على العيال .

وقال الناسخ : حسن الخلق في اربع : قضاء اللوازم ، وترك المآثم ، وطلب الحلال في طاعة ذو الجلال ، والتوسعة على العيال .



الباب السادس عشر

في الصـــدق

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾[1] .

الأخبـــار

قال النبي ـ صلوات الله عليه ـ : «الصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة وأن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، وان الكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار وأن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا» .

وقال ﷺ : «إذا رأيت من أخيك ثلاث خصال فارجه ؛ الحياء والأمانة والصدق وإذا لم تره فلا ترجه» .

وذكر جابر أن النبي ﷺ قال لجبريل ـ عليه السلام ـ : «كيف يعرف

---

١ ـ الآية ٢٣ من سورة الأحزاب

الصادق من الكاذب ؟» قال : يعرف الصادقون بإمساكهم عن الأعمال التي أوعد الله عليها النار ، ويعرف الكاذبون بانتهاكهم الأعمال التي أوعد الله عليها النار .

وروى ابن عباس أن النبي ﷺ سئل عن الكمال فقال : «قول الحق والعمل بالصدق» .

قال ابن عباس : أربع من كن فيه فقد ربح ؛ الصدق ، والحياء ، وحسن الخلق ، والشكر .

وقال الثوري في قوله ـ تعالى ـ : ﴿**ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة**﴾[1] قال هم الذين ادعوا محبة الله ـ تعالى ـ ولم يكونوا فيها .

وأوحى الله ـ سبحانه ـ إلى داود : (من صدقني في سريرته صدقته عند المخلوقين في علانيته) .

وقال بعضهم : أجمع العلماء والفقهاء على ثلاث خصال أنها إذا صحت ففيها النجاة ولا يتم بعضها إلا ببعض ؛ الاسلام الخالص من البدعة والهوى ، والصدق لله ـ تعالى ـ في الأعمال ، وطيب المطعم .

وقال وهب بن منبه : وجدت على حاشية التوراة اثنين وعشرين حرفا كان صلحاء بني اسرائيل يجتمعون فيقرأونها ويتدارسونها وهي : لا كنز أنفع من العلم ، ولا مال أربح من الحلم ، ولا حسب أوضع من الغضب ، ولا قرين أزين من العمل ، ولا رفيق أشين من الجهل ، ولا شرف أعز من التقوى ، ولا كرم أوفر من ترك الهوى ، ولا عمل أفضل من الفكر ، ولا حسنة أعلى من الصبر ، ولا سيئة أخزى من الكبر ، ولا دواء ألين من

---

١ - الآية ٦٠ من سورة الزمر

الرفق ، ولا داء أوجع من الخرق ، ولا رسول أعدل من الحق ، ولا دليل أوضح من الصدق ، ولا فقر أذل من الطمع ، ولا غنى أشقى من الجمع ، ولا حياة أطيب من الصحة ، ولا معيشة أهنأ من العفة ، ولا عبادة أحسن من الخشوع ، ولا زهد خير من القناعة ، ولا حارس أحفظ من الصمت ، ولا غائب أقرب من الموت .

وقال بشير بن الحارث : من عامل الله ـ تعالى ـ بالصدق استوحش من النار .

وقال رجل لحكيم : ما رأيت صادقا . فقال : لو كنت صادقا لعرفت الصادقين .

وعن محمد بن علي الكناني قال : وجدنا دين الله ـ تعالى ـ مبنيا على ثلاثة أركان ؛ على الحق والصدق والعدل ، فالحق على الجوارح ، والعدل على القلوب ، والصدق على العقول .

وقال أهل المعرفة : الصدق موافقة الحق في السر والعلانية .

وقال سهل بن عبدالله : الصدق محافظة اللسان عما لا يعنيه وحراسة سائر الجوارح عن مخالفة أمر الله .

وقال : من تكلم بما لا يعنيه حرم الصدق ، ومن شغل جوارحه بغير ما أمر الله حرم الورع .

وقال بعض المتكلمين : الصدق القول بالحق في مواطن الهلكة .

وقال إبراهيم الخواص : الصادق لا تراه إلا في فرض يؤديه ، أو فضل يعمل فيه .

قال ذو النون : الصدق سيف الله ما وضع على شيء إلا قطعه .

وسئل الحارث المحاسبي عن علامة الصدق فقال : الصادق هو الذي لا يبالي لو خرج على كل قدر له في قلوب الخلق من أجل اصلاح قلبه ، ولا يحب اطلاع الناس على مثاقيل الذر من عمله ، ولا يكره أن يطلع الناس على السيء من عمله فإن كراهية ذلك تدل على أنه يحب الزيادة عندهم وليس هذا من أخلاق الصديقين .

وقال بعضهم : من لم يؤد الفرض الدائم لا يقبل منه الفرض المؤقت . قيل : وما الفرض الدائم ؟ قال : الصدق .

وقال : إذا طلبت الله بالصدق أعطاك مرآة صافية تبصر بها في كل شيء من عجائب الدنيا والآخرة .

وقيل : عليك بالصدق حيث تخاف أن يضرك فإنه ينفعك ودع الكذب حيث تراه ينفعك فإنه يضرك .

وقال جعفر بن محمد : من أحب أن يشارك أهل النعيم في نعيمهم وأهل الأموال في أموالهم فعليه بالصدق .

الحديث : إني امتحنت خصال الانسان فوجدت أشرفها صدق اللسان ومن عدم الصدق منطقه فجع بأكرم أخلاقه وما من مضغة أحب إلى الله من اللسان إذا كان صدوقا وما من مضغة أبغض إلى الله ـ لعله منه ـ إذا كان كذوبا .

ومن كان الصدق سبيله كان الرضى من الله جائزته .

وقيل : عليك بالصمت وصحبة من تذكرك الله رؤ يته وتقع هيبته على قلبك يعظك بلسان فعله لا بلسان قوله .

الباب السابع عشر

في الكذب واليمين

الأخبـــــار

قال ﷺ : «إن الكذب باب من أبواب النفاق» .

وقال ﷺ : «كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك به مصدقا وأنت به كاذب» .

وقال ﷺ : «لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا»[1] .

وقال ﷺ : «التجار هم الفجار» فقيل : يا رسول الله ؛ قد أحل الله البيع قال : «نعم ؛ ولكنهم يحلفون فيأثمون ، ويحدثون فيكذبون» .

وقال ﷺ : «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ؛ المانّ بعطيته ، والمنفق سلعته بالحلف الفاجر ، والمسبل إزاره» .

وقال ﷺ : «ما حلف حالف فأدخل فيها مثل جناح بعوضة إلا كانت في قلبه يوم القيامة» .

---

١ ـ رواه مسلم عن عبدالله بن مسعود

وقال ﷺ : «ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له» .

وقال ﷺ وكان متكئا : «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؛ الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين . ثم قعد وقال : ألا وقول الزور» [1] .

وقال ﷺ : «ان العبد ليكذب الكذبة فيتباعد عنه الملك مسيرة ميل من نتن ما جاء به» .

وقال ﷺ : «تكفلوا إليّ بست أتكفل لكم بالجنة» قالوا : وما هي ؟ قال : «إذا حدث أحدكم فلا يكذب ، وإذا وعد فلا يخلف ، وإذا إئتمن فلا يخون ، وغضوا أبصاركم ، وكفوا أيديكم ، واحفظوا فروجكم» .

وقال ﷺ : «إن للشيطان كحلا ولعوقا ونشوقا ؛ فأما لعوقه الكذب ، وأما نشوقه فالغضب ، وأما كحله فالنوم» .

وقال ﷺ : «من حلف يمين بإثم ليقطع بها مال امرىء مسلم بغير حق لقي الله ـ تعالى ـ يوم القيامة وهو عليه غضبان» .

وروي أنه ﷺ رد شهادة رجل في كذبة كذبها . وقال ﷺ : «كل خصلة يطبع أو يطوى عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب» .

الآثـــــار

قالت عائشة : ما كان من خلق أشد عند أصحاب النبي ﷺ من

---

١ ـ رواه البخاري ومسلم عن أبي بكر رضي الله عنه

الكذب فما ينحل من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث لله ـ عز وجل ـ منها توبة .

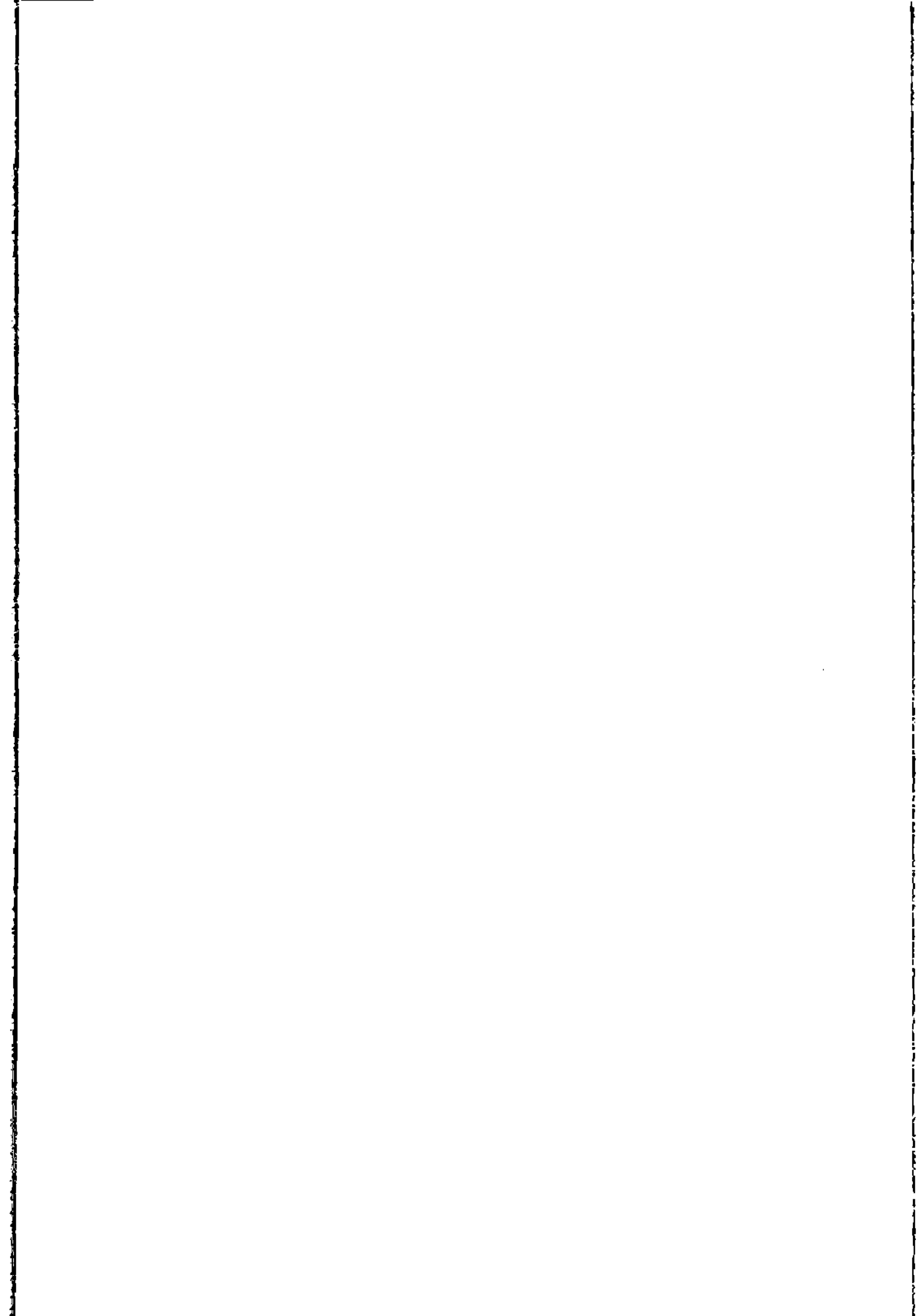
وقال موسى ـ عليه السلام ـ : يا رب ؛ أي عبادك خير عملا ؟ قال : من لا يكذب لسانه ، ولا يفجر قلبه ، ولا يزني فرجه .

وقال لقمان : يا بني ؛ إياك والكذب فإنه شهي كلحم العصفور عما قليل يقليه صاحبه .

وقال عليّ : أعظم الخطايا عند الله لسان الكذوب ، وشر الندامة ندامة يوم القيامة .

وقال مالك : الصدق والكذب يعتركان في القلب حتى يخرج أحدهما صاحبه .

وقال مالك بن دينار : قرأت في بعض الكتب ما من خطيب إلا عرضت خطبته على عمله ، فإن كان صادقا صدق ، وإن كان كاذبا قرضت شفتاه بمقرضين من نار كلما قرض نبت .



الباب الثامن عشر

في العزلة وفضيلة الخمول

الأخبـــار

عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «ليأتين على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه إلا من فر من قرية إلى قرية ، ومن شاهق إلى شاهق ، ومن جحر إلى جحر كالثعلب يروغ» قالوا : ومتى ذلك يا رسول الله ؟ قال : «إذا لم تنل المعيشة إلا بمعاصي الله فإن كان ذلك الزمان حلت العزوبة» قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله ؛ وقد أمرتنا بالتزويج ؟ قال : «إنه إذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يد أبويه ، فإن لم يكن له أبوان فعلى يديّ زوجته وولده ، فإن لم يكن له زوجة ولا ولد فعلى يدي قرابته» قالوا : فكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : «يعيرونه بضيق المعيشة فيتكلف ما لا يطيق حتى يوردوه موارد الهلكة» .

وعن جعفر بن محمد عن رسول الله ﷺ : «خص البلاء بمن عرف الناس وعاش فيهم من لم يعرفوه» .

وقال ـ عليه السلام ـ : «خيار المؤمنين القانع ، وشرارهم الطامع» .

وروي أن الله ـ تعالى ـ أوحى إلى عيسى ـ عليه السلام ـ : كن في العزلة عن الناس كالهامة في الطير، وبالحلم كالأرض تحت العبادة، وبالسخاء كالماء الجاري، وبالرحمة كالشمس تطلع على البار والفاجر فإذا ألزمت هذه الأربع أعطيتك جناحين تطير مع الملائكة في الجنة.

عن ابن عباس عن النبي ﷺ : «اعلموا أن أغبط الناس عندي عملا يوم القيامة الخفيف الحال وعظيم حظ من اليقين والشكر مع الصلاة لله وذكر الله كثيرا في السر والعلانية وكان مع الناس على قصد لا يشار إليه في الدين ولا في الدنيا بالأصابع وكان عيشه كفافا».

وفي خبر آخر : ان أهل الجنة كل أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤ به له الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم وإذا خطبوا النساء لم ينكحوا، وإذا قالوا لم ينصت لهم، حوائج أحدهم تتجلجل في صدره لو قسم نوره يوم القيامة على الناس لوسعهم.

وفي خبر آخر : إن أغبط أولياء الله عبد مؤمن، خفيف الحال، ذو حظ من صلاة، أحسن عبادة ربه في السر، وكان غامضا في الناس لا يشار إليه بالأصابع فمن صبر على ذلك قيل : ثم بعد يا رسول الله قال : عجلت منيته، وقل تراثه، وقلت بواكيه.

وقال ﷺ : «استأنسوا بالوحدة عن جلساء السوء».

وقال : «إن الاسلام بدأ غريبا ولا تقوم الساعة حتى يعود غريبا فطوبى للغرباء».

وقال : «خيركم الأتقياء الذين إذا حضروا لم يعرفوا وإذا غابوا لم يفقدوا».

وقال : «ألا أدلكم على أهل الجنة ؛ كل ضعيف متضعف لو أقسم على

الله لأبره ، وأهل النار كل مستكبر خواض» .

وعنه ﷺ أنه قال : «إن الله يحب الأتقياء الأخفياء الشعثة رؤوسهم الخميصة بطونهم الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم وإذا خطبوا الغنيات لم يزوجوا وإن غابوا لم يفقدوا وإن شهدوا لم يشر إليهم» .

أهل الدنيا في دنياهم اما أنه الكريم على ربه لو أقسم عليه لأبر قسمه وإن ماتوا لم يشهدوا .

ويحك أن هؤلاء خبرهم وذكرهم في الأرض فاتر ، وفي السماء ظاهر كانوا في الدنيا شعثة رؤوسهم ، وغداً رؤوسهم زاهرة ناضرة في رحمة الله كانوا في الدنيا خماص البطون ، وغدا شباع في الجنة مما يشتهون ويتمنون ، كانوا إذا استأذنوا على الأمراء في الدنيا لم يؤذن لهم ، وغداً يقرعون أبواب الجنة فيقول لهم رضوان : مرحبا بأولياء الرحمن ادخلوا إلى قصوركم ودوركم وسرركم ، خطبوا في دار الدنيا فلم يزوجوا وغداً حور العين لهم مباحة في جنة الله وكرامته الحوراء من حالها كذا وكذا ، وإن غابوا في الدنيا لم يفقدوا ، أسماؤهم مع الملائكة تحول أجنحة في قلوبهم ، وإن ماتوا لم يشهد جنائزهم أهل الدنيا والملائكة تشهد جنائزهم وتشيعهم وتوسدهم في قبورهم وتبشرهم برحمة الله ، صبروا في الدنيا قليلا ، ونعموا في الآخرة طويلا .

الآثـــار

وقيل : إذا أراد الله أن ينقل العبد من المعصية إلى عز الطاعة آنسه بالوحدة ، وأغناه بالقناعة ، وبصره عيوب نفسه ، فمن أعطي ذلك فقد أعطي خير الدنيا والآخرة .

عمر ـ رضي الله عنه ـ قال : خذوا بحظكم من العزلة .

وقال : في العزلة راحة من خليط السوء .

وقال مكحول : إن كان في مخالطة الناس خير فإن في العزلة السلامة .

وقال وهب بن الورد : وكان يقال : العافية عشرة أجزاء ؛ تسعة منها في الصمت ، والعاشر في الهرب من النّاس .

وقال أبو الدرداء : اتقوا الحاجة واحذروا الناس ، فإنهم ما ركبوا ظهر بعير إلا أدبروه ، ولا ظهر جواد إلا عقروه ، ولا قلب مؤمن إلا ضربوه .

وقال سهل : لا تصح الخلوة إلا بأكل الحلال ، ولا يصح أكل الحلال إلا بأداء حق الله ـ سبحانه وتعالى ـ .

وقال لقمان لابنه : استعذ بالله من شر الناس .

وقال أبو الدرداء : نعم صومعة الرجل بيته يكف فرجه وبصره ونفسه وإياكم ومجالس السوء فإنها تلغي .

وقال الفضيل : هذا زمان احفظ لسانك ، واخف مكانك ، وعالج قلبك ، وخذ ما تعرف ، ودع ما تنكر .

وقال الامام : ينبغي لمن أراد العزلة أن ينوي بعزلته كف شره عن الناس ، وطلب سلامته من الأشرار ، والفرار بدينه من الفتن ، والخلاص من آفة القصور عن القيام بقضاء الحقوق ، والتجرد لعبادة الله ـ تعالى ـ ، وأن يكون في خلوته مواظبا على العلم والعمل حتى يجتني من شجرة العزلة ثمارا تقر بها عيناه في دنياه وأخراه .

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ : لولا مخافة الوسواس لرحلت إلى بلاد لا أنيس بها ، وهل يفسد الناس إلا الناس .

قال : وليقنع باليسير من المطعم والملبس والمسكن وإلا ألجأه التوسع إلى الناس .

وكان الجنيد يقول : مكابدة العزلة أيسر من مداراة الخلطة ، والصبر عن الشهوات أحسن على قلوب الأبرار من طلبها .

ولبعضهم شعرا :

جلسا

كن لقعر البيت جلسا وارض بالخلوة أنسا
لست بالواجد حسرا أو ترد اليوم أمسا

وقال الآخر :

الزم الوحدة تنجو من بقي في الناس خلّة
ان ود الناس أمسى لنفاق أو لعلة
واترك الأصحاب إلا صاحبا يصحبك لله

وقال الفتح بن خاقان : دخلت يوما على المتوكل أمير المؤمنين فرأيته مطرقا متفكرا . فقلت : ما هذا الفكر يا أمير المؤمنين ؟ فوالله ما على الأرض أحد أطيب منك عيشا ولا أنعم بالا .

فقال : يا فتح أطيب مني عيشا رجل له دار واسعة ، وزوجة صالحة ومعيشة حاضرة ، لا يعرفنا ولا نعرفه فنؤذيه ، ولا يحتاج إلينا فنزدريه .

وفي موضع غير هذا على هذا المعنى ؛ فإن عرفنا وعرفناه أفسدنا عليه أمر آخرته ودنياه .

وعن الناشي أنه قال : الاستكثار من الاخوان وسيلة الهجران ، يريد أنهم إذا كثروا كثرت حقوقهم ولم يسعهم بره ، وقصر في قضاء حقوقهم أدى ذلك إلى الهجران .

وعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : احترسوا من الناس بسوء الظن .

وقال بعض السلف : الطريقة المثلى في هذا الباب ، وان لا تمتنع من حق لزمك للناس وإن لم يطالبوك به ، وان لا تنهمك لهم في باطل ولو دعوك إليه . وكن مع الناس في الخير ، وكن بمعزل عنهم في الشر .

وقيل لبعض المنقطعين عن الخلق : دلني على عمل أجد فيه قلبي مع الله على الدوام . قال : لا تنظر إلى الخلق فإن النظر إليهم ظلمة . قلت : لا بد لي . قال : لا تسمع كلامهم فإن كلامهم قسوة . قلت : لا بد لي من ذلك . قال : لا تعاملهم لأن معاملتهم وحشة . قلت : أنا بين أظهرهم لا بد لي من معاملتهم . قال : فلا تسكن إليهم فإن السكون إليهم هلكة .

قلت : هذا لعلة . قال : يا هذا أتنظر إلى الغافلين ، وتسمع كلام الجاهلين ، وتعامل البطالين ، وتريد أن تجد قلبك مع الله ـ تعالى ـ على الدوام هذا ما لا يكون .

الباب التاسع عشر

في الصـــمت

الأخبـــار

قال رسول الله ﷺ : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت»[1] .

وقال ﷺ : «لا تكثر الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب» .

وقال ﷺ : «كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر أو ذكرا لله ـ تعالى ـ» .

وقال ﷺ : «إن الله عند لسان كل ناطق فليتق الله امرؤ علم ما يقول» .

وقال ﷺ : «من كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ، ومن كثرت ذنوبه فالنار أولى به» .

---

١ ـ رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة

وقال ﷺ : «رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت عن شر فسلم» .

وقال ﷺ : «الصمت زين للعالم وستر للجاهل» .

وقال ﷺ : «الصمت حكم وقليل فاعله» أي هو حكمة وحزم .

وقال ﷺ : «من تكفل لي بما بين لحييه ورجليه أتكفل له بالجنة» .

وقال ﷺ : «من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقى» القبقب البطن ، والذبذب الفرج ، واللقلق اللسان .

وسئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس النار ، فقال : «الأجوفان ؛ الفم والفرج» .

وقال معاذ : قلت يا رسول الله ؛ أنؤاخذ بما نقول ؟ قال : «ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم» .

وقال ﷺ : «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ، ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه» .

وقال ﷺ : «من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر إلى الله قبل عذره» .

وقال ﷺ : «إذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فإنه يلقي الحكمة» .

وقال ﷺ : «الناس ثلاثة ؛ غانم وسالم وشاحب ؛ فالغانم الذي يذكر الله ، والسالم الساكت ، والشاحب الذي يخوض في الباطل» .

وقال ﷺ : «ان الرجل ليتكلم الكلمة يضحك بها يهوي بها أبعد من الثريا» .

وقال ﷺ : «طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه ، وانفق الفضل من ماله .

وقال ﷺ : «من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه» [1] .

وقال ﷺ : «ان لسان المؤمن من وراء قلبه فإذا أراد ان يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم امضاه ، وان لسان المنافق أمام قلبه فإذا هم بالشيء أمضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه .

أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : «اكثر الناس ذنوبا يوم القيامة اكثرهم كلاما فيما لا يعنيه» .

وقال أعرابي : يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال : «أطعم الجائع ، واسقِ الظمآن ، وامر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، فإن لم تطق فكف لسانك إلا من خير» .

وقال سليمان عليه السلام : إن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب .

وقال عيسى عليه السلام : العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس» .

الآثـــار

وقال حكيم : حظي من الصمت لي ونفعه مقصور عليّ ، وحظي من الكلام لغيري ووباله راجع عليّ .

وقال حكيم : سبع كلمات في الصمت ، كل كلمة منها بألف :

١ ـ رواه الترمذي عن أبي هريرة

احداها : ان الصمت عبادة من غير عناء ، وزينة من غير حلي ، وهيبة من غير سلطان ، واستغناء عن الاعتذار إلى كل أحد ، وحصن من غير حائط ، وراحة الكرام الكاتبين ، وستر لجميع الذنوب .

وقيل : لسان الجاهل مفتاح حتفه .

ويقال : مقتل الرجل بين فكيه .

ويقال : أربع كلمات صدرت عن أربعة من الملوك كأنما رميت عن قوس واحدة .

قال كسرى : لم أندم على ما لم أقل ، وقد ندمت مرارا على ما قلت .

وقال ملك الصين : اذا تكلمت بالكلمة ملكتني واذا لم اتكلم بها ملكتها .

وقال ملك الهند : عجبت لمن يتكلم بالكلمة إن رفعت ضرته وان لم ترفع لم تنفعه .

وقال قيصر : أنا على قول ما لم أقل اقدر مني على رد ما قلت .

وقيل : علامة العاقل اربع خصال : الصمت ، والاعتزال عن الناس ، واخلاص العمل ، وقطع الطمع مما في أيدي الناس .

وقيل : الصمت عند العالم زيادة في العقل ، وفي الجاهل ستر من الاثم .

وقال لقمان لابنه : يا بني رب لفظة سهلة تقولها لغوا وهي توطئك جمرا .

وقال : ان من يَرحم يُرْحَم ، ومن يصمت يسلم ، ومن يفعل الخير

يغنم ، ومن يقل الشر يأثم ، ومن لا يملك لسانه يندم .

وقال : يا بني عليك بالصمت إلا في ذكر الله واعلم أنك إن صَمَتَّ سلمت ، فعود لسانك الصمت عن كثير من الكلام فإن فيه مع ذلك علما ووقارا ، فإذا اكثرت الصمت قل الكذب واعلم ان اللسان باب القلب فإذا ضيعت الباب دخل من لا تريد ان يدخل وخرج من لا تريد أن يخرج ، واذا حفظت الخزانة كلها فاستوثق من لسانك بتلاوة القرآن واشغله بالحكمة عن قول الزور والرفث والبهتان .

يا بني : من يحفظ لسانه يكرم ، ومن يحفظ لسانه فقد اكرم نفسه ، ومن سلط لسانه فقد أضاع نفسه ، ومن كف لسانه ويده عن الناس فقد أصاب حظ نفسه .

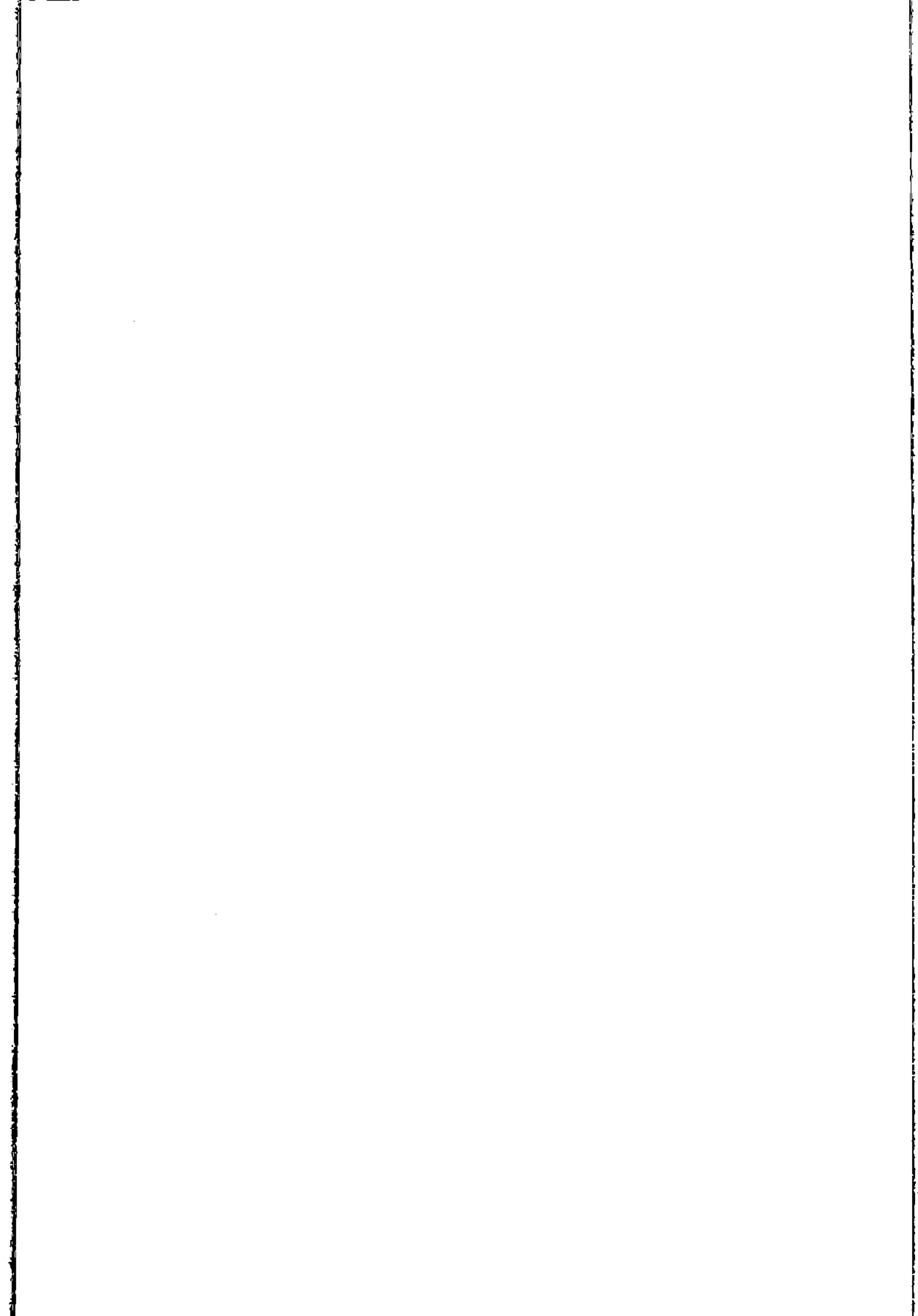
وقيل للقمان الحكيم : ما حكمتك ؟ قال : لا أسأل عما كفيت ولا أتكلف ما لا يعنيني .

وقال آخر : أوثق الأمور ترك الخوض في الفضول ، وقلة السقط في الكلام ، ولزوم الصواب في الأقوال والأفعال .

وقال ابن مسعود : والله الذي لا إله إلا هو ما من شيء أحوج من طول السجن من لسان .

وقال وهب بن منبه في حكمة آل داود : حق على العاقل ان يكون عارفا بزمانه حافظا للسانه مقبلا على شأنه . وقال الحسن : ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه .

وقال عمر ـ رضي الله عنه ـ : لا تتعرض لما لا يعنيك ، واعتزل عدوك ، واحذر صديقك من القوم إلا الأمين ولا أمين إلا من يخشى الله ، ولا تصحب الفاجر لتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك ، واستشر في امرك الذين يخشون الله تعالى .



الباب العشـــرون

في الحـــــلم

قال الله تعالى : ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس﴾ [1] .

الأخـــــبار

قـال النبي ﷺ : «ان الـرجـل ليـدرك بـالحلم درجـة الصـائم القائم» .

وقال : «إن الله يحب الحيِيَّ المتعفف»

وقال : «إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ، ومن يتجر الخير يعطه ومن يتوقَّ الشر يوقه»

وقال : «ابتغوا الرفعة عند الله . قالوا : ما هي يا رسول الله ؟ فقال : تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتحلم عمن جهل عليك» .

وقال ﷺ : «خمس من سنن المرسلين : الحياء والحلم والحجامة والسواك والتعطر» .

---

١ ـ الآية ١٣٤ من سورة آل عمران

وقال ﷺ : «ثلاثة من لم تكن فيه واحدة منهن فلا يعتدن بشيء من عمله . تقوى تحجره عن معاصي الله ، وحلم يكف به السفيه ، وخلق يعيش به في الناس» .

وقال ﷺ : «اذا اجتمع الخلائق نادى مناد أين أهل الفضل فيقوم أهل الحلم فيقال لهم ما كان فضلكم قالوا : كنا إذا ظلمنا صبرنا ،واذا أسيء الينا غفرنا ، وإذا جهل علينا حلمنا . فيقال لهم : ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين» .

الآثـــــار

قال عليّ : ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ، ولكن الخير ان يكثر علمك ويعظم حلمك .

وقال اكثم : دعامة العقل الحلم ، ودعامة الأمر الصبر .

وقال معاوية : لا يبلغ الرجل مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله ، وصبره شهوته ، ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم .

وقال أهل الحكمة : الحلم اطفاء ثائرة[1] الغضب عند نزول النصب وحلول التعب . والحلم حجاب الآفات .

وقال بعض الحكماء : حلم ساعة يرد سبعين آفة .

وقال بعض العلماء : الحلم أجل من العقل لأن الله وصف به نفسه .

وكان يقال : حسب الحليم أن الناس أنصاره .

---

١ ـ في الأصل (نائرة) والصحيح ما أثبت

واعلم أن حد الحلم ضبط النفس عند هيجان الغضب .

وقال عالم : الحلم شاهد حسن الخلق ، وقائد قول الصدق .

وقيل : الحلم رؤية البلاء من المبلى عطاء .

وقال بعض الأدباء : غضب الجاهل في قوله ، وغضب العاقل في فعله . وقال بعض الحكماء : إذا سكتَّ عن الجاهل فقد أوسعته جوابا ، وقد أوجعته عقابا .

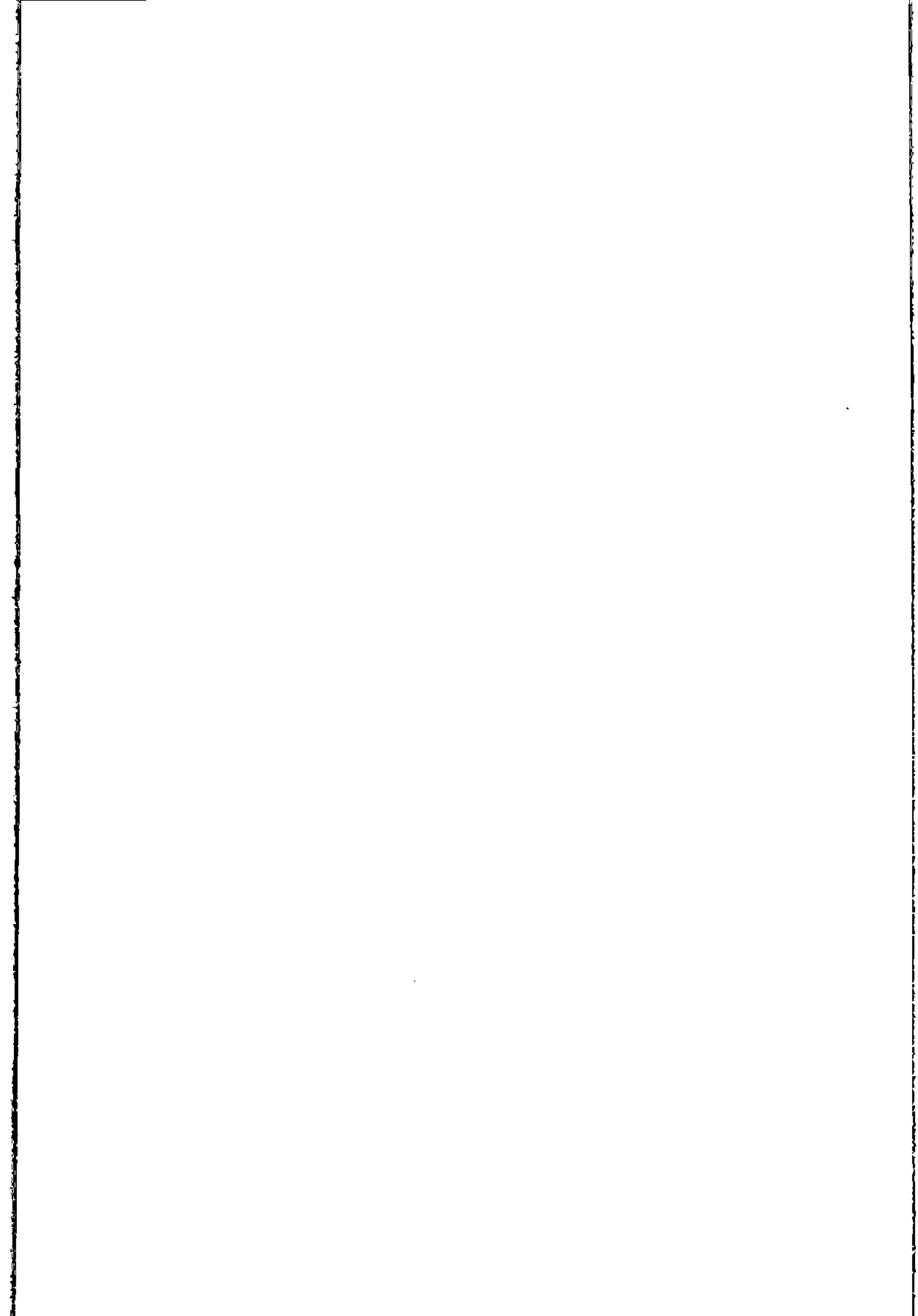
وقال بعض الحكماء : ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاثة مواطن : لا يعرف الجواد إلا في العسر ، والشجاع الا في الحرب ، والحليم إلا في الغضب .

وقال معاوية لعرابة بن أوس : بما سدت قومك يا عرابة ؟

فقال : كنت أحلم عن جاهلهم ، واعطي سائلهم ، وأسعى في حوائجهم فمن فعل فعلي فهو مثلي ، ومن جاوزني فهو أفضل مني ، ومن قصر عني فأنا خير منه .

وقيل شعرا :

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب ... وان عظمت منه عليّ الجرائم
وما الناس إلا واحد من ثلاثة ... شريف ومشروف ومثل مقاوم
فأما الذي فوقي فأعرف قدره ... واتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذي دوني فإن قال صنت عن ... اجابته عرضي وان لام لائمي
وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا ... تفضلت ان الحر بالفضل حاكم



الباب الحادي والعشـرون
في العــفو

قـال الله تعالى : ﴿خـذ العفـو وامـر بـالعـرف واعـرض عن الجاهلين﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿وأن تعفوا أقرب للتقوى﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾ [4] .

الأخـــبار

قال رسول الله ﷺ : «ثلاث والذي نفسي بيده ان كنت لحالفا

١ ـ الآية ١٩٩ من سورة الأعراف
٢ ـ الآية ٢٣٧ من سورة البقرة
٣ ـ الآية ٣٧ من سورة الشورى
٤ ـ الآية ١٣٤ من سورة آل عمران

عليهن : ما نقصت صدقة من مال فتصدقوا ، ولا عفا رجل عن مظلمة يبتغي بها وجه الله تعالى إلا زاده الله بها عزا يوم القيامة ، ولا فتح رجل باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر» .

وقال ﷺ : «قال موسى عليه السلام يا رب أي عبادك أعز عليك ؟ قال الذي إذا قدر عفا» .

وقال :

أفضل الناس للناس أفضلهم عفوا واسلمهم لهم صدرا» .

وقال ﷺ : «من كظم غيظا ولو شاء ان يمضيه أمضاه ملأ الله تعالى قلبه يوم القيامة أمنا وايمانا»[1] .

وقال ﷺ ؛ «ما من جرعة أحب الى الله من جرعة غيظ كظمها عبد وما ملكها عبد إلا ملأ الله قلبه امنا وايمانا» .

وقال ﷺ : «اربع خصال مفسدة للقلب : مجازاة الأحمق إن جازيته كنت مثله وانْ سكت عنه سلمت ، والخلوة بالنساء والعمل برأيهن ومجالسة الموتى» قيل ومن الموتى يا رسول الله ؟ قال : «كل غني أبطره غناه» .

وقال ﷺ : لا ينبغي لولي أمر أن يؤتى بحد إلا أقامه والله عفو يحب العفو» ثم قرأ : ﴿وليعفوا وليصفحوا الا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾[2] .

وقالت عائشة رضي الله عنها : ما رأيت رسول الله ﷺ منتصرا من مظلمة ظُلمها قط ما لم تنتهك من محارم الله فإذا انتهك من محارم الله شيء كان أشدهم في ذلك غضبا وما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما .

---

١ ـ رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة عن معاذ

٢ - الآية ٢٢ من سورة النور

وقال ﷺ : «إذا وقف العباد نادى مناد ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة . قيل من الذي أجره على الله ؟ قال : العافي عن الناس فقام كذا كذا الفا فدخلوها بغير حساب» .

وروي ان النبي ﷺ : «ان جبريل عليه السلام نزل فقال : يا محمد أتيتك بمكارم الاخلاق كلها في الدنيا والآخرة خذ العفو وامر بالمعروف واعرض عن الجاهلين ، وهو يا محمد ان تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك ، وتعطي من حرمك» .

الآثـــار

قال الشيخ : اعلم أن العفو أجمل لباس يتزيّى به الرجل .

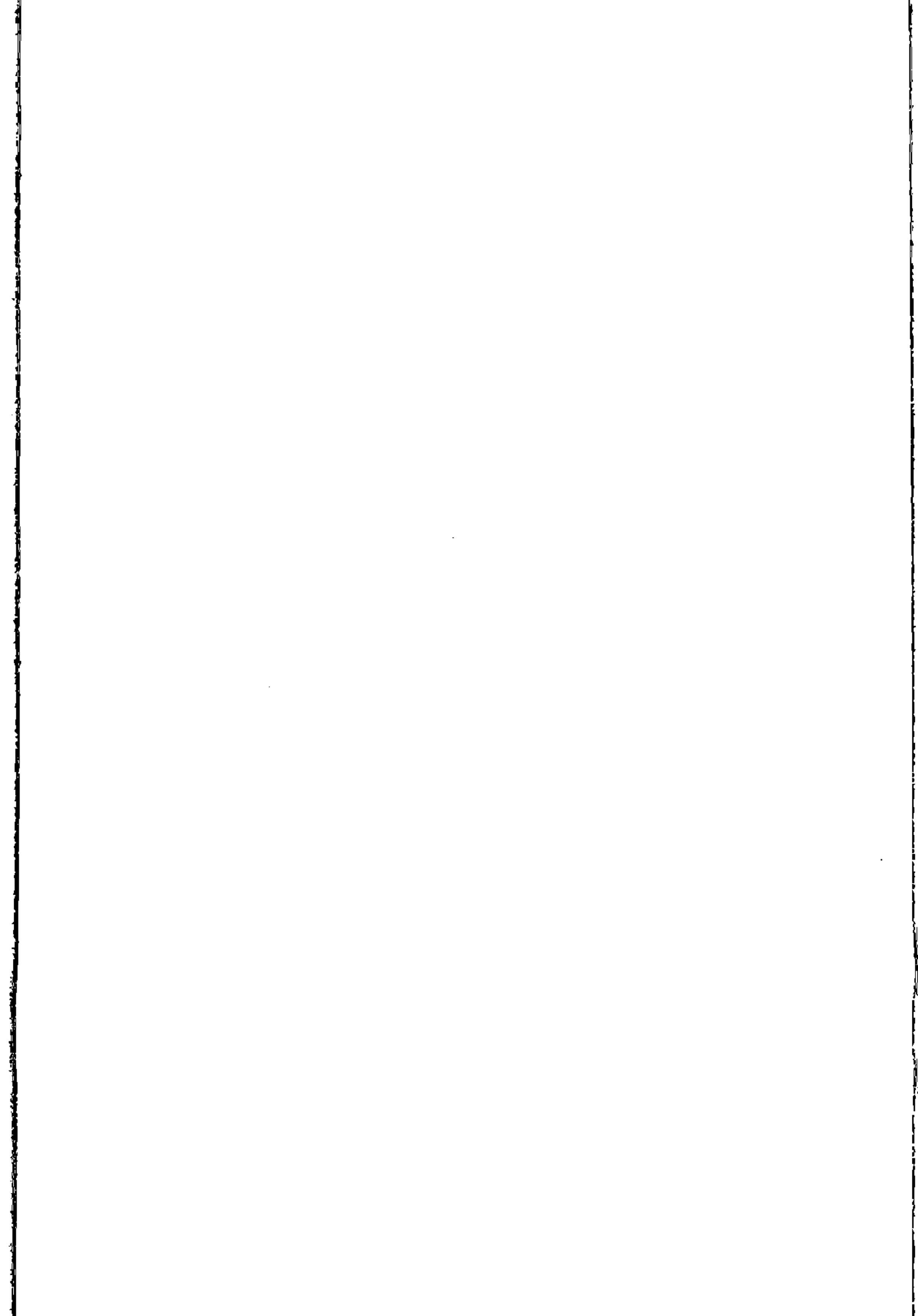
وقال جعفر بن محمد : لأن أندم على العفو أحب إليّ من ان اندم على العقوبة . وكان يقال : العفو خير الأمور عاقبة وخير العفو ما كان عن قدرة .

وكان يقال : العزيز يزيد بالعفو عزا ، والذليل يزيد بالعقوبة ذلا .

وقال لقمان : كذب من قال إن الشر بالشر يدفع فإن كان صادقا فليوقد نارين ولينظر هل تطفيء احداهما الأخرى وانما يطفأ الشر بالخير كما تطفأ النار بالماء .

وقال معاوية : عليكم والاحتمال حتى تمكنكم الفرصة فإذا أمكنتكم فعليكم بالصفح والافضال .

وقيل : ليس الحليم من ظلم حلم حتى إذا قدر انتقم ، ولكن من ظلم فحلم ثم قدر فعفا .



الباب الثاني والعشـرون

في الرفــق

قال النبي ﷺ : «إن الله أمرني بمداراة الناس كما امرني بإقامة القرآن» .

وقال : «اذا أحب الله أهل بيت ادخل عليهم الرفق»

وقال : «يا عائشة أرفقي فإن الله إذا أراد بأهل بيت كرامة ادخل عليهم الرفق» .

وقال : «يا عائشة ارفقي فإن الله إذا اراد بأهل بيت كرامة دلهم على باب الرفق» .

وقيل : «من يحرم الرفق يحرم الخير كله» .

وقال : «أيما وال ولي فرفق ولان ورفق رُفِق به يوم القيامة» .

وقال ﷺ : «تدرون من يحرم على النار . كل هين لين سهل قريب» .

وقال : «الرفق يمن والخرق شؤم»

وقال : «التأني من الله والعجلة من الشيطان» .

وقال : «يا عائشة إن من أعطي حظه من الرفق أعطي حظه من خير

الدنيا والآخرة ، ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من خير الدنيا والآخرة» .

وقال النبي ﷺ : «ان الله يحب الرفق وما جعل الله الرفق في شيء إلا زانه وما نزعه من شيء إلا شانه واذا أراد الله بقوم خيرا أدخل عليهم الرفق» [1].

وقال ﷺ : الرفق بركة وزيادة ، من يحرم الرفق يحرم الخير» .

الآثـــار

قال حكيم : الرفق روح الايمان فكل عمل لا روح فيه فهو معطل

قال عالم : صاحب الرفق ملك القلوب .

وقال عالم : الرفق مفتاح الرزق ، ومطمح الصدق .

وقال أهل الأدب : الرفق في الامور كالمسك في العطور .

وقال حكيم : ان الله بعث الرسل بثلاثة أشياء : بالقلب واللسان والبدن . فاراد من اللسان ذكر الله وبر الخلق ، واراد من القلب تعظيم امر الله ، والشفقة على خلق الله ، واراد من البدن اقامة امر الحق ، واحتمال أذى الخلق ، وذلك كمال الرفق .

وقال وهب بن منبه : الرفق ثني الحلم .

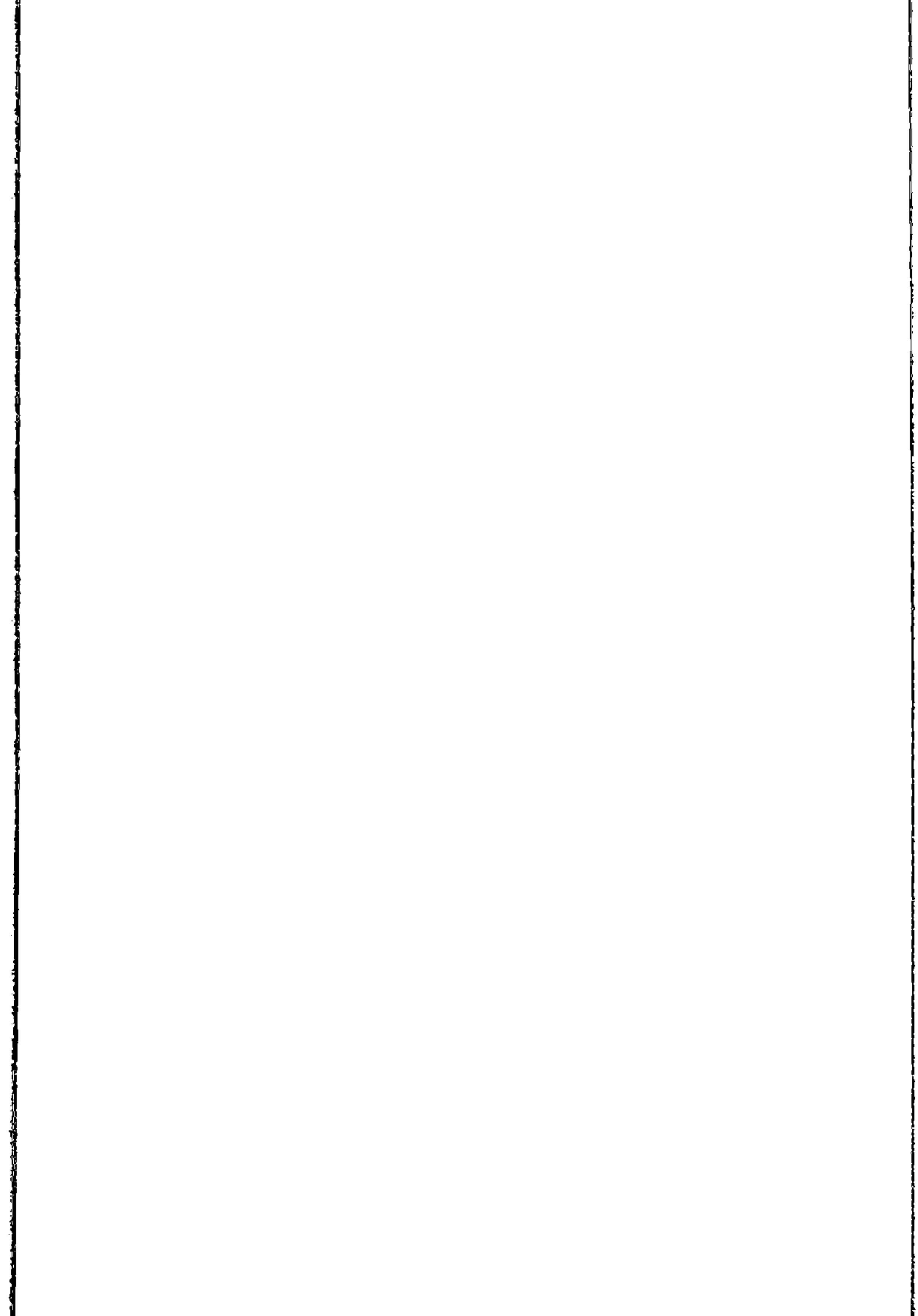
وفي الخبر موقوفا ومرفوعا : العلم خليل المؤمن ، والحلم وزيره ، والعقل دليله ، والعمل قيِّمه ، والرفق والده ، واللين أخوه ، والصبر أمير جنوده .

---

١ ـ رواه مسلم عن عائشة

وقيل : ما أحسن الايمان يزينه العلم ، واما أحسن العلم يزينه العمل ، وما أحسنه العمل يزينه الرفق ، وما أضيف شيء إلى شيء مثل حلم إلى علم .

وبلغ عمر ـ رضي الله عنه ـ أن جماعة اشتكوا من عماله فأمرهم أن يوافوه فلما قدموا عليه قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيتها الرعية إن لنا عليكم حقا النصيحة بالغيب ، والمعاونة على الخير ايتها الرعاة إن للرعية عليكم حقا واعلموا انه لا حلم احب الى الله ، ولا أعم من حلم إمام ورفقه ، وليس جهل أبغض الى الله ولا أعم من جهل إمام وخرقه ، واعلموا أنه من يأخذ بالعافية فيمن بين يديه يرزق العافية فيها دونه .



الباب الثالث والعشـرون

في المـــروءة

اعلم ان من شواهد الفضل ودلائل الكرم . . المروءة التي هي حلية النفوس وزينة الهمم ، والمروءة ؛ هي مراعاة الأحوال التي تكون على افضلها حتى لا يظهر منها قبيح ولا يتوجه إليها ذم باستحقاق .

وروي عن النبي ﷺ انه قال : «من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم ، فهو كمن كملت مروءته ووجبت أخوته وحرمت غيبته»[1].

وقال بعض البلغاء : من شرائط المروءة ان يتعفف عن الحرام ، ويجتنب ما يعقب الآثام ، وينصف في الحكم ، ويكف عن الظلم ، ولا يطمع فيما لا يستحق ، ولا يعين قويا على ضعيف ، ولا يؤثر دنيئا على شريف ، ولا يرتكب ما يعقبه الوزر والاثم ، ولا يفعل ما يقبح الذكر والاسم . وسئل بعض الحكماء ؛ عن الفرق بين العقل والمروءة فقال : العقل ما يأمرك بالأنفع والمروءة ما تأمرك بالأجمل .

وقيل : المروءة تقوى الله وصلة الرحم ، وقيل : المروءة الصبر على البلوى والشكر على النعمة والعفو عند القدرة .

---

١ ـ رواه الترمذي عن أبي سعيد

وقال انوشروان لابنه هرمز الكامل : المروءة من حصن دينه ووصل رحمه وأكرم اخوانه .

وسئل علي بن محمد الباقر عن المروءة فقال : ان لا تعمل في السر عملا تستحي منه في العلانية .

وقيل : المروءة ان يصون الرجل عرضه بماله .

وقيل : المروءة شرف الكريم وتغافله عن اللئيم .

وقال بعض الأدباء : أوسع ما يكون مغفرة اذا ضاقت بالذنب المعذرة .

وقال بعض الادباء : رأس المروءة طلاقة الوجه والتودد الى الناس .

وقيل للأحنف : ما المروءة ؟ فقال : الحلم عند الغضب والعفو عند المقدرة .

وقال بعض الحكماء : البس من الثياب ما لا يزدريك فيه العظماء ولا يعيبه عليك العلماء .

ومن شروط المروءة المؤازرة وهي نوعان ، احدهما الاسعاد بالجاه ، والثاني : الاسعاف بالنوائب .

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : «الخلق كلهم عيال الله فأحبهم إليه أحسنهم صنيعا إلى عياله» .

وقال بعض الحكماء : اصنع الخير عند امكانه يبقى لك حمده عند زوال أيامه ، وأحسن والدولة لك يحسن إليك والدولة عليك ، واجعل زمان عافيتك عدة لزمان بلائك .

وسئل الأحنف بن قيس عن المروءة فقال : صدق اللسان ومواساة

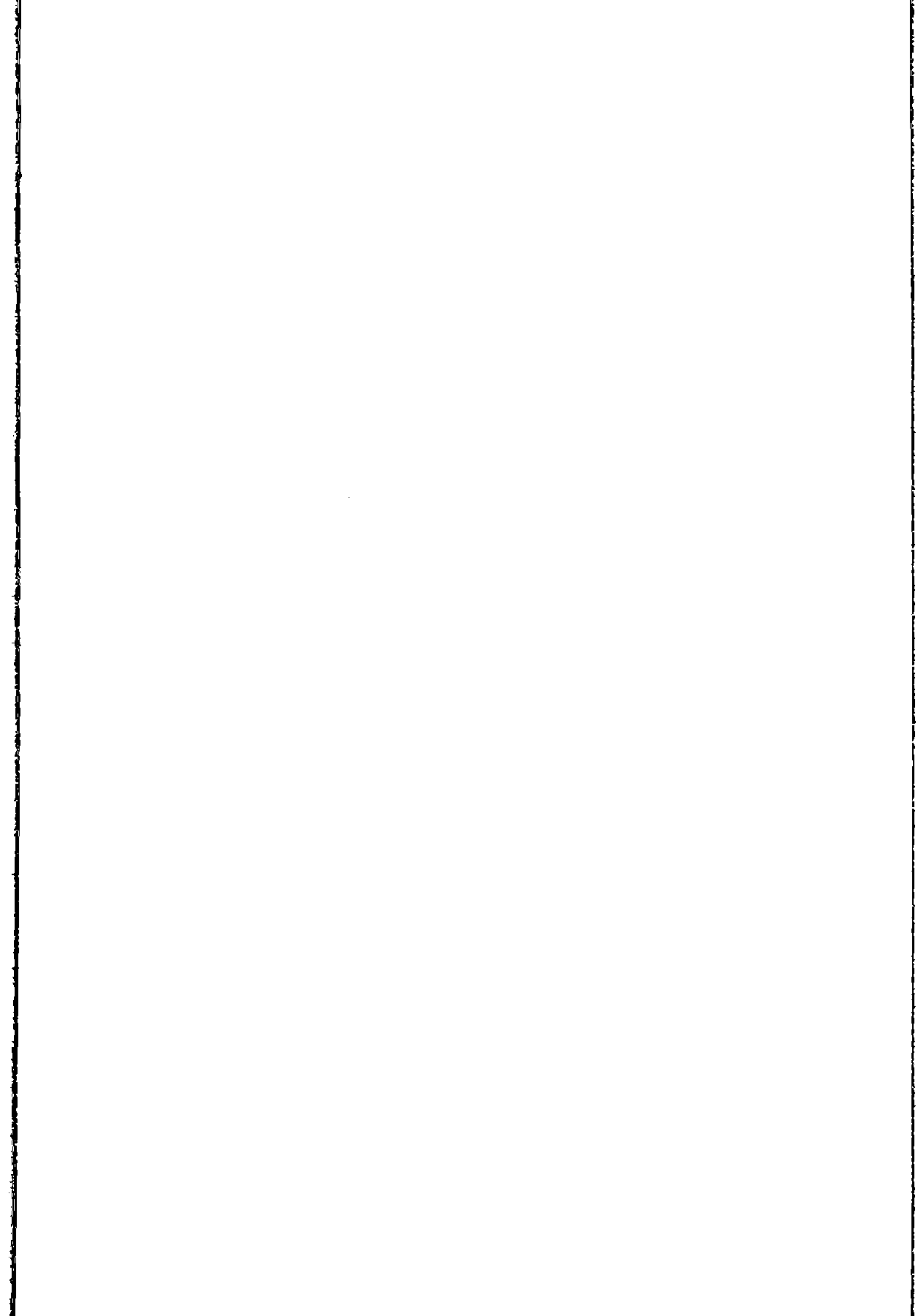
الاخوان وذكر الله في كل مكان .

وقال يزيد بن معاوية : المروءة اذا اعطيت شكرت واذا ابتليت صبرت واذا قدرت غفرت واذا وعدت أنجزت واذا سئلت بذلت .

وقال حكيم : المروءة طعام موضوع ولسان معسول ونائل مبذول وعفاف معروف وأذى مكفوف وقال الحسن : مروءة الرجل صدق لسانه واحتمال عثرات اخوانه وبذل المعروف لأهل زمانه وكف الآذى عن أباعده وجيرانه .

وقال رسول الله ﷺ : «كرم المرء دينه ومروءته عقله وحسبه خلقه» .

وقيل لأبي هلال ما المروءة ؟ فقال : ورع يحجر عن المحارم وتسارع الى المكارم وصفح عن الزلات وصبر في الملمات .



الباب الرابع والعشـــرون

في السـخاء والايثــار

قــال الله تعـالى : ﴿ويؤثــرون عـلى انفسهم ولــو كـان بهم خصاصة﴾[1] .

الأخبـــار

وقال ﷺ : «السخي قريب من الله ، قريب من الناس ، قريب من الجنة ، بعيد من النار ، والبخيل بعيد من الله ، بعيد من الناس ، بعيد من الجنة ، قريب من النار» .

والجاهل السخي أحب الى الله من العابد البخيل .

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : قال رسول الله ﷺ : «ما جبل الله وليًا له إلا على السخاء وحسن الخلق»[2] .

وقال ﷺ : «السخاء شجرة في الجنة فمن كان سخيا أخذ بغصن منها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله الجنة والشح شجرة في النار فمن كان

١ ـ الآية ٩ من سورة الحشر

٢ ـ رواه ابن ماجة عن ابن عمر

شحيحا أخذ بغصن من أغصانها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله النار» .

وقال ﷺ : «يقول الله تعالى : اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادي تعيشوا في اكنافهم فإني جعلت فيهم رحمتي ، ولا تطلبوه إلى القاسية قلوبهم فإني جعلت فيهم سخطي» .

وقال ﷺ : «إن لله عبادا اختصهم بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع عن العباد نقلها الله عنه وحولها الى غيره»

وقال ﷺ : «من عظمت نعمة الله عليه عظمت مؤ ونة الناس إليه فمن لم يحمل تلك المؤ ونة عرض تلك النعمة للزوال» . [1]

وقال ﷺ : «طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء» .

وقال عيسى عليه السلام : استكثروا من شيء لا تأكله النار قيل وما هو ؟ قال : المعروف .

وقال ﷺ : «الجنة دار الأسخياء» .

وقال ﷺ : «بذلاء امتي لم يدخلوا الجنة بصلاة أو صيام ولكن دخلوها بسخاء الأنفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين» .

وقال ﷺ : «إن الله جعل للمعروف وجوها من خلقه حبب إليهم المعروف وحبب إليهم فعاله ووجه طلاب المعروف إليهم ويسر عليهم أعطاهم كما يسير الغيث إلى البلدة الجدبة فيحييها ويحيي به أهلها» .

وقال ﷺ : «كل معروف صدقة وكلما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة ، وما وقى الرجل عرضه فهو له صدقة ، وما أنفق الرجل نفقة فعلى الله خلفها» .

---

١ ـ رواه مسلم عن أبي هريرة

وقال ﷺ : «كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب اغاثة اللهفان» .

وقال : «كل معروف فعلته الى غني أو فقير صدقة» .

وقال ﷺ : «خلقان يحبهما الله حسن الخلق والسخاء ، وخلقان يبغضهما الله سوء الخلق والبخل واذا أراد الله بعبد خيرا استعمله على قضاء حوائج الناس» .

وقال ﷺ : «ان الله جواد يحب الجواد ويحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها» .

وقال جابر : عن رسول الله ﷺ : «قال جبريل عليه السلام قال الله عز وجل : ان هذا الدين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما استطعتم» .[1]

وفي رواية : «فاكرموه بهما ما صحبتموه» .

وقال ﷺ : «تجافوا عن ذنب السخي فإن الله أخذ بيده كلما عثر» .

الآثـــار

وقيل للحسن البصري : ما السخاء ؟ فقال : ان تجود بمالك في الله عز وجل قيل : فما الحزم ؟ قال : ان تمنع مالك فيه . قيل : فما الاسراف ؟ قال : الانفاق لحب الرئاسة .

وقال جعفر الصادق : لا مال أعود من العقل ، ولا معصية اعظم من

---

١ ـ رواه الطبراني والبيهقي بطرق مختلفة

الجهل ، ولا مظاهرة كالمشورة الا وان الله يقول : (اني جواد كريم لا يجاورني لئيم) واللؤم من الكفر وأهل الكفر في النار ، والجود والكرم من الايمان وأهل الايمان في الجنة .

وقيل : خير المال ما وقى العرض .

وقيل لسفيان بن عيينة : ما السخاء ؟ فقال : السخاء البر بالاخوان والجود بالمال .

وقال بعض الحكماء : الجود غاية الزهد والزهد غاية الجود .

وقال آخر : الجود أشرف الأخلاق ، وأنفس الأعلاق .

وقال ابن المعتز : الجود حارس العرض من الذنب .

وقال أيضا : الأسخياء يقيدون المال ، والبخلاء يقيدهم المال .

ويقال : من جاد ساد ، ومن بخل ذل .

وقال علي بن عبدالله : الاسخياء سادة الناس في الدنيا ، وفي الآخرة الاتقياء .

الباب الخامس والعشـرون

في الغضب

قال الله تعالى : ﴿اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾ [1] فذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل ، ومدح المؤمنين بما انعم عليهم من السكينة .

وعن عكرمة . في قوله تعالى : ﴿وسيدا وحصورا﴾ [2] ، قال : السيد الذي لا يغلبه الغضب .

الأخـــــبار

قال رسول الله ﷺ : « إن الغضب جمرة في قلب ابن آدم ، الا ترون حمرة عينه ، وانتفاخ أوداجه فمن وجد من ذلك شيئا فليلصق خده بالأرض فإذا غضب أحد فليقل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فإن سكن والا فليجلس إن كان قائما ويضطجع إن كان قاعدا» [3].

١ ـ الآية ٢٦ من سورة الفتح

٢ ـ الآية ٣٩ من سورة آل عمران

٣ ـ رواه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري

وقال ﷺ : «من كف غضبه ستر الله عورته» .

وقال سليمان بن داود : يا بني إياك وكثرة الغضب ، فإن كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحليم .

وقال ﷺ : «ما غضب احد الا شفا على جهنم» .

وقال رجل : يا رسول الله أي شيء أشد ؟ قال : «غضب الله تعالى قال : فما يباعدني من غضب الله قال : لا تغضب» .

الآثـــار

واعلم ان الغضب سبب مفارقة العقل ، ويعمي عن الحق ، ويحمل على الظلم والبغي والجور والفساد والكذب والبهتان والبطش واتلاف النفوس ، لا سيما من ذي القدرة ، وهو ضد الحلم الذي موضعه في الدين عظيم ، وهو أصل لجميع الفضائل .

والغضب شعلة من نار .

وكسر حدة الغضب من المهمات .

وقال أحد الحكماء : الغضب يصد العقل حتى لا يرى صاحبه حسنا فيفعله ، ولا قبيحا فيجتنبه .

وقيل : من أطاع شهوته وغضبه قاداه الى النار .

وقيل : الغضب عدو العقل .

وقال بعضهم : إياك والغضب فإنه يصيّرك الى ذل الاعتذار .

وقال جعفر بن محمد : الغضب مفتاح كل شر .

وقال ابن مسعود : انظر إلى حلم الرجل عند غضبه ، وأمانته عند طمعه ، وما علمك بحلمه إذا لم يغضب ، وما علمك بأمانته إذا لم يطمع .

وقال وهب بن منبه : الكفر أربعة أركان : الغضب والشهوة والخرق والطمع .

وقال عمر ـ رضي الله عنه ـ من اتقى الله لم يشف غيظه ، ومن خاف الله لم يفعل ما يريد ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون .

وقال لقمان لابنه : يا بني لا تذهب ماء وجهك بالمساءلة ، ولا تشف غيظك فتعظم فضيحتك ، واعرف قدرك تنفعك معيشتك .

وقال أيوب : حلم ساعة يدفع شرا كثيرا .

واجمعوا على ان افضل الاعمال الحلم عند الغضب ، والصبر عند الطمع .

وقال محمد بن كعب : ثلاث من كن فيه فقد استكمل الايمان بالله تعالى ؛ من اذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل ، واذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق ، واذا قدر لم يتناول ما ليس له .

ثلاثة من كن فيه فقد اكتمل إيمانه : من كظم غيظه ، ومن أنصف في حالتي رضاه وغضبه ، ومن عفا عن ذي المقدرة ، وويل لمن غضب وينسى غضب الله تعالى ، وان لجهنم بابا لا يدخله الا من اتبع إلا بخلاف الشرع ، وان في جهنم بابا يقال له الشفا لا يدخله إلا من يشفي غضبه من أخيه المسلم .

وقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لا تعتمد على خلق رجل حتى

تجربه عند الغيظ فإن لم يغضب فهو حليم عاقل ، وإن غضب فهو جاهل احمق .

قال الناسخ : الغضب كله.مذموم الا في ذات الله .

الباب السادس والعشـرون

في الحســـد

قال الله تعالى : ﴿وما تفرقوا إلا منَ بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم﴾ [1] فأنزل الله العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته ، فأمرهم أن يتآلفوا بالعلم ، فتحاسدوا واختلفوا إذ أراد كل واحد أن ينفرد بالرئاسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض .

وقال ابن عباس : كانت اليهود قبل ان يبعث النبي ﷺ إذا قاتلوا قوما قالوا نسألك بالنبي الذي أن ترسله وبالكتاب الذي تنزله الا ما نصرتنا فكانوا ينصرون . فلما جاء النبي عليه السلام من ولد اسماعيل عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم إياه فقال تعالى : ﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا﴾ [2] ، أي حسدا .

وقال تعالى : ﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه . وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم﴾ [3] ، قيل في التفسير : حسدا .

---

١ - الآية ١٤ من سورة الشورى

٢ - الآيتان ٨٩ ، ٩٠ من سورة البقرة .

٣ - الآية ٢١٣ من سورة البقرة

الأخبار

قال ﷺ : «اخوف ما أخاف على امتي ان يكثر لهم المال فيتحاسدوا ويقتتلوا» .

وقال ﷺ : «ستة يدخلون النار بستة : الأمراء بالجور ، والعرب بالعصبية ، والدهاقين بالتكبر ، والتجار بالخيانة ، وأهل الرساتيق بالجهالة ، والعلماء بالحسد» .

وقال ﷺ : «انه سيصيب امتي داء الأمم الأشر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغي ثم يكون الهرج» .

وقال ﷺ : «المؤمن يغبط والمنافق يحسد» .

وقال : «الحسد يأكل الحسنات [1] كما تأكل النار الحطب» .

وقال ﷺ في النهي عن الحسد وأسبابه وثمراته : «لا تحاسدوا ولا تقاطعوا [2] ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا» .

الآثار

وقيل : الحاسد لا ينال من المجلس إلا مذمة وذلا ، ولا ينال من الملائكة الا لعنا وبغضا ، ولا ينال من الخلق إلا جزعا وعناء ، ولا ينال عند النزع إلا شدة وهولا ، ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة ونكالا .

---

١ ـ رواه أبو داود عن أبي هريرة

٢ ـ رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة

وقال بعض الحكماء : الحسد جرح لا يندمل إلا بهلاك الحاسد والمحسود .

وقال بعض المتكلمين : الاذلاء اربعة الحسود والنمام والكذوب واللئيم .

وعن بعض الحكماء أنه قال : لا راحة للطامع ، ولا لذة للحاسد .

وقال الأحنف بن قيس : لا راحة للحسود ، ولا مروءة للكذوب ، ولا صديق للملول ، ولا حياة للبخيل ، ولا سؤدد للسيء الخلق .

وقال حكيم : الحسد داء دوي لا دواء له الا الموت .

وقال أهل الاشارة : الحسد كالنار تأكل نفسها إذا لم تجد ما تأكله .

وفي بعض الكتب : الحاسد عدو نعمتي .

وقال معاوية : كل انسان أقدر على أن ارضيه إلا الحاسد لا يرضيه إلا زوال النعمة . وقال : ليس في خلال الشر خلة اعدل من الحسد ؛ يقتل الحاسد غما قبل المحسود .

وقال عمر بن عبدالعزيز : ما رأيت ظالما أشبه بالمظلوم من الحاسد غم دائم ونفس متتابع .

وقيل : من علامات الحاسد ، يتملق إذا شهد ، ويغتاب إذا غاب ، ويشمت بالمصيبة إذا نزلت .

وقيل : الحاسد اذا رأى نعمة بهت وإذا رأى عثرة شمت .

وقيل : الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له ، بخيل بما لا يملكه .

وقيل : إياك أن تتعنى في مودة من يحسدك ، فإنه لا يقبل احسانك .

وقيل : إذا اراد الله أن يسلط على عبده عدوا لا يرحمه سلط عليه حاسدا .

وقال بعض الحكماء : من رضي بقضاء الله تعالى رضي الله عنه ولم يسخطه أحد ، ومن قنع بعطائه لم يدخله حسد .

وقال بعض الحكماء : يكفيك من الحسود انه يغتم في وقت سرورك .

وقيل في منثورة الحكم : عقوبة الحاسد من نفسه .

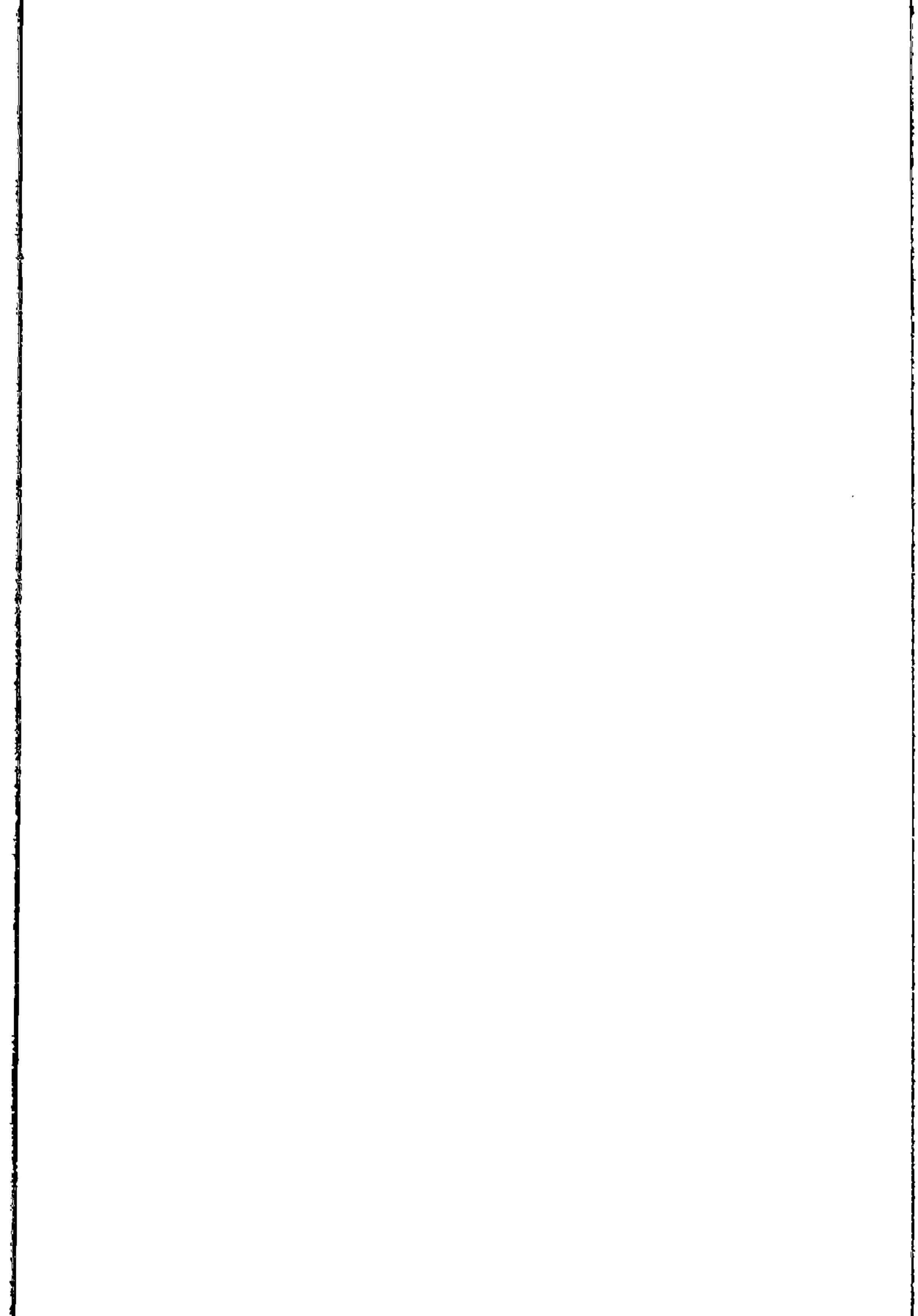
وقال الغزالي في كتابه : من اشتد حرصه على الجاه وحب الصيت في جميع اطراف العالم بما هو فيه فإنه يحسد كل من هو في العالم ، وان بعد ممن يساهمه في الخصلة التي يتفاخر بها ، ومن شاء جميع ذلك حب الدنيا فإن الدنيا تضيق عن المتزاحمين ، وأما الآخرة فلا ضيق فيها وانما مثال الآخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وأنبيائه وملكوت أرضه وسمائه لم يحسد غيره إذا عرف ذلك لأن معرفة الله لا تضيق عن العارفين بل المعلوم الواحد يعرفه الف الف واحد ويفرح بمعرفته ، ويلتذ به ، ولا ينقص لذة واحدة بسبب غيره بل تحصل بكثرة العارفين زيادة الأنس وثمرة الافادة والاستفادة فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة لأن مقصدهم معرفة الله تعالى ، وغرضهم المنزلة عند الله ، ولا ضيق فيما عند الله تعالى .

ومن الحاشية . قال الناسخ : الذي بان لي ان المعلوم الواحد معنا شيء الواحد والله اعلم .

رجـــع

واذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا لأن المال أعيان وأجسام إذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الآخر ومعنى الجاه . ملك القلوب ، ومهما

امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم آخر ونقص منه لا محالة فيكون ذلك سببا للمحاسدة .



الباب السابع والعشـرون

في الكـــبر

قد ذم الله الكبر في مواضع من كتابه وذم كل جبار عنيد فقال : ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿فبئس مثوى المتكبرين﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾ (٥) .

الأخبـــار

قال ﷺ : «يحشر المتكبرون يوم القيامة امثال الذر في صور الرجال

---

١ - الآية ١٤٦ من سورة الأعراف
٢ - الآية ١٧٢ من سورة النساء
٣ - الآية ٩٣ من سورة الأنعام
٤ - الآية ٧٢ من سورة الزمر
٥ - الآية ٣٥ من سورة غافر

يعلوهم كل شيء من الصغار ثم يساقون الى سجن في جهنم يقال له يولس تعلوهم نار الأنيار يسقون من طينة الخبال عصارة أهل النار» .

وقال ﷺ : «يحشر الجبارون المتكبرون يوم القيامة في صورة الذر يطأهم الناس لهوانهم على الله» .

وقال ﷺ : «ان في النار قصرا يجعل فيه المتكبرون ويطبق عليهم» .

وقال ﷺ : «اللهم إني اعوذ بك من نفخة الكبر» .

وقال ﷺ : «من فارق روحه جسده وهو بريء من ثلاث دخل الجنة : الكبر والدَّيْن والغلول» .

وقال ﷺ : «لا ينظر الله الى رجل يجر ثوبه بطرا» .

وقال ﷺ : «من تعظم في نفسه [1] واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان» .

وقال ﷺ : «لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما أصابهم من العذاب» .

وقال ﷺ : «يخرج من النار عنق له أذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق يقول وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد ، وبكل من دعا مع الله إلها آخر ، ـ لعله ـ وبالمصورين» .

وقال ﷺ : لا يدخل الجنة جبار ، ولا بخيل ، ولا سيء الملكة» .

وقال ﷺ : «بئس العبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الأعلى ، بئس العبد تجبر واختال ونسي الكبير المتعال ، بئس العبد عبد سها ولها ونسي المقابر

---

١ - رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة

والبلاء ، بئس العبد عبد أغني وبغى ونسي المبدأ والمنتهى» .

وقال ﷺ : «تحاجت الجنة والنار . فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين . وقالت الجنة : مالي لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم . فقال الله تعالى للجنة : (انما انت رحمتي ارحم بك من أشاء من عبادي) ، وقال للنار : (إنما انت عذابي اعذب بك من أشاء ولكل واحدة ملؤها)» .

الآثـــار

قال أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ لا يحقرن أحد أحدا من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبير .

وقال النعمان بن بشير على المنبر : ان للشيطان مصائد وفخوخا وان مصائده وفخوخه [1] البطر بأنعم الله ، والفخر بما اعطى الله ، والكبر على عباد الله ، واتباع الهوى في غير ذات .

وقال محمد بن الحسين بن علي : ما دخل قلب امرىء شيء من الكبر قط الا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل أو كثر .

وقال عالم : التكبر عقوبة لا ترحم .

وقال بعض الحكماء : المتكبر الذي يرى نفسه خيرا من غيره وذلك من غاية لوث باطنه . واعلم ان الكبر هو الاعجاب وهو يخفي المحاسن ، ويظهر المساوىء ، ويكسب المذام ، ويصد عن الفضائل .

وروي عن النبي ﷺ : أن العجب ليأكل الحسنات كما تأكل النار

---

١ ـ جمع فخ وهو ما ينصب لاصطياد الفريسة

الحطب» .

وقال القرشي : الاعجاب ضد الصواب ، وآفة الألباب .

وقال بعض الحكماء : من برىء من ثلاث نال ثلاثا : من برىء من الشره نال العز ، ومن برىء من البخل نال الشرف ، ومن برىء من الكبر نال الكرامة .

وقال الفضل بن سهل : من كانت ولايته فوق قدره تكبر لها ، ومن كانت ولايته دون قدره تواضع لها .

وقال إبليس ـ لعنه الله ـ : إذا ظفرت من ابن آدم بثلاث لم أبال أن لا أطالبه بغيرهن إذا نسي ذنوبه ، واستكثر أعماله ، وأعجب بنفسه .

وقد قيل : مما أنزل الله تعالى في الكتب السالفة : عجبت لمن قيل فيه الخير وليس فيه كيف يفرح ، وعجبت لمن قيل فيه الشر وهو فيه كيف يغضب .

وقال أشعياء عليه السلام لبني اسرائيل : ان الدابة تزداد مع كثرة الرياضة لينا ، وقلوبكم لا تزيد على كثرة الموعظة إلا قسوة وان الجسد إذا صلح كفاه القليل من الطعام ، وان القلب اذا صلح كفاه القليل من الحكمة . كم من سراج قد أطفأته الريح وكم من عابد قد أفسده العجب .

يا بني اسرائيل اسمعوا قولي فإن قائل الحكمة وسامعها شريكان ، وأولاهم من حققها بعلمه .

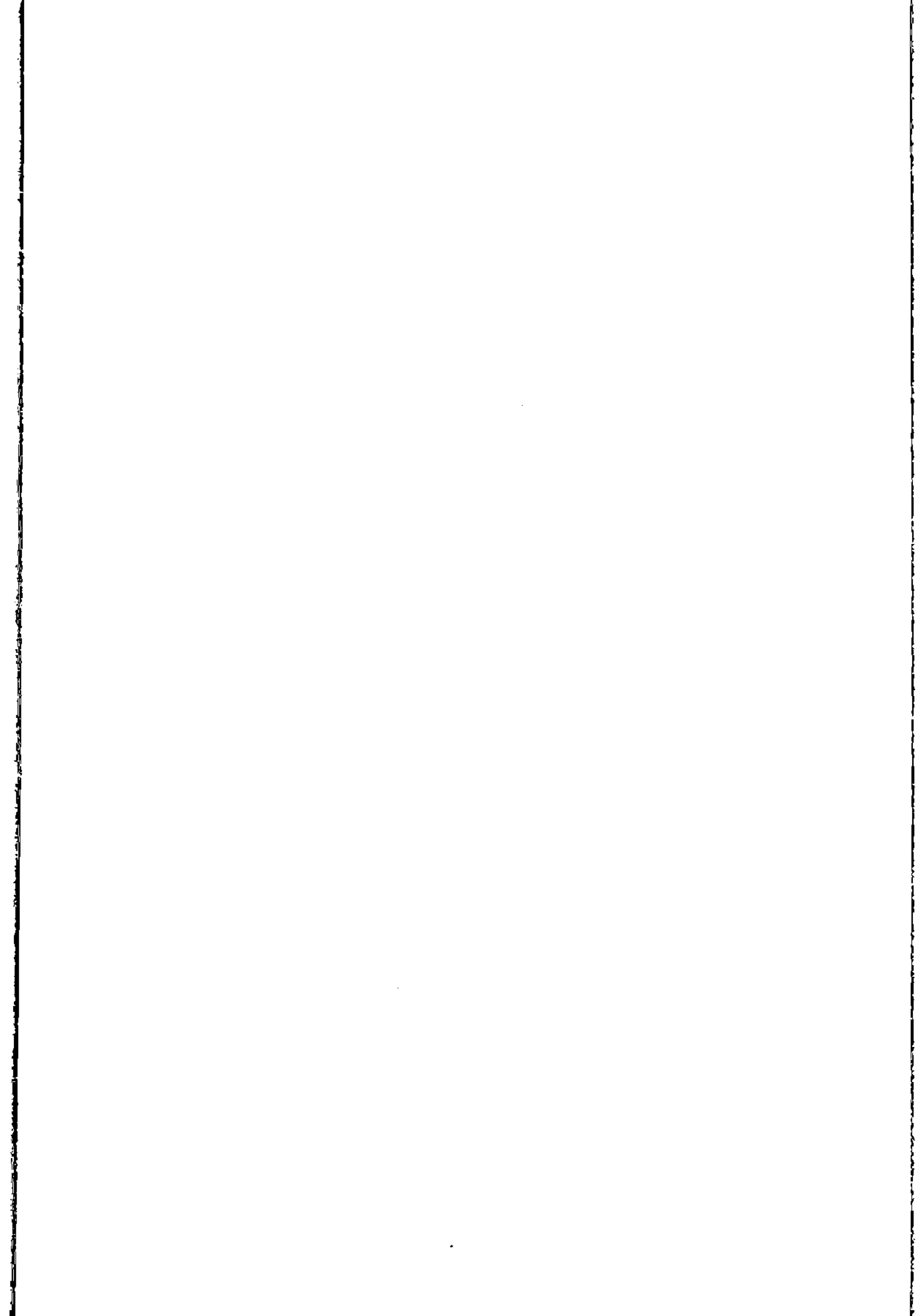
وقال مجاهد في قوله تعالى : **﴿ثم ذهب الى اهله يتمطى﴾** [1] أي يتبختر .

---

١ - الآية (٣٣) من سورة القيامة .

وقال النبي ﷺ : «إذا مشت أمتي المطيطا وخدمتهم فارس والروم سلط بعضهم على بعض .

وقال النبي ﷺ : «ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه» .



الباب الثامن والعشرون

في المزاح والعجب والضحك

روي عن النبي ﷺ في غريب الحديث أنه قال : «لا مزح ولا أقول إلا حقا» وذلك مثل قوله : «اذهبوا بنا إلى فلان البصير نعوده لرجل مكفوف البصر أي بصير القلب» .

ومثل قوله ـ عليه السلام ـ للعجوز التي قالت : ادع الله أن يدخلني الجنة . فقال : «إن الجنة لا تدخلها العجوز» كأنه ـ عليه السلام ـ أراد قول الله : ﴿إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا﴾ [1] فإذا صارت إلى الجنة فليست بعجوز حينئذ .

وقوله : لابن أبي طلحة وكان له بعير فمات فجعل يقول : «ما فعل البعير يا أبا عمير» فهذا ومثله من المباح وهو حق كله .

وأتته امرأة في حاجة لزوجها فقال : «ومن زوجك ؟» قالت : فلان فقال : «الذي في عينيه بياض ؟» قالت : لا قال : «بلى» فانصرفت عجلى إلى زوجها وجعلت تتأمل عينيه فقال : ما شأنك ؟ قالت : أخبرني رسول الله ﷺ أن في عينيك بياضا فقال لها : صدق رسول الله ﷺ أما ترين بياض عيني أكثر من سوادهما .

---

١ ـ الآية ٣٦ من سورة الواقعة

وكان ﷺ يمزح في سفره مع أصحابه ولا يقول إلا حقا .

وعن النبي ﷺ قال : «المزاح استدراج من الشيطان واجماع من الهوى» .

وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى بعض عماله : امنعوا الناس من المزاح فإنه يذهب المروءة ويوغر الصدور .

ولبعضهم شعر :

إذا صاحبا صرم بحبل تجاذبا فلم يلبثا بالصرم أن يقطعا الحبلا
إذا طال عمر المرء في غير آفة أفادت له الأيام في كرها عقلا
فإياك إياك المزاح فإنه يجرىء عليك الطفل والدنس النذلا
ويذهب ماء الوجه بعد مهابة ويورثه من بعد عزته ذلا

واعلم أن المزاح إزاحة الحقوق ، ويخرج إلى القطيعة والعقوق ، ويصم المازح ، ويؤذي الممازح فأما وصمه المازح أنه يذهب عنه الهيبة والبهاء ويجرىء عليه السفهاء وأما أذيه الممازح فإنه معقوق إن أمسك عنه أحزن قلبه وإن قابل عنه انتهك عرضه .

وقيل : إنما سمي المزاح مزاحا ؛ لأنه يزيح عن الحق .

وقيل : المزاح يأكل الهيبة كما تأكل النار الحطب .

وقيل : من مزح مزحة مج من عقله مجة .

وقيل : قلة المزاح من الفتى تدعو إلى الفلاح .

وقيل : المزاح سباب الحمقى وهو السباب الأصغر .

وقيل : المزاح يذهب الهيبة ويورث الضغينة .

وقيل : من قل عقله كثر هزله .

وقيل : لكل شيء بذر وبذر العداوة المزاح .

وقيل : المزاح أوله فرح وآخره ترح

وقيل : لو كان المزاح فحلا لم ينتج إلا شرا .

وقيل : المزاح مسلبة للمهابة مقطعة للصداقة .

وقيل : المزاح والسخرية والاستهزاء بالناس يريق ماء الوجه ويسقط المهابة ويستجر الوحشة ويؤذي القلوب ، وهو مبدأ اللجاج والغضب والتصارم ويغرس الحقد في القلوب ، ويذهب بحلاوة الود ويشين فقه الفقيه ويجرىء السفيه ويميت القلب ويورث الذلة ويباعد عن الرب وبه تكثر العيوب فإياك أن تمازح لبيبا أو غير لبيب فإن اللبيب يحقد عليك والسفيه يجترىء عليك ، وإن مازحك غيرك فلا تجب واعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، وكن من الذين إذا مروا باللغو مروا كراما .

وعن النبي ﷺ : «إياكم والمزاح فإن خيره لا ينال وشره لا يقال» .

وقال أبو نصر : في الضحك ثماني آفات :

احداها : يذمك العلماء والعقلاء .

والثانية : يجترىء عليك السفهاء والجهلاء .

والثالث : إذا كنت جاهلا ازداد جهلك ، وإن كنت عالما نقص علمك .

والرابعة : أن فيه نسيان الذنوب الماضية .

والخامسة : أن فيه جرأة على الذنوب في المستقبل ؛ لأنك إذا ضحكت قسا قلبك .

والسادسة : أن فيه نسيان الموت وما بعده من أمر الآخرة .

والسابعة : أن عليك وزر من يضحك بضحكك .

والثامنة : أنه يعقب في الدنيا بكاء طويلا وحزنا في الآخرة كثيرا .

وقيل : ثلاثة أشياء تقسي القلب : كثرة الضحك من غير عجب ، والأكل من غير جوع ، والكلام من غير حاجة .

وقيل : ثلاثة تخلق العقل : سرعة الجواب ، وطول التمني ، والاستغراق في الضحك .

فصـــــل

وقيل : إنه رد على إبراهيم بعض دعائه لعجب دخله . جاء عنه ـ عليه السلام ـ أنه أحيى ليلة ، فلما أصبح أعجب بقيام ليله فقال : نعم الرب رب إبراهيم ونعم العبد إبراهيم فلما كان غداؤ ه لم يجد أحدا يأكل معه وكان ـ عليه السلام ـ يحب أن يأكل معه غيره فأخرج طعامه إلى الطريق ليمر به مار ليأكل معه وجاء الحديث أنه نزل ملكان من السماء فأقبلا نحوه فدعاهما إبراهيم ـ صلوات الله عليه ـ إلى الغداء فأجاباه فمال إليهما فقال لهما : تقدما إلى هذه الروضة فإن فيها عينا فنتغدى عليها . فتقدما إلى العين فإذا ماء العين قد غار وليس فيها ماء فاشتد على إبراهيم فاستحى إذ رأى غير ما قال فقالا له : ادع ربك يا إبراهيم وسله أن يعيد المـاء إلى العين . فدعا الله فلم ير شيئا فاشتد عليه ، قال لهما : ادعوا الله فدعا الله أحدهما فرجع نصف المـاء إلى العين ثم

دعا الآخر فامتلأت العين فأخبراه أنهما ملكان وان اعجابه بقيام ليله من أجله رُدَّ دعاؤه فلم يُسْتَجَبْ .

فاحذروا ـ رحمنا الله وإياكم ـ الاعجاب فإنه من الكبر وتواضعوا فإنه إذا تكبر العبد قصمه الله ورد عمله وليس مع الكبر عمل ولا يقبل مع الكبر عمل ، وكلما خضع العبد لله وتواضع وذل كان أزكى لعمله وأشرف له وأقرب من الله ـ عز وجل ـ .

وقال النبي ﷺ : «ما وضع عبد نفسه إلا رفعه الله وما رفع نفسه إلا وضعه الله» .

وقيل : إن الذي يختال في ثوبه لا تقبل صلاته .

وقيل : إن قارون اختال فخسف به الأرض .

وقيل : ما رفع الناس أبصارهم إلى شيء إلا وضعه الله .

وقيل : إذا أقبل الرجل على الرجل بالثناء فقد أقبل عليه بالشقاء الأكبر وإن تعجيل العقوبات حب القلوب للمدح .

وقيل : إن العجب يحرق الأعمال ويأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب . وكفى بالمرء جهلا أن يعجب بنفسه .

وأصل الهلاك في اثنين : القنوط والعجب ، وأن المعجب بنفسه مخذول محجوب عن التوفيق ممنوع عن التأييد .

وذكر في الخبر عن النبي ﷺ أنه قال : «ثلاث مهلكات ؛ شح مطاع ، وهوى متبع ، واعجاب المرء بنفسه» .

وعن عيسى ـ عليه السلام ـ أنه قال : كم من سراج قد أطفأته الريح ، وكم من عابد قد أفسده العجب ، وحقيقة العجب استعظام العمل فمن أراد

أن يزيل العجب عن نفسه فعليه بأربعة أشياء : أولها أن يرى التوفيق من الله ـ تعالى ـ فيشتغل بالشكر ولا يعجب بنفسه وينظر في نعم الله ـ تعالى ـ التي أنعم بها عليه ويستشعر المخافة من الله ـ تعالى ـ في رد عمله فيشتغل بذلك عن العجب فإنه لا يعرف ما يخرج له يوم القيامة في كتابه أشقيّ في نار حامية أم سعيد في جنة عالية . فإذا فعل ذلك فقد كسر العجب عن نفسه .

وان أقل طاعة إذا سلمت من العجب والرياء يكون لها عند الله ـ تغالى ـ من المنزلة والقيمة ما لا نهاية له ، وإن أعظم طاعة إذا أصابتها هاتان الآفتان العجب والرياء فلا قيمة لها ولا يثاب عليها عاملها .

واعلم أن أعظم آفة تدخل على العبادة من قبل العجب لأنه ربما يجتهد في عبادة ربه وطاعته سنين عدة وهو غافل عن عيوب نفسه وعن كل آفة تدخل عليه في عبادته وربما لا يكون شيء من أعماله مقبولا وربما يتعب أعواما فيفسد عليه عمله من أجل ساعة واحدة فهذا من أعظم الخسران وأعظم الخطر وأعظم البلاء .

نعوذ بالله من شرور أنفسنا ونسأله العصمة والتوفيق بفضله وكرمه وأن يميتنا مسلمين إنه هو أرحم الراحمين .

الباب التاسع والعشـرون

في الرياء والاعجاب

اعلم ان الرياء محبط لجميع الأعمال وهو الشرك الأصغر قال الله عز وجل : ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾[1] ، أراد به الاخلاص .

وقال تعالى : ﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا﴾[3] .

الأخـــبار

قال رسول الله ﷺ : «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر . قيل : وما هو يا رسول الله ؟ قال : هو الرياء يقول الله - عز وجل - يوم القيامة إذا جاء العباد بأعمالهم - اذهبوا الى الذين كنتم تراءون لهم فانظروا هل

---

١ - الآية ١١٠ من سورة الكهف

٢ - الآيات ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ من سورة الماعون

٣ - الآية ٩ من سورة الانسان

تجدون» .

وقال في حديث طويل يقال للغازي والعالم والمنفق إذا قال فعلت كذا يقال له : كنت اردت ان يقال فلان عالم أو شجاع أو جواد فيذهب به الى النار .

وروي ان رسول الله ﷺ قال : «ان المرائي يدعى يوم القيامة بأربعة اسماء : يا كافر يا فاجر ياغادر يا خاسر . ضل سعيك وبطل أجرك فلا خلاق لك التمس الأجر ممن كنت تعمل له يا مخادع» .

وروي عنه ﷺ أنه قال : «ان الجنة تكلمت فقالت : أنا حرام على كل بخيل ومراءٍ» .

وقال رسول الله ﷺ لأبي ذر : «يا أبا ذر جدد السفينة فإن البحر عميق ، واكثر الزاد فإن الطريق بعيد ، واخلص العمل فإن الناقد بصير» .

وقال ﷺ : «للمرائي ثلاث علامات ، يكسل اذا كان وحده عن الصلاة ، وينشط إليها إذا كان يرى الناس ، ويحب الثناء في جميع أموره» .

وقال ﷺ : «من أسر سريرة البسه الله رداءها إن كان خيرا فخير ، وان كان شرا فشر» .

وقال ﷺ : «من رأى رأى الله به ومن سمع سمَّع الله به» .

عن عبدالله بن عمر : من سمع الناس بعمله سمع الله به سامع يوم القيامة .

وعنه ﷺ : «ان الرجل ليصل في بيته خاليا فيرد عليه» قيل : ومن يرد عليه ؟ قال : «أن يعلم بمكانه فلو أن رجلا عمل عملا فأسره وكتمه ثم أحب أن يعلم الناس بمكانه أنه ممن يكتم أعمال البر ويستره فقد أحب أن يرى عمله ويذكر به وكان ذلك حظه من عمله علموا به أو لم يعلموا . والرجل لا يفطن

لوسواس الشيطان وذلك أمكن لعدوه من قلبه» .

وعنه ﷺ قال : «من عمل عملا صالحا فأظهره كي يقتدي به الناس كان كالداعي إلى الله ـ تعالى ـ ما لم يحب مع ذلك الحظوة والمنزلة عندهم ، والقيمة في قلوبهم والمعرفة لفضله ، فإن أحب شيئا من ذلك من هذه المعاني كان ذلك كله رياء» .

الآثـــار

وعن ابن عباس قال : إن من عمل العلانية ما يضاعف على عمل السر سبعين ضعفا . قيل : وكيف ذلك ؟ قال : إذا عمل العمل ليتأسى به غيره فإن قوي قلبه عند إظهار عمله أن يدفع ما يسوس إليه العدد من حمد الناس إياه ، كان من الرياء سالما .

واعلم أن العبد لا يقوى على اظهار عمل بره حتى يكون مادحه وذامه في أعمال بره يجريان في قلبه مجرى واحدا ، وينزلان بمنزلة واحدة فإذا أردت السلامة من أعمال البر دون التماس لثناء ، ولا محمدة ، ولا مكرمة ، ولا ذكر ولا حظوة ، ولا محبة ، ولا رفعة ، ولا رياسة ، فإذا ذكرت شيئا من ذلك فلا يسرنك ولا يكونن في ضميرك فإن نفيته فقد سلمت منه وإن قلته فقد أشركت في عملك . والرياء خفي وهو داخل على العبد في كل شيء حتى في لحظه إذا لحظ وتماوت في المنطق ، وفي المشي يترفق في مشيه ولا يحرك يدا ليقال ما أحسن مشيته وهديه .

وفي اللباس يترك لباسا تشتهيه نفسه وتحتاج إليه وهو يقدر عليه كراهية ليس هذا من لباس الصالحين ، ولا من زيهم حتى في تنحنحه يحب أن يعلم بمكانه .

ولا يسلم من الرياء إلا من سلمه الله .

وإياك أن تترك من العمل الذي نويت أن تعمله شيئا لأجل الناس ، ولا تزد فيه لأجل الناس ، وعد نفسك كراعي غنم أو إبل يفعل أمامه ما يريد لا يبالي بهم .

واقصد في أعمالك كلها وجه الله ، واحمل نفسك في جميع أمورك على أوسط الأمور وهو الصراط المستقيم وفيه النجاة ولذلك قال رسول الله ﷺ : «خير الأمور أوسطها» .

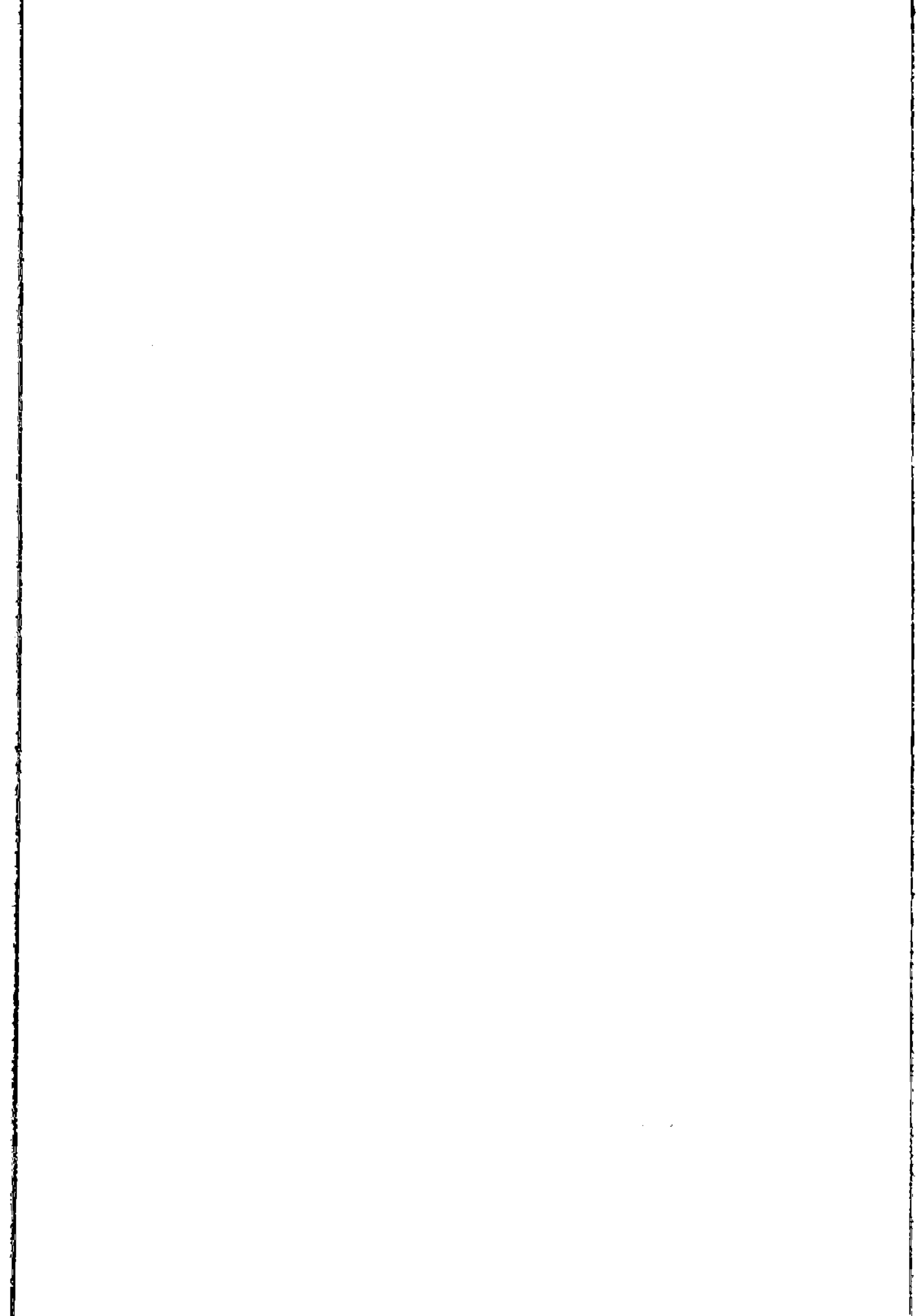
فاحمل نفسك عليها في مأكلك ومشربك وملبسك ومشيك وكلامك ومناظرتك وقعودك بين إخوانك ، ولا تلبس الاطمار لتمتاز بها عن الغافلين من الفجار ليشار إليك بالأصابع وترى السكينة في مشيتك وأنت تقصد ما يسوؤك فتكون ملكا في ظاهرك ، شيطانا في باطنك ، صديقا في علانيتك ، لصا في سريرتك ، شاة في ظاهرك ، ذئبا في باطنك ، فتسلك في الظاهر خير المسالك ، وفي الباطن يصطلي بنارك فاجعل جميع من يراك كأنهم موتى فإنهم كذلك لا يضرونك ، ولا ينفعونك ولا تفرق بين وجودهم وعدمهم وعلمهم بها وغفلتهم عنها ، واقنع في ذلك بعلم الله ـ تعالى ـ وحده واطلب الأجر منه فإنه لا يقبل إلا الاخلاص وقدر أيضا أن ذمهم لن يضرك إذا كنت محمودا عند الله ـ تعالى ـ ، ولا تتعرض لمقت الله وذمه خوفا من ذم الخلق ، وقدر أن الناس لو علموا ما في باطنك من قصد الرياء لمقتوك ويأبى الله إلا أن يكشف سرك حتى يعلم نفاقك فيمقتك الناس بعد أن يمقتك الله ـ عز وجل ـ ، فلا تطلب رضاء الناس بسخط الله ـ تعالى ـ فيسخط الله عليك ويسخط عليك الناس بسخط الله ـ تعالى ـ .

قال معاذ : قلت يا رسول الله ؛ أنت رسول الله وأنا معاذ . قال : «اقتد بي وإن كان في عملك نقص ، يا معاذ ؛ حافظ على لسانك من الوقيعة في

إخوانك من حملة القرآن واحمل ذنوبك عليها ولا تحملها عليهم ولا تزكِّ نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الآخرة ولا تتكبر في مجلسك كي يحذرك الناس من سوء خلقك ولا تناجِ رجلا وعندك آخر ولا تتعظم على الناس فينقطع عنك خير الدنيا ولا تمزق الناس بلسانك فتمزقك كلاب النار يوم القيامة في النار» . قال الله ـ تعالى ـ : ﴿والناشطات نشطا﴾[1] «أتدري ما هي يا معاذ ؟» قلت : ما هي بأبي أنت وأمي ؟ قال : «كلاب في النار تنشط اللحم والعظم» قلت : بأبي أنت وأمي فمن يطيق هذه الخصال وينجو منها ؟ قال : «يا معاذ إنه ليسير على من يسره الله ـ تعالى ـ» .

---

١ - الآية (٢) من سورة النازعات .



الباب الثلاثون

في الغيبـــة

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ [1] .

الأخبـــار

قال النبي ﷺ : «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» [2] .

وقال ﷺ : «لا تحاسدوا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا» .

وقال البراء : خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق في بيوتها فقال : «يا معاشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه الله ولو في جوف بيته» .

وأوحى الله ـ تعالى ـ إلى موسى ـ عليه السلام ـ : (من مات تائبا من

---

١ ـ الآية ١٢ من سورة الحجرات

٢ ـ رواه مسلم عن أبي هريرة

الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ، ومن مات مصرا على الغيبة فهو أول من يدخل النار .

وقال أنس : خطبنا رسول الله ﷺ فذكر الربا وعظم شأنه وقال : «إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وأربى الربا عرض الرجل المسلم» .

وقال ﷺ : «مررت ليلة أُسْرِيَ بي على قوم يخمشون وجوههم بأظافيرهم فقلت : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون في أعراضهم» .

وقال ﷺ : «ما النار في اليبس بأسرع من الغيبة في حسنات الرجل» .

وقال رجل : يا رسول الله علمني خيرا ينفعني الله به . فقال ﷺ : «لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تصب دلوا في إناء المستقي ، وأن تلقى أخاك ببشر حسن ، وإذا أدبر فلا تغتبه» .

وقال مجاهد : في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾ [1] الهمزة طعان في الناس ، واللمزة الذي يأكل لحوم الناس .

وقال معاذ : ذكر رجل عند رسول الله ﷺ فقالوا : ما أعجزه فقال : «اغتبتم صاحبكم» قالوا : يا رسول الله ؛ قلنا ما فيه . قال : «إن قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه» .

وفي موضع آخر قال له رجل : يا رسول الله ؛ فلان ما أعجزه لا يرحل حتى يرحل له أو شبها من هذا . فقال له رسول الله ﷺ : «غزوت الروم ؟» قال : لا . قال : «غزوت كذا ؟» قال : لا . فقال له : «كل هؤلاء يسلمون

---

١ - الآية ١ من سورة الهمزة

منك ولم يسلم منك أخوك المسلم» فأنكر عليه .

وروي عنه ﷺ قال : «هل تدرون ما الغيبة؟» قال : الله ورسوله أعلم . قال : «ذكرك أخاك بما يكره» قلت : أرأيت إن كان في أخي ما أقول قال : «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه فقد بهته» .

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها ذكرت امرأة فقالت إنها قصيرة فقال النبي ﷺ : «اغتبتها» .

وقال ﷺ : «من رد عن أخيه بالغيبة كان حقا على الله أن يعتقه من النار» .

وقال ﷺ : «من أذل عنده مؤمن وهو يقدر على أن ينصره فلم ينصره أذله الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق» .

وقال ﷺ : «من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له» .

وقال ﷺ : «أتَرعَوون عن ذكر الفاجر حتى يعرفه الناس اذكروه بما فيه يحذره الناس» .

الآثـــار

عن أبي بكر أحمد بن محمد بن صالح عن الشيخ أبي عبدالله محمد بن ابراهيم الكندي ـ رحمه الله ـ أنه كان يقول : ما أرجو الجنة لأحد من أهل هذا الزمان إلا الصبيان فذكر له في ذلك فقال : لأن الغيبة محرمة بالكتاب والسنة والاجماع ولا أرى أحدا يتورع عنها .

وروي لي أيضا عنه عن أبي بكر أنه كان يقول : إني لأعجب ممن يتورع

من تبنة من جدار وهو يتكلم في اغتياب المسلمين بكلام يدخل به النار .

وكان أبو بكر ـ رحمه الله ـ لا يغتاب في مجلسه أحدا ويقول : إن ذكرتم الله أعنّاكم ، وإن ذكرتم غيره قمنا وتركناكم .

وكان ميمون لا يغتاب ولا يدع عنده أحدا يغتاب وينهاه فإن انتهى وإلا قام وخلاه .

وقال الحسن : والله للغيبة أسرع في دين المؤمن من الأكلة في جسده .

وقال بعضهم : أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف عن أعراض الناس .

وقال ابن عباس : إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك .

وقال عمر : عليكم بذكر الله ، وإياكم وذكر الناس فإنه داء .

ومر عيسى ـ عليه السلام ـ والحواريون على جيفة كلب فقال الحواريون : ما أنتن ريح هذا . فقال عيسى : ما أشد بياض أسنانه كأنه ينهاهم عن غيبة الكلب ، وينهاهم على أنه لا يذكر شيء من خلق الله ـ تعالى ـ إلا أحسنه .

وقال الغزالي في كتابه : حد الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه ولو بلغه سواء ذكرت نقصا في بدنه أو في خُلُقه أو في نسبه أو في خَلْقه أو في فعله أو في قوله أو في دينه أو في دنياه وحتى ثوبه وفي داره وفي دابته .

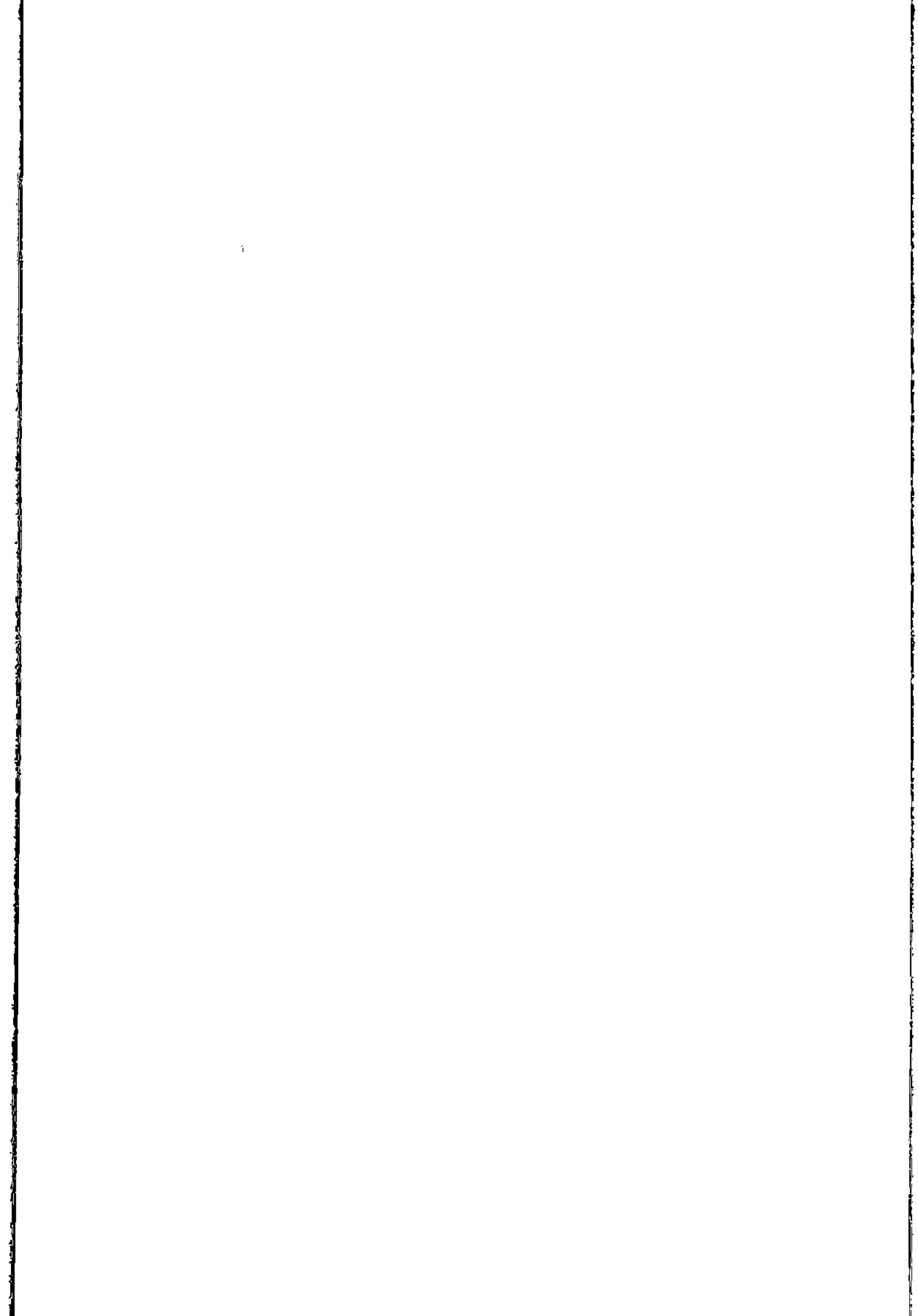
وقال : المستمع لا يخرج من اثم الغيبة إلا أن ينكر بلسانه فإن عجز فبقلبه ، أو قدر على قطع القيام أو قطع الكلام بكلام غيره ولم يفعل لزمه ، وإن قال بلسانه : اسكت وهو مشتهٍ لذلك بقلبه فذلك نفاق لا يخرجه عن الاثم ما لم يكره بقلبه ، ولا يكفي أن يشير باليد أي اسكت أو يشير بحاجبه

وجبينه فذلك استخفاف للمذكور بل ينبغي أن يعظمه فيذب عنه صريحا .

وقال الصلت بن طريف للحسن : الرجل الفاجر المعلن لفجوره ذكري له بما فيه غيبة له . قال : لا ولا كرامة .

وكانوا يقولون : ثلاثة لا غيبة لهم ؛ الامام الجائر ، والمبتدع ، والمجاهر بفسقه .

وقال عمر : ليس للفاجر حرمة .



الباب الحادي والثلاثون

في النميمـــة

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم﴾[1] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾[2] قيل : الهمزة النمام .

وقال الله ـ تعالى ـ : ﴿حمالة الحطب﴾[3] لأنها كانت نمامة حمالة للحديث في قول بعضهم .

وقال : ﴿فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا﴾[4] .

قيل : كانت امرأة لوط تخبر بالضيفان ، وامرأة نوح كانت تخبر أنه مجنون .

وقد قال النبي ﷺ : «لا يدخل الجنة النمام» .

وفي حديث آخر : «لا يدخل الجنة قتات» والقتات هو النمام .

---

١ - الآيتان ١١ ، ١٢ من سورة القلم
٢ - الآية ١ من سورة الهمزة
٣ - الآية ٤ من سورة المسد
٤ - الآية ١٠ من سورة التحريم

الأخبـــار

قال ﷺ : «أحبكم إلى الله أحسنكم أخلاقا فالموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون وأبغضكم المشاءون بالنميمة المفرقون بين الاخوان الملتمسون للبريء[1] العثرات» .

وفي خبر : «ألا أخبركم بشراركم ؟ المشاءون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبريئين العيب» .

وقال ﷺ : «من أشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله في النار يوم القيامة» .

وفي موضع آخر : «أيما رجل أشاع على رجل كلمة ليشينه بها كان حقا على الله أن يذيبه بها يوم القيامة في النار» .

وقال ﷺ : «من شهد على مسلم بشهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار» .

وقال ﷺ : «من مشى بين اثنين بالنميمة سلط الله في قبره نارا تحرقه إلى يوم القيامة» .

وقال ﷺ : «إن من ألقى بين اثنين عداوة فليتبوأ مقعده من النار ، ومن أصلح بين اثنين وجبت له على الله الجنة» .

وقال ﷺ : «إن الله ـ تعالى ـ لما خلق الجنة قال لها : تكلمي . قالت : سعد من دخلني . قال الجبار ـ جل جلاله ـ : وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس : مدمن خمر ، ولا مصر على الزنا ، ولا قتات ـ وهو

---

١ ـ وردت في الأصل (للبراء) والصحيح ما أثبت

النمام ـ ، ولا ديوث . قال الناسخ : الذي حفظته أن الديوث الذي يجمع بين الرجال والنساء على الحرام والله أعلم . (رجع) .

ولا الشَّرطِي ، ولا المخنث ، ولا قاطع الرحم ، ولا الذي يقول عليّ عهد الله أن أفعل كذا وكذا ثم لم يف به» .

الآثــــار

وروى كعب الأحبار أنه أصاب بني اسرائيل قحط في زمن موسى ـ عليه السلام ـ فاستسقى مرات فما أجيب وأوحى الله ـ تعالى ـ : (اني لا أستجيب لك ولمن معك وفيكم من قد أصر على النميمة) فقال موسى ـ عليه السلام ـ : من هو حتى نخرجه من بيننا ؟ قال : (يا موسى إني أبغض النميمة فأكون نماما) فتابوا بأجمعهم فسُقوا .

ويقال : إن ثلث عذاب القبر من النميمة .

وروي أن حكيما من الحكماء زاره بعض إخوانه وأخبره بخبر عن غيره فقال الحكيم : قد أبطأت في الزيارة ، وآتيتني ثلاثة ؛ خيانة بغضت إليّ أخي ، وشغلت قلبي الفارغ ، واتهمت نفسك الأمينة .

وقال الحسن : من نم إليك نم عنك .

وقال بعض الحكماء : من تجرأ لك تجرأ عليك .

وقال بعض الحكماء : النميمة تهدي إلى القلوب البغضة .

وقيل : الساعي كاذب لمن سعى له ، وخائن لمن سعى به .

وقيل : من قال في الناس قالوا فيه .

وقال بعضهم : لو صح ما نقله النمام إليك لكان هو المجازى بالشتم عليك والمتقول عنه أولى بحلمك لأنه لم يقابلك بشتمك .

وقال بعضهم : النميمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق وهي أثافي الذل .

وقال لقمان لابنه : يا بني ؛ إني موصيك بخصال إن تمسكت بهن لم تزل سيدا ؛ أبسط خلقك للقريب والبعيد ، وامسك جهلك عن الكريم واللئيم ، واحفظ اخوانك ، وصل أقاربك ، وأمنهم من قبول ساع أو سماع باغ يريد فسادك ويروم خداعك ، وليكن أخدانك[1] من إذا فارقته وفارقك لم تعبه ولم يعبك .

وقال الأصمعي : شهدت أعرابية توصي ابنها وهي تقول : أبنيّ ؛ أمنحك وصيتي وبالله توفيقك ، إياك والنمائم فإنها تزرع الضغائن ، وتفرق بين المتحابين ، وإياك والتعرض للعيوب فتصير لها غرضا ، وخليق أن لا يلبث الغرض على كثرة السهام ، وإياك والجود بدينك ، والبخل بمالك ، ومثل لنفسك مثالا من غيرك ـ لعله من غيرها ـ فما استحسنته من الناس فاعمل به ، وما استقبحته منهم فاجتنبه فإن المرء لا يرى عيب نفسه . ثم أمسكت فقلت : بالله يا أعرابية ألا زدتيه . قالت : يا أعرابي ؛ أعجبك كلام العرب ؟ فقلت : أي والله فزيديه . قالت : والغدر فإنه أقبح ما تعامل الناس به ، واجمع بين السخاء والحلم والتواضع والحياء واستودعك الله وعليك السلام .

وقيل : النميمة تفسد الدين والدنيا ، وتغير القلوب ، وتورث البغضاء ، وتسفك الدماء وتتلف النفوس .

---

١ ـ جمع خدن وهو الصديق

وقال مصعب بن الزبير : نحن نرى قبول السعاية شرا من السعاية لأن السعاية دلالة والقبول اجازة وليس على من دل على شيء فأحزنهم وردهم كمن قبله وأجازه .

وقال ابن مسعود : لا يكونن أحدكم إمعة قالوا : وما الامعة ؟ قال : يجري مع كل ريح .

وقال ﷺ : «أبغض خليقة الله إليه يوم القيـامة الكـذابون ، والمستكبرون ، والذين يكثرون البغضاء لاخوانهم في صدورهم فإذا لقوا حلفوا لهم ، والذين إذا دعوا إلى الله ورسوله كانوا أبطاء ، وإذا دعوا إلى الشيطان وأمره كانوا سراعا» .

وقال ﷺ : «تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بحديث هؤلاء وهؤلاء بحديث هؤلاء» .

وقال ﷺ : «شر من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة» .

وقال ﷺ : «إن الله يغضب إذا مدح الفاسق» .

وقال خالد بن معد : ان من مدح إماما واحدا بما ليس فيه على رؤوس الأشهاد بعثه الله يوم القيامة يتعثر بلسانه .

وعن أنس عن النبي ﷺ قال : «إذا مدح الفاسق اهتز لذلك العرش وغضب لذلك الرب ـ عز وجل ـ» .

وقيل : إن العرش كالمرآة في أحوال أهل الدنيا يرى فيه صور كل من كان في الدنيا فيها من صغير وكبير وحقير وخطير وعبد وأمير على صفاتهم وأعمالهم وأحوالهم يراهم الروحانيون الذين يطوفون على العرش لا تخفى

عليهم أحوال أهل الدنيا .

وقال ﷺ : «إذا مدحت أخاك في وجهه فكأنما أمررت على حلقه موسى رميضة»[1] .

وقال عمر ـ رضي الله عنه ـ : المدح الذبح .

وقيل : إياك والتمادح[2] فإنه ذبح .

وقال زياد بن مسلم : ليس لأحد يسمع ثناء عليه أو مدحه إلا تراءى له الشيطان ولكن المؤمن يراجع .

وروي أن رجلا مدح رجلا عند النبي ﷺ فقال النبي ﷺ : «قطعت عنق صاحبك لو سمعه ما أفلح» .

وعن ابن عباس قال : لا أزكي أحدا بعد رسول الله ﷺ وهذا شيء قد استحسنه الناس واستجازوه فيما بينهم ، ولم يخافوا الله ولا استوحشوا منها بما يشاهدونه من التزكية بينهم مما ليس فيهم ولا عندهم ، وإنما ذلك لدنيا ينالونها ويحامون عليها ، ولا يزيد ذلك فيما رزقوا ولا ينقص مما حذروا ، وقد ساء ظنهم بالله مع تعرضهم لسخطه وطمعهم في الله عما خالط القلوب ، ودب في العروق من التزكية .

وفي موضع آخر قال : ومالك لا تكون كما قال رسول الله ﷺ حين أتاه ابن حمامة السلمي من حاجة للمسلمين فقال : اني أثنيت على ربي وامتدحتك قال : «أما ما أثنيت به على ربك فهاته وأما ما امتدحتني به فدعه» .

ورسول الله ﷺ لم تكن تضره المدحة ولا تغره ولو سره لكان ذلك جائزا له لأن الله ـ تعالى ـ قد مدحه وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

---

١ ـ سكين سريعة القطع

٢ ـ في الأصل (التمازح) والصحيح ما أثبت لأن سياق الكلام يمنعه

الباب الثاني والثلاثون

في أخبار واردة في النساء

عن أسامة بن زيد قال : قال رسول الله ﷺ : «ما تركت بعدي فتنة أضر على رجال أمتي من النساء»،[1] .

عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : «لكل زمان رجال فخيرهم من يرجى خيره ولا يخاف شره وان لكل زمان نساء فخيرهن الحراسات العفيفات المتعففات وشرهن البرانيات السوقيات المتبرجات المائلات المميلات على رؤ وسهن كأسنمة الابل العجاف لا يدخلن الجنة ولا يشممن ريحها حتى يلج الجمل في سم الخياط» .

عن الحسن عن رسول الله ﷺ أنه قال : «خير النساء التي إذا أعطيت شكرت وإذا ابتليت صبرت» .

وعن رسول الله ﷺ أنه قال : «مثل الرافلة في غير أهلها كالظلمة يوم القيامة لا نور لها» قيل : هي المتبرجة بالزينة لغير زوجها .

وفي الحديث : «المختالات المتبرجات لا يدخل الجنة منهن إلا مثل الغراب الأعصم» وهو الأبيض اليدين .

---

١ ـ رواه البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد

وعن رسول الله ﷺ قال : «لعن الله النامصة والمتنمصة والواشرة والمستوشرة والواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة»[1] النامصة التي تنتف الشعر من الوجه ، والمتنمصة التي تفعل بها ذلك ، والواشرة التي تشر أسنانها أي تفلجها وتحددها حتى تكون اشرا والاشر تحدد ورقة في أطراف الأسنان ، والواصلة التي تصل الشعر بشعر آخر ، والمستوصلة التي تطلب ذلك ، والوشم تغريز يد أو معصم ثم حشوه بالكحل أو نورة فيخضر .

عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : النساء ثلاثة ؛ فهينة لينة عفيفة مسلمة تعين أهلها على العيش ولا تعين العيش على أهلها ، والأخرى : وعاء للولد ، والأخرى : غل قمل يضعه الله في عنق من يشاء ويفكه عمن يشاء . وقوله : (غل قمل) أراد به السيئة الخلق الغالية المهر .

وعن مجاهد : إذا أقبلت المرأة جلس الشيطان على رأسها فزينها لمن ينظر إليها .

عن أنس بن مالك : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ؛ إن لي زوجة إذا ما دخلتُ بيتي جاءتني بالوضوء فإذا توضأت قربت إليَّ طعامي فإذا أكلت وشربت فإن رأتني حزينا قالت لي : إن كان اهتمامك لأمر آخرتك فزادك الله اهتماما وإن كان لأمر دنياك فلا تهتم فقد تكفل الله برزقك ورزق كل دابة . قال : فتبسم رسول الله ﷺ وقال : «هذه من عمال الله في الأرض ولها مثل أجر المجاهد في سبيل الله» .

عن عبدالله بن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال : «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة» .

عن يحيى قال : قال رسول الله ﷺ : «ما أفاد امرؤ بعد الاسلام فائدة

---

١ - مسند الربيع عن عبدالله بن عباس

خيرا من زوجة مؤمنة تسره إذا نظر إليها وتطيعه إذا أمرها وتحفظ عليه نفسها وماله إذا غاب عنها» .

قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ما أوتي عبد بعد إيمان بالله خيرا من امرأة حسنة الخلق ودود ولود ولا أوتي شرا بعد شرك بالله من امرأة سيئة الخلق حديدة اللسان .

عن معاذ ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : انكم ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم وستبلون بفتنة السراء ، واني أخوف ما أخاف عليكم فتنة النساء إذا تسورن الذهب ولبسن رباط الشام وعصب اليمن وأتعبن الغني وكلفن الفقير .

وما نجد عن عبدالله بن عمر قال : «إذا أسن الرجل اجتمع رأيه وحسن خلقه ، وإذا أسنت المرأة يعقم رحمها ويحد لسانها ويسوء خلقها .

عن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : النساء عورة فاستروا عورتهن بالبيوت وداووا ضعفهن بالسكون .

عن مجاهد : لا ينبغي لامرأة إذا أدركت أن تجلس عند رجل من الناس ليس بذي محرم في أقل من أربعة أثواب : جلباب ودرع وإزار وخمار .

وعن عطاء ومجاهد : أنهما كانا يكرهان أن ينظر العبد إلى شعر امرأة تملكه .

ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أن الرجل خلق من الأرض فهمته في الأرض ، وأن المرأة خلقت من الرجل فهمتها في الرجل فاحبسوا نساءكم . أو قال : أحصنوا نساءكم .

عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنه كان يقول : المرأة عورة وأقرب ما تكون من وجه ربها إذا كانت في قعر بيتها وإذا خرجت استشرفها الشيطان .

عن إبراهيم : إذا تطيبت المرأة ثم خرجت فإن طيبها شنار فيه نار .

وعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه وجد رائحة رأس امرأة في يوم عيد فقال : من هذه ؟ أين هي ؟ لو اني أعلم بمكانها . فما زال يذكر حتى ذكر بعض النساء أنها قالت : قال عمر : إنما تطيب المرأة لزوجها فإذا خرجت فلتخرج في طمرها [1] أو طمر خادمها .

وعن الحارث بن مطرق قال : قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ : استعينوا على النساء بالعري فإن إحداهن إذا كثرت ثيابهن وحسنت زينتها أعجبها الخروج .

عن أخت حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قالت [2] : خطبنا رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : «يا معاشر النساء ؛ أما لكن في الفضة ما تحلين اما إنه ليس من امرأة تحلى ذهبا تظهره إلا عذبت به» .

عن أم المضاء أنها دخلت على عائشة ـ رضي الله عنها ـ فقالت : يا أم المؤمنين ؛ ما تقولين في الخضاب والقناع والنماص والقرطين والخلخال والثياب الرقاق ؟ فقالت عائشة : يا معاشر النساء ؛ قصتكن كلها قصة امرأة واحدة أحل الله لكن الزينة غير متبرجات لمن لا يحل لكن أن يروا منكن محرما .

حكي أن امرأة زوجت ابنة لها فلما كانت ليلة زفافها إلى زوجها ، قالت لها : يا بنية ؛ إنك تفارقين الجو الذي فيه درجت ، والعش الذي منه نهضت إلى وكر لم تعرفيه وقرين لم تألفيه ، فكوني له أَمَة يكن لك عبدا ، واحفظي مني خصالا عشرا يكن لك دركا وذخرا : أما الأولى والثانية ؛ فالصحبة له بالقناعة ، والمعاشرة له بالسمع والطاعة ، وأما الثالثة والرابعة ؛ فالتعهد

---

١ ـ الثوب الخلق القديم

٢ ـ في الأصل (قال)

لموضع عينه وأنفه ، أن لا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم أنفه منك إلا طيب ريح .

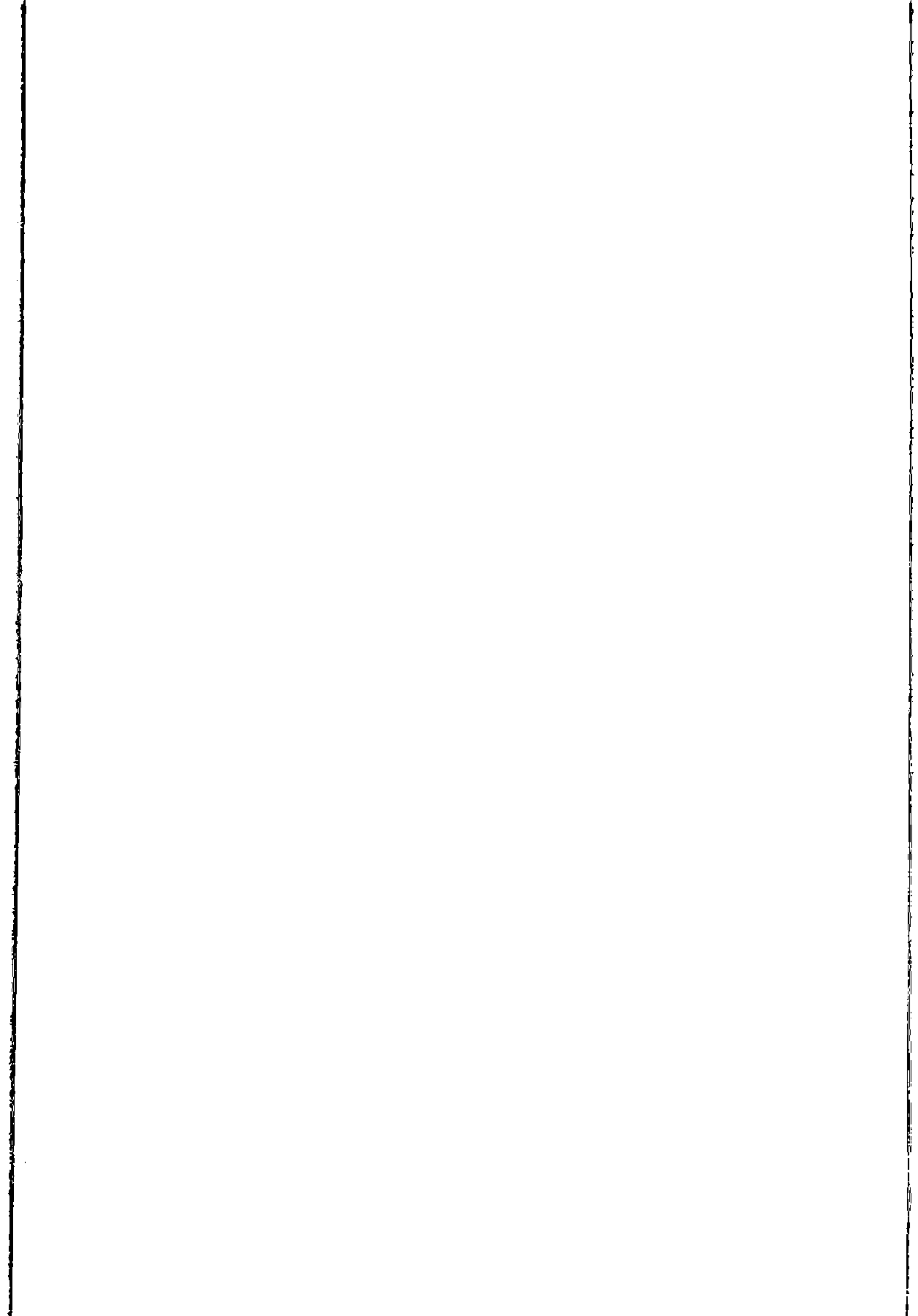
وأما الخامسة والسادسة ؛ فالتعهد لوقت طعامه ، والهدوء عند منامه فإن حرارة الجوع ملهبة ، وان تنغيص النوم مغضبة . وأما السابعة والثامنة ؛ فلا تفشين له سرا ، ولا تعصين له أمرا ، فإنك إذا أفشيت سره لم تأمني مكره ، وإن عصيت أمره أكربت صدره .

وأما التاسعة والعاشرة ؛ فالاحتفاظ لبيته وماله والارعاء على حشمه وعياله ، واعلمي أنك لا تنالين ما تأملين حتى تؤثري هواه على هواك ورضاه على رضاك والله يصنع بك ويوفقك ولا يضيع أجر المحسنين ولا يصلح عمل المفسدين .

عن ابراهيم أن رجلا من أصحاب النبي ﷺ خرج غازيا وخلف امرأته ، فجاءها انسان فأخبرها أن أباها مريض . قالت : أسأل الله أن يشفيه وأن يصبرني فإن زوجي لم يأذن لي في الخروج .

ثم جاءها : ان أباك بالموت . فقالت : أسأل الله أن يهون عليه ويصبرني فإن زوجي لم يأذن لي بالخروج .

ثم جاءها : ان أباك قد مات . فقالت : اللهم اغفر له وصبرني فإن زوجي لم يأذن لي بالخروج . فأوحى الله ـ تعالى ـ إلى النبي ﷺ : (اني قد غفرت لها ولأبيها ولزوجها) وأدخلهم الجنة بحسن طاعتها .



الباب الثالث والثلاثون

في معاشرة النساء وما ينبغي للرجل مع امرأته وذكر امرأة السوء

قال أبو بكر محمد بن عمر الوراق : يراد للرجل مع امرأته عشرة أشياء ؛ تزويج بسنة ، ونفقة بحسبة ، وسخاوة بالمال ، وأدب في رفق ، ولطف في هيبة ، وصبر عند المكروه ، وشكر عند المحبوب ، وستر العورة ، ومعونة عند الحاجة ، ولطف بقرابة المرأة ، ثم يراد له ترك ثلاثة أشياء ؛ ترك التملق ، وترك التهاون ، وترك الحدة . فأما التملق فأن يتبصبص إلى المرأة أي يتواضع لها ويتثعلب عندها وينزل على حكمها ، ويكون على افراط في محبته إياها ، ويستأذنها في كل أمر ، وينتهي إلى أمرها ونهيها .

وطائفة من الناس هلكوا بذلك ، والتملق يصيِّر الرجل عبدا لامرأته .

وأما التهاون فإنه إذا تهاون بها وبأمرها وطوى بِشْرَه عنها وبسط لها الجفاء فإنه يجعل للمرأة لسانا على نفسه وحجة في الذم والشكاية إذا لم ينظر في مصالحها ومرافقها . وطائفة من الناس فسدت أمورهم بهذه العلة .

وأما الحدة فتجرىء المرأة على الرجل ، وتهيج الحرب ، وتنقض المبرم ، وتفسد الصالح ، وتشتت الأمر ، وتغير الألفة ، وتورث العداوة ،

وتخرب الدين والدنيا .

وطائفة هلكوا بذلك فينبغي للرجل أن يكون مع المرأة وقورا مجانب الخفة ومعينا يحذر الاضاعة وحليما يتنكب الحدة حتى يصلح الأمر بينهما بإذن الله - عز وجل - .

ثم عاملها بعد ذلك بأربعة ؛ أخلاق احتمل عنها اثنتين وأمسك عنها واحدة ، وقدر لها واحدة ؛ فأما اللتان تحتاج إلى احتمالها عنها ففيما ترى من المكروه في نفسها وخلقها وما تؤذيك بلسانها فاحتمل عنها هاتين واعزم على ذلك .

وأما التي تحتاج أن تقدر لها فاللطف لا تظهر لها كل ما تجد في نفسك من المحبة فتجترىء عليك وتأسرك بذلك وتذهب عنها هيبتك ولا تكف عنها اللطف رأسا فتهينها بذلك ولكن قدر لها بين ذلك .

وأما الواحدة التي تحتاج إلى الامساك عنها فأمسك عنها الخرق [1] رأسا فهي الحدة .

قال : ويجب أن ينزلها منزلة القدر التي يطبخ فيها الطعام ، فيجب أن يكون ذلك برفق فيوقد تحتها نارا بقدر ما ينضج به الطعام ولا يزيد لئلا تفور القدر فينصب الطعام ويضيع . ويجب أن يصبر على الحر والدخان في ذلك إلى أن يتم المراد . وهذا مثال لك في معاملتك المرأة .

قال الحسن : من أخلاق المؤمن قلة المثاقفة للنساء - يعني قلة المجالسة - .

وقال بعض الحكماء : لا تطلب الخلوة مع النساء فتملهن ويمللنك .

وقال بعضهم : مجالسة النساء تورث الشهوة والغفلة وسوء الخلق .

---

١ - أي منع الرفق واللين واستعمل الشدة

وقيل : لا ينبغي أن يوثق بعقل من يطيل الخلوة بالنساء .

وقال حكيم : ثناء الرجل على امرأته على ملأ من الأشهاد مما يستقبح وعسى أن يكون فيهم من يعلم خلافا لما يقوله .

وقيل : أفضل النساء أكثرهن موافقة لأزواجهن .

وأبهى الجمال ما فيه حلاوة وملاحة .

وسئل حكيم : أي شيء أسرع زوالا ؟ قال : ظل السحاب ، ومواصلة الأشرار ، وخلة النساء .

وقال بعض الحكماء : إياكم ومشاورة النساء فإن رأيهن إلى الضعف ، وعزمهن إلى الوهن .

وقال آخر : أكفف عنهن من أبصارهن بحجبك إياهن فإن شدة الحجاب خير من الارتياب ، وليس خروجهن بأيسر من دخول من لا يوثق به عليهن ، وان استطعت أن لا تعرف المرأة رجلا غيرك فافعل ، ولا تملك المرأة من الأمور ما جاوز نفسها ؛ فإن ذلك أنعم لحالها وأرضى لبالها وأدوم لجمالها . فإن المرأة ريحانة فليست بقهرمانة ، ولا تطِل الخلوة مع النساء فيمللنك وتملهن ، وإياك والغيرة في غير موضع غَيْرَة . فإن ذلك يدعو الصحيحة منهن إلى السقم ولكن أحسن تأديبهن ولا تتجاوز في كرامة المرأة نفسها ولا تطمعها في أن تشفع لغيرها .

وقال لقمان لابنه : يا بنيّ كلام العلماء ولقاء الأصدقاء ومرور الأيام والمرأة الصالحة ينقص بهن الحزن .

وقال بعض الحكماء : عاملوا النساء بثلاث خصال ؛ الزموهن البيوت ولا تعقدوا على حديثهن واطووا دونهن الأسرار .

وعلامة المرأة السوء وما يلقى منها زوجها . قال لقمان الحكيم لابنه : من علاماتها أنها إن تغيبت خانت ، وإن حضرت صخبت - أي ترفع صوتها - ، وإن وعظت غضبت وإن صَمَتُّ عنها سفهت ، وإن أكرمت تعسفت ، وإن أهينت بكت ، وإن أعطيت أفسدت ، وإن حرمت شكت ، وإن أسر إليها أفشت ، وإن تركت عزت ، وإن زجرت لجت ، وإن لم تزجر استحمقت ، وإن علمت نسيت ، وإن لم تعلم عميت ، وإن لين بها تعدت ، وإن شدد عليها جهلت ، وإن قالت أخطأت ، وإن أوجعت تبرمت ، وإن أغنيت طغت ، وإن افتقرت قنطت ، وإن قدرت أساءت ، وإن قدر عليها وهنت ، وإن طمعت تعدت ، وإن طمع إليها بخلت ، وإن كان لها الفضل منت ، وإن كان عليها جحدت ، وإن قومت أبت ، وإن تركت اعوجت ، وإن فرحت مرحت ، وإن حزنت فتنت ، وإن ذكرت أنكرت ، وإن تركت ضلت ، وإن سئلت أمسكت ، وإن سألت ألحفت ، وإن استخدمت ضعفت ، وإن خدمت أفحشت ، وإن صفح عنها بلدت ، وإن غفل عنها أفسدت ، وإن أقبل عليها طاشت - الطيش : خفة العقل - ، وإن أمرت بالحق أبطأت ، وإن أمرت بالباطل أسرعت ، وإن نهيت عن التبرج تقبحت ، وإن أمرت بالتجمل تبرجت ، وإن شدد عليها صاحت ، وإن رضي لها اعتدت ، وإن كانت في رخاء أترفت ، وإن كانت في بلاء تكشفت ، وإن شبعت بطرت ، وإن جاعت فضحت ، وإن اتبع هواها هلكت ، وإن أخبر أنه يحبها أو علمت ذلك استكبرت ، وإن أبدى لها سره لم تكتمه ، وإن لم يبد لها آذته فهي جب لا يدرك قعره ، وسيف قاطع لا يكل ، وسبع لا يصاد ، وذئب لا يدرك ، وبلاء لا ينقطع ، وحزن لا ينفد ، وكرب لا يفرج .

وهي فرس جموح وجمل شرود ، حددت أسنانها ، وبسطت لسانها ، وأفسد سوء خلقها جيرانها .

فلأن تجاور أسدا أو تنينا خير لك من أن تجاور امرأة سوء .

يا بني ؛ إن المرأة السوء كالكلبة ، والبغلة الحرون ، والجمل المتغلم [1] ، وهي تسود وجه بعلها مع ما يرى من سوء فعلها فهي شر لا ينقطع ، وبلاء لا يرتفع ، وقرين عنيد ، وعدو عتيد ، وشيطان مريد ، عبوس ضروس ، شؤول أكول ، مبذرة مسرفة متلفة ناهسة ناكهة ، حقود حسود ، علة لا شفاء لها ، وحية لا رقية لها ، وكربة لا فرج لها ، وظلمة لا نور لها ، ونار لا مطفأ لها .

يا بنيّ ؛ إن المرأة السوء إذا غبت لم تفتقدك ، وإن شهدت لم تكرمك وإن أغضبتك لم ترضك ، وإذا أغضبت لم تعاتبك ، ولا تبالي إن غضبت ، ولا تفرح إن رضيت ، هي ضارة غير نافعة ، ناقصة غير زائدة ، مفرقة غير مجمعة ، مفسدة غير مصلحة ، مخطئة غير مصيبة ، مخالفة غير موافقة ، لها لسان طويل ، وإلى كل شر دليل ، لا تمل ، ولا تغفل عن شرها ، ولا تكل ولا تنتهي .

يا بنيّ ؛ إن المرأة السوء إذا استغنت لم تشكر ، وإن افتقرت لم تصبر . أنت في جنبها كالأسير أو كالمريض الضرير أو كالعبد الحقير .

يا بني ؛ إن مثل امرأة السوء كمثل الحية الصماء في جبل ليس فيه ماء ، إن لدغتك قتلتك وإلا أقرعتك . أنت في جنبها يائس ومن خيرها آيس .

يا بنيّ ؛ إن المرأة السوء ضارة مضرة تغيب عنك الذي لها وتأكل الذي لك .

يا بني ؛ إن المرأة السوء خفيفة الرجل عظيمة السلطان مفرقة بين الاخوان مشعلة الشر بين الجيران ، شديد مكرها ، عال صوتها ، حديدة

---

١ - الجمل الثائر الهائج

عينها ، ذرب لسانها ، خبيث بطنها وفرجها ، كثير شرها ، ذليل بعلها قد غلبت كل انسان ، واستحوذ عليها الشيطان ، والله المستعان .

الباب الرابع والثلاثون
في ذكر أدوية وأغـذية

أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « المعدة حوض البدن والعروق إليها واردة فإذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة واذا سقمت المعدة صدرت العروق بالسقم» .

عليّ بن أبي طالب قال : من بدأ غذاءه بالملح أذهب الله عنه سبعين بابا من السوء ، ومن أكل كل يوم إحدى وعشرين زبيبة حمراء لم ير في جسده شيئا يكرهه ، ومن أكل سبع تمرات عجوة عند منامه قتل الديدان في بطنه ، والبقر لحمها داء ولبنها شفاء وسمنها دواء ، والسمك يذيب الجسد ، وقراءة القرآن والسواك يذهب البلغم ، واللحم ينبت اللحم ، والشحم يخرج من الداء مثليه ، ولم تستشف النفساء بشيء أفضل من الرطب والثريد طعام العرب ، ومن أراد البقاء ولا بقاء فليباكر بالغداء ، وليخفف الرداء ، وليقل غشيان النساء ، قيل : وما خفة الرداء في البقاء ؟ قال قلة الدَّيْن .

ضمرة بن حبيب قال : اجتمع رجال من أهل الطب عند ملك من الملوك فسألهم . ما رأس دواء المعدة ؟ فقال كل رجل منهم قولا وفيهم رجل ساكت فسأله الملك . فقال :

ملاك ذلك كله ثلاثة أشياء : لا تأكل طعاما أبدا إلا وأنت تشتهيه ، ولا تأكل لحما حتي ينعم أي يتم نضاجه ، ولا تبتلع لقمة حتى تمضغها مضغا

شديدا على أنه لا يكون على المعدة منها مؤونة .

عليّ بن ابي طالب : انه رأى في يد ابنه الحسن كتابا فقال : ما هذا ؟ قال : كتاب الطب . قال بلى قال : لا تجلس على طعام إلا وأنت جائع ولا تقومن إلا وأنت تشتهيه ، واذا اكلت فجود المضغ ، ولا تنامن إلا على الخلاء . فإذا استعملت هذه استغنيت عن الطب .

ابن عمران : فضل الطعام الذي يبقى في الاسنان يوهن الاضراس .

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : «لكل داء دواء إلا السأم والهرم فعليكم بألبان البقر فإنها ترم من كل شحر» وفي رواية فإنها ترم من كل شجر .

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ : ثلاث يجلين البصر ، الكحل عند النوم ، والنظر إلى الخضرة ، والنظر الى الوجه الحسن .

وعنه أيضا قال : لا تكسروا الرمانة من رأسها ، فإن فيها دودة يعترى منها الجذام .

ضمرة بن حبيب قال : نهى رسول الله ﷺ عن السواك بعود الريحان والرمان وقال : «يحرك الجذام» .

يزيد عن أبيه عن النبي ﷺ انه قال : «إن هذه الحبة السوداء التي تكون في الملح دواء من كل داء إلا الموت» .

علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله ﷺ : «عليكم بالرمان فكلوه بشحمه فانه دباغ المعدة وما من حبة تقع في جوف رجل إلا أنارت وحرست شيطان الوسوسة يوما» .

عن عبدالله الشيباني قال : «من ترك العشاء لم ترجع قوته اربعين يوما .

وفي الحديث : «ترك العشاء مهرمة» .

وفي الحديث : «تعشوا ولو بكف من حشف من تمر» .

وروي أن واحدا من أبناء الصحابة انجم فقال له أبوه : لو مت من هذا ما صليت عليك .

وعن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : «سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم» وقال : ما دعي رسول الله ﷺ إلى لحم إلا أجاب ولا أهدي له لحم إلا قبله .

وعن أبي عثمان عن رسول الله ﷺ أنه قال : «كلوا العنب حبة حبة فإنه أهنأ وامرأ» .

أبو هريرة : من اكل سبع زبيبات على الريق منزوع العجم لم يضره سم ولا سحر يومه ذلك إن شاء الله عز وجل .

موسى بن جعفر قال : قال رسول الله ﷺ : «عليكم بالزبيب على الريق فإنه ينشف البلغم ويذهب بالمرة ويشد العصب ويذهب بالنصب ويحسن الخلق» .

عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من اشتكى ضرسه فليضع أصبعه عليه وليقرأ هذه الآية : **﴿قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون﴾**» [1].

أبو هريرة قال : نهى رسول الله ﷺ عن الدواء الخبيث .

عبدالرحمن بن عثمان الأنصاري : ان طبيبا سأل النبي ﷺ عن ضفدع

---

١ - الآية ٢٣ من سورة الملك

يجعلها في دواء . فنهاه النبي ﷺ عن قتلها .

سويد بن طارق أنه سأل النبي ﷺ عن الخمر فنهاه . ثم سأله فنهاه فقال له : يا نبي الله إنها دواء . فقال النبي ﷺ : «لا ولكنها داء» .

وفي موضع آخر : «ما جعل الله شفاء أمتي في حرام» .

عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «البسوا من ثيابكم البياض [1] فإنها من خير ثبابكم وكفنوا فيها موتاكم وان خير كحالكم الاثمد يجلو البصر وينبت الشعر» .

ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : «ربيع امتي العنب والبطيخ» .

وعن ابن عباس قال : في البطيخ عشر خصال : هو طعام ، وهو شراب ، وهو انشان وهو إربان ، وهو يغسل المثانة ، وهو ينفع الانثيين ، وهو يزيد ماء الصلب ، وهو يزيد الباءة ، وهو يزيد في ماء الظهر ، وهو يسمن .

علي بن ابي طالب قال : قال رسول الله ﷺ : «اكرموا عمتكم النخلة فإنها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم صلوات الله عليه وليس من الشجر يلقح غيرها واطعموا نساءكم الرطب فإن لم يكن رطب فتمر وليس شيء اكرم على الله عز وجل من النخلة نزلت تحتها مريم بنت عمران رضوان الله عليها» .

ابن عمر أن رجلا شكا الى النبي ﷺ قلة النسل فأمره بأكل البيض .

عن مطر : أن نبيا من الأنبياء شكا الى الله تعالى الضعف في الصوم فأمره أن يأكل اللحم باللبن .

---

١ ـ رواه أبو داود والترمذي

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : قال رسول الله ﷺ : «الشعر في الأنف أمنة من الجذام» .

جعفر قال : كان ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ يرى الحبة من الرمان فيأخذها ويأكلها ويقول : ليست رمانة الا وهي تلقح بحبة من رمان الجنة فأرجو ان تكون هي .

وعن علي بن أبي طالب : تلقوا البرد في ابتدائه وتوقوه في انتهائه .

سفيان : أن رسول الله ﷺ قال : «لا تقطعوا اللحم بالسكين فإنه من صنيع الأعاجم وانهشوه نهشا فإنه أهنأ وأمرأ» .

وعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال : «ثلاث يفرح بهن الجسد ويربو : الرائحة الطيبة وشرب اللبن وشرب العسل» .

أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «من أكل ما يسقط من المائدة عاش في سعة وعوفي من الحمق في ولده وولد ولده» .[1]

وعن رسول الله ﷺ أنه قال : «اكرموا الخبز ولا تضيعوه فإنه ما ضيعه قوم إلا ابتلاهم الله بالجوع» .

جابر بن عبدالله قال : كان رسول الله ﷺ يعجبه أن يفطر على الرطب مادام الرطب وعلى التمر إذا لم يكن رطب ويختم بهن ويجعلهن وترا ثلاثا أو خمسا أو سبعا .

أنس بن مالك ؛ اهدي الى رسول الله ﷺ رطب فجعل يأكل بيمينه ويتناول النوى بشماله .

---

١ ـ رواه مسلم عن أنس

وعن علي عن النبي ﷺ قال : «لو كان الأرز رجلا لكان رجلا حكيما» وقيل : لو كان رجلا لكان مؤمنا ولو كان مؤمنا لكان عالما ولو كان عالما لكان زاهدا .

قال أبو صوارة : الأرز الأبيض بالسمن السلاء بالسكر الابيض ليس هو من طعام أهل الدنيا .

علي بن ابي طالب : كلوا خل العنب فإنه يقتل الديدان في البطن .

عن الحارث بن كلدة انه قال وكان طبيب العرب : أكره الشمس لثلاث : تنقل الريح وتبلي الثوب وتخرج الداء الدفين .

ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ [1] : «استنجوا بالماء البارد فإنه مصحة من البواسير» .

عن نافع قال : قال رسول الله ﷺ : «من ادهن ولم يسم ادهن معه سبعون شيطانا» .

جعفر : ان النبي ﷺ قال : «إن أطيب اللحم لحم الظهر» .

عقبة بن نافع قال : قال رسول الله ﷺ [2] : «عليكم بدهن الزيت فكلوا وادهنوا فإنه ينفع من الناسور» .

عن النبي ﷺ أنه كان إذا أكل الدسم أقل من شرب الماء قيل يا رسول الله . لم تفعل ذلك ؟ قال : «لأن الشرب على الدسم داء في البطن» وقيل : مكتوب على باب الصين خير الاطعمة سمن البقر ، وشر الأطعمة لحم

١ ـ رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر
٢ - رواه البيهقي وابن ماجة عن أبي هريرة

السمك ، ومن ضمن لي بقلة الأكل ضمنت له بصحة البدن .

عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «ان الله تبارك وتعالى لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله» .

وقيل : ينبغي للانسان أن يتعاهد من نفسه ثلاثا لا يدعهن الأكل والمشي والمواقعة ، فإنه إذا ترك الأكل تضيق أمعاؤه واذا ترك المشي اعتاد الكسل ، واذا احتاج الى المشي ربما لم يقدر عليه والمواقعة فإن البئر إذا لم ينزح ماؤها غار .

أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «من احتجم يوم السبت أو يوم الاربعاء فأصابه وضح فلا يلومن إلا نفسه» .

أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «من احتجم لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين كان شفاء من كل داء»

سمرة بن جندب قال : دخل أعرابي من بني قرارة على رسول الله ﷺ واذا حجام يحجمه بمحاجم من قرون ويشرطه بشفرة فقال : ما هذا يا رسول الله ؟ لم تدع هذا يقطع عليك جلدك . قال : «هذا الحجم وهو خير ما تداويتم به» .

ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال : «من احتجم يوم الأربعاء والسبت فأصابه داء واضح فلا يلومن إلا نفسه ومن توضأ بالماء المشمس فأصابه وضح فلا يلومن إلا نفسه ومن بال في مستنقع وضوئه فأصابه وسواس فلا يلومن الا نفسه ومن تعرى في غيركن فخسف به فلا يلومن إلا نفسه ومن نام وفي يده غمر الطعام ـ أي دسم ـ فلا يلزمن إلا نفسه

ومن نام بعد العصر فأصابه فاختلس [1] عقله فلا يلومن إلا نفسه ومن شبك في صلاته فأصابه زاجر ـ اي شيء من الجنون ـ فلا يلومن الا نفسه» .

معقل بن سيار . عن النبي ﷺ : «ان الحجامة يوم الثلاثاء دواء السنة» .

أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال : «لا تكرهوا اربعا فإنها لأربع : لا تكرهوا الرمد فإنه يقطع عروق العمى ولا تكرهوا الزكام فإنه يقطع عروق الجذام ولا تكرهوا السعال فإنه يقطع عروق الفالج ولا تكرهوا الدماميل فإنها تقطع عروق البرص» .

١ ـ هكذا وجد في الأصل والمعنى سلب عقله

الباب الخامس والثلاثون

في الحكـــمة

قال سقراط الحكيم : بلين الكلمة تدوم المودة . الكلام اللين يلين القلوب التي أقسى من الصخر فتخضع وتذوب . والكلام الخشن يخشن القلوب التي هي أنعم من الحرير ، وبخفض الجناح يتم الأمور ، وبسعة الأخلاق يطيب العيش ويكمل السرور ، وبحسن الصمت تكون الهيبة ، بإصابة المنطق يعظم القدر ، ومن لانت كلمته وجبت محبته ، من حلم ساد ومن ساد استفاد ، ومن لا يملك غضبه لم يملك عقله ، من غلب هواه على عقله افتضح ، من غض طرفه أراح قلبه ، من أرسل ناظره اشتغل خاطره ، من لزم الوفاء نال الرضى .

من قل وفاؤه كثرت اعداؤه . من صان لسانه كثرت أعوانه ، من كثر كلامه كثر ملامه . من طول الحديث مله السامع . من حسنت أخلاقه كثرت محبته وأرزاقه . من ساء خلقه كثر مقاته وعذب نفسه . من عجل عثر ومن تفكر سلم .

من ودك لأمر زال بزواله . من احتجت اليه هنت عليه ، ومن احتاج اليك كانت طاعته لك بمقدار حاجته إليك . من كرمت عليه نفسه صغرت الدنيا في عينه .

من عمر دنياه ضيع أعماله . ومن حفظ آخرته بلغ آماله . الدنيا حلم والاغترار بها سقم . من أنزل نفسه منزلة العاقل انزله الناس منزلة الجاهل . من تعلم يزدد علما . خير العلم ما نفع وخير المواضع ما ردع ، ومن لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ . من قلب المال قلبه فليس بعالم . زينة العلم الصدق ، وزينة الكرم البشر وزينة الشجاعة العفو عند المقدرة . من قنع باليسير من الرزق استغنى عن الخلق . من رضي بالمقدور قنع بالميسور .

من رضي بالقضاء صبر على البلاء . من حاسب نفسه سلم ، ومن حفظ دينه غنم . اليأس يعز الفقير والطمع يذل الأمير .

من يؤمن يزدد يقينا . من يستيقن يعمل جاهدا . من يحرص على عمل يزدد فيه قوة . من يكسل فيه يزدد فيه فترة .

من كان الطمع له مركبا كان الفقر له صاحبا . من ليس له علم فليس له عز في الدنيا ولا في الآخرة . من ليس له صبر فماله سلامة في دينه . من كان جاهلا لم ينفعه عمله . ومن لا تقوى له فما عند الله له كرامة . من لا سخاء له فماله من ماله نصيب . من أطلق يده بالسخاء أشرق وجهه بالضياء . من لا ينصف من نفسه لم يخلص من حزنه . .

القناعة عز المعسر ، والصدقة كنز الموسر . من صبر نال المنى ومن شكر الله زاده . من سالم الناس سلم ، ومن قدم الخير غنم . من أطاع هواه باع دينه بدنياه . قل ما شئت وافعل ما هويت فكل يحصد ما زرع ويجزى بما صنع . لنا في كل ميت عظة بحاله وعبرة بماله . لا تغرنك صحة نفسك وسلامة جسمك . مدة العمر قليلة وصحة الجسم مستحيلة . قوة اليقين من صحة الدين . الرضى بالكفاف يؤدي الى العفاف فدرهم ينفع خير من دينار يصرع . السعيد من اعتبر بأمسه ، واستظهر لنفسه ، والشقي من جمع لغيره وبخل على نفسه بخيره . من أطال امله ساء عمله . من قصر أمله حسن

عمله . من لا نصيحة له فماله عند الله حجة . من خدم السلطان بغير أدب فقد خرج من السلامة الى العطب . من كان الناس عنده سواء لم يكن له اصدقاء .

من عاشر الناس بالمكر كافأوه بالغدر . من سل سيف الغدر قتل به . من بغى بغي عليه . من لم يعرف الخير من الشر ألحقه بالبهائم . بالتفكير يدرك الرأي العازب . من مدح رجلا بما ليس فيه فقد هجاه . من ملك سره خفي على الناس امره . من كتم سره كانت الخيرة في يده . من كتم سره بلغ مراده وصان عرضه ، وكتمان سر غيرك اذا استكتمك واجب عليك . والمشكور من كتم سر من لم يستكتمه . من ابتلي فصبر كان كمن عوفي فشكر . لن تنال ما تحب حتى تصبر على ما تكره ، ولن تنجو مما تخاف إلا أن تصبر على كثير مما لا تحب فإن الصبر يفني كل شيء . الجزع عند مصائب الاخوان اجمل من الصبر ، وصبره على مصيبة نفسه اجمل من جزعه .

وقال أفلاطون : بالعقول تفاضل العلم لا بالوصول ، والحكمة رأس العلوم وبها تفاضلت العقول ، والأدب نتائج الأذهان . بالأدب ينال الأرب . بالفكر يدرك الرأي العازب . بالتأني تسهل المطالب . بالانصاف يكون التواصل . بالتواضع تكثر المحبة . بالعفاف تزكوا الأعمال . بالرجاء تجمل الآمال . بحسن الاعتبار تضرب الأمثال . بالزكاة والصدقة تزكوا الأموال . بالأفضال يكون السؤدد . وبالعدل يقهر العدو . بالحلم تكثر الانصار ولا يدعى الحكيم حكيما حتى يغلب عقله على هواه . بالرفق تستخدم القلوب . بالايثار يستحق اسم الجود . بالانعام يستحق اسم الاكرام . الكريم من يهب ولا يذكر انه وهب . بالمن يكفر الاحسان . بجحد الأنعام يجب الحرمان . بالاحسان يستعبد الانسان . أحسن إذا احببت ان يحسن إليك . تواضع مع امساك خير من جود مع تكبر . أغنى الغنى القناعة والرضى . صديق ملول سريعا يزول . لا صحبة من طماع ولا وفاء من خسيس الأصل .

من صادق من ليس بأهل فقد جلب الذل الى نفسه . الصديق الجاهل عدو مبين . عدو عاقل خير من صديق جاهل يريد ان ينفعك وهو يضرك ولا يدري لجهله . الصديق الأصيل أوثق ، والصاحب القديم أشفق . من عاب استعاب ، ومن ترك العيب استخراج [1] . العتاب الظاهر خير من الحقد الباطن . بالوفاء يدون الاخاء . بالمطل يقبح العطاء . بالصدق يتم الفضل . البخيل ذليل وان كان غنيا . الجواد عزيز وان كان مقلا . المسيء ميت وان كان حيا . المحسن حي وان كان ميتا . الطمع فقر حاضر . الأياس غنى ظاهر . التمني سبب الحسرة . العجلة سبب العثرة . سرعة الجواب تورث العثار . أفهم الجواب قبل الخطاب . اعرف المخرج قبل المدخل . الحق منهج واضح ، والكذب لأهله فاضح .

اذا كذب الأمير بطل التدبير وانفصمت عرى الأمور . الصبر ثمرة الفرج . العقول مواهب والآداب مكاسب ، فالعلم افضل المواهب والحكمة اكمل المكاسب . الأدب يغني عن الحسب . الفرح يجلب الترح . رب ضرب آل الى حرب . كل راج طالب ، وكل خائف هارب . شر المكاسب الربا والخيانة . شر المال مال اليتيم ، والسحت يعني الرشوة على الحكم . مريض يشتهي خير من صحيح تكثر شهواته .

ان فاتك الأدب فالزم الصمت . الاقامة على الظلم تزيل النعم . لو سكت من لا يعلم لسقط الاختلاف ، وكما يستدل على الصواب بالخطأ فكذلك لا تعرف المنزل الجيد حتى تنزل المنزل الرديء ، ولا تعرف الثوب اللين حتى تلبس الخشن ، واعلم ان المفروح به هو المحزون عليه . نقل المسرور عن سروره آيس ـ لعله ـ ايسر من نقل المحزون عن حزنه . إن السبب الذي يدرك به العاجز حاجته هو الذي يقعد بالحازم عن طلبته ، والأمر

---

١ ـ هكذا وجدت في الأصل

الذي بين الرزق وبين العقل هو الذي يمنحه الجاهل . اذا كانت بقسمة تجري الأمور فالاجتهاد محظور وتاركه مشكور .

النعيم طيب النفس . الغنى صحة الجسد . عداوة الأقارب أشد من لسع العقارب . الشيب عنوان الكبر . الشباب رضيع الجنون . الشيب قرين التوفيق . تزود طاهر الزاد ولا تخف من الأضداد . رب مغبوط بمسرة وهي داؤه ، ورب مرحوم من سقم وهو شفاؤه . اجل الأشياء العلم وأشرفها العقل وأفضلها العلم وأحسنها الأدب ، فالعلم دليل والعقل حياة والجهل موت ولا ضر أضر منه مثل الدنيا وأهلها كصور في صحيفة كلما طوي بعضها نشر بعضها . أيام البلوى طويلة ، وأيام السرور قصيرة .

اذا لم يمش معك الزمان كما تريد فامش معه كما يريد . الانسان عبد الزمان ، والزمان عدو الانسان ، وكل نفس يتنفسه الانسان فبقدره يبعد عن الحياه ويتقرب من الممات . النوم موت خفيف ، والموت نوم ثقيل فإن أقرب الأشياء الأجل وأبعدها الأمل . احذر من الزمان فإنه أخبث عدو يحذر منه ولك النجاة مع الحذر ولا ينفع حذر من قدر . إذا نزل القدر صم السمع وعمي البصر . الزمان يحذر بنفسه ، ويخبر بسوء غوائله . ما صفا الزمان لمن مضى فكيف يصفو لمن بقى . الزمان موكل بتكدير الصفو وتشتيت الشمل . الزمان مغتال لا يفطن بغوائله يأخذ من الأمن ويكدر من الصفو ، الثقة به غرور والطمأنينة إليه جهل ، ولا يغر به إلا من جهله ، وإنه واعظ لمن بقي بمن ذهب ففيه هلاك قوم وغبطة آخرين . من كانت الأيام به سائرة ، لا شك أن اعضاءه بالية ومهجته راحلة ومقلته سائلة . اتق الله واطلب رضاه ، وانتظر قضاءه ، واصبر على بلائه تظفر بالنجاة .

قال الأحنف بن قيس : شيئان لا يتم معهما حيلة : اذا اقبل الأمر فليس للادبار فيه حيلة ، واذا ادبر فليس للاقبال فيه حيلة .

وقال لقمان الحكيم لابنه : يا بني شيئان إذا حفظتهما لا تبالي بما ضيعت بعدهما . درهمك لمعاشك ، ودينك لمعادك ، وشيئان غريبان في هذا الزمان : الدين والفقر .

يا بني : شيئان يجلبان الحزن الى القلب . الطمع في جود البخلاء والمزاح مع الوضعاء ،وثلاث تذهب الهم عن القلب : صحبة العالم ، وقضاء الدين ، ومشاهدة الحبيب . الحزن مرض الروح كما ان المرض وجع الجسد ، والفرح غذاء الروح كما ان الطعام غذاء الجسد .

وقال ذو النون المصري : علامة السعادة ثلاث : متى زيد في عمره نقص من حرصه ، ومتى زيد في ماله زيد في سخائه ، ومتى زيد في قدره زيد في تواضعه .

وعلامة الشقاء ثلاث : متى زيد في عمره زيد في حرصه ، ومتى ما زيد في ماله زيد في بخله ،ومتى ما زيد في قدره زيد في تكبره ، واظلم الناس لنفسه ثلاث : من يتقرب الى من يبعده ، ويتواضع لمن لا يكرمه ويفتخر بمدح من مدحه ، ويقبل مدح من لا يعرفه .

وقال لقمان : يا بني إني خدمت أربعمائة نبي من الأنبياء واخترت من كلامهم أربع كلمات وهي : إذا كنت في الصلاة فأحضر قلبك ، واذا كنت على المائدة فلا تنظر خلفك . وان كنت في بيت غيرك فاحفظ لسانك .

يا بني . اني حملت الحديد والصخر فلم ار شيئا اثقل من الدَّيْن . وفي لفظ آخر اثقل من منن الرجال ، وعانقت الملاح وأكلت الطيبات ولبست ثياب الجمال فلم أر شيئا اجمل من العافية . ثلاث يؤدين الى البر والفاجر : الرحم توصل كانت برة او فاجرة ، والامانة ترد الى البر والفاجر ، والعهد يوفى به الى البر والفاجر .

أربع يصح بها الجسم فأكل الطعام في وقته وحفظ مقادير الاشياء ومجانبة الأعمال المشقة ، وترك الحزن .

اربع تكسر البدن دائما : سلوك الطريق الصعب ، وركوب الفرس الحرون ، والمشي على التعب ، ومجامعة العجائز ، واربع تحيي القلب : العقل النافع ، والاستاذ العالم ، والشريك الأمين والصديق المساعد ، والزوجة الموافقة ، واربع تميت القلب : برد الزمهرير ، وحر السموم ، والدخان الكريه ، واربع تلين القلب وتخشعه . بطن جائع ، وصاحب صالح ، وحفظ الذنب القديم ، وقصر الامل ، واربع تقسي القلب . بطن مليىء، وصحبة جاهل ، ونسيان الذنب الماضي ، وطول الأمل ، وفي الحديث : «اربع مفسدة القلوب : الخلوة بالنساء ، والاستماع منهن ، والأخذ برأيهن ، ومجالسة الموتى . قيل : ومن الموتى يا رسول الله ؟ فقال : الموتى هو كل عادل عن الايمان جائر عن الأحكام» .

وأربعة اشياء من عظيم البلاء : كثرة العيال مع قلة المال ، وجار السوء الخؤون ، والمرأة التي لا ثقة لها ولا وقار .

وعن عمار بن ياسر يرفعه . ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان في قلبه : الانفاق في الاقتار ، وبذل السلام للعالم . وانصاف الناس من نفسه .

ثلاث من كن فيه نشر الله عليه كرمه وأحله الجنة برحمته : رفق بالضعيف وشفقة على الوالدين والعلماء والاحسان الى المملوك . ثلاث من كن فيه أظله الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله : الوضوء في المكاره ، والمشي الى المساجد في العالم ، واطعام الجائع .

عن ابن عباس يرفعه وثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا يعبأ الله بشيء من عمله : من لم يكن له ورع يحجره عن معصية الله إذا خلا أو حلم

يكف به السفيه إذا تكلم ، وخلق يعيش به في الناس . وثلاث من كان واحدة منهن فيه زوجه الله من الحور العين ما شاء :رجل أؤتـمن على امانة خفية شهية فأداها من مخافة الله عز وجل ورجل عفا عن قاتله ، ورجل قرأ : «قل هو الله أحد» في دبر كل صلاة .

وثلاثة انا خصمهم يوم القيامة ومن اكون خصمه خصمته : رجل استأجر أجيرا فظلمه ولم يوفه أجره . ورجل حلف بالله وغدر . ورجل باع حرا فأكل ثمنه» .

واربعة اشياء مذمومة يعملها الناس فيجازون بها في الدنيا والآخرة : احدها الغيبة فإنها فارس يلحق سريعا .

الثاني : احتقار العلماء ؛ لأنه من حقر عالما عاد حقيرا .

الثالث : كفران نعم الله تعالى أو نعمة خليلك .

الرابع : قتل نفس بغير حق فإن كل قاتل مقتول ولو بعد حين . وأصحاب الغم والحزن في الدنيا ثلاثة : محب فارقه حبيبه ، وغني عاد فقيرا ، ووالد شفيق ضل عنه ولده .

وانظر الى ثلاثة بعين الرحمة : انظر الى الفقراء بعين التواضع لا بعين التكبر ، وانظر الى الأغنياء بعين النصح لا بعين الحسد ، وانظر الى النساء بعين الشفقة لا بعين الشهوة .

وقال : بلاء الخلق من ثلاثة : العلماء المغفلين ، والقراء البلهاء ، والعوام الحاسدين ، وثلاثة تجب مداراتهم : الملك المسلط ، والمرأة التي لا بد منها ، والمريض المدنف ، وثلاثة تكدر العيش : السلطان الجائر ، وجار السوء ، والمرأة المناقرة ، وانعم الناس عيشا ثلاثة : المقتصد ، والراضي ، والصبور .

ويحسن بالرجل ثلاثة : غناء النفس فإن من قنع بما في يده لم يتأسف على ما في يد غيره ، وصيانة عرضه ، وكتمان سره بانتظار الفرج ، ومروءة المسافر في ثلاثة : بذل الزاد ، وقلة العناد ، وخدمة الأصحاب ، وثلاث من طبائع الجهال : الغضب من غير غضب ، والاعطاء من غير حق ، ومن لا يعرف صديقه من عدوه .

وثلاثة أشياء فيهن الرشد : مشاورة ناصح ، ومداراة حاسد ، والتحبب الى الناس ، وكمال العقل في ثلاثة : إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق ، واذا رضي لم يدخله رضاه في باطل ، واذا قدر عفا .

ومن كمل دينه صبر على ثلاث : يقطع رجاءه مما في أيدي الناس ، ويصبر على أذى الناس ، ويحب للناس ما يحب لنفسه .

ثلاث احذرهم كل الحذر : احذر الخصائم فإنها تمرض القلب ، وتذهب بالحياء ، وتجسر عليك من كان يهابك ، واحذر الحسد ، فإنه يفسد الدين ويضعف اليقين ، ويعقب الندم ، واحذر معاداة الرجال ، فإنه لا يعدمك مكر حليم ومفاجأة لئيم فربما صغر العدو في عينك ، وكبر فعله في الشر .

وأبغض الناس ثلاثة : فقير متكبر ، وغني كذاب ، وشيخ جاهل .

وثلاثة أشياء لا تجتمع مع ثلاثة : أكل الحلال مع اتباع الشهوات ، والشفقة مع ارتكاب الغضب ، وصدق المقال مع كثرة الكلام ، وفتنة الدنيا تنشأ من ثلاثة : قابل الاخبار ، وطالب استماع الاخبار ، وملقن الاخبار . فهؤلاء الثلاثة لا يخلصون من الملامة .

وثلاثة أصلها من ثلاثة : أصل الزعامة العطف ، واصل الذنب العجلة ، وأصل الذل البخل .

وقال وهب بن منبه : ثلاثة مكتوبة في التوارة : كل عالم لم يكن متورعا فهو كاللص ، وكل رجل خلا من العقل فهو والبهيمة سواء ، وكل عمل لم يكن لله خالصا فهو كالهباء . وثلاثة يورثن السل : رسول بطىء ، وسراج لا يضىء ، وطعام انتظر عليه من يجىء متى يجىء .

وثلاثة تقسي القلب : الضحك من غير عجب ، والأكل من غير جوع ، والكلام فيما لا يعنيك .

وعن ثوبان يرفعه : ثلاث معلقات بالعرش : الرحم تقول : اللهم اني بك فلا أقطع والأمانة تقول : اللهم إني بك فلا أخان والنعم تقول : اللهم اني بك فلا اكفر .

وثمانية أشياء تجلب الذل على أصحابها : وهي جلوس الرجل على مائدة لم يدع اليها ، ومن تأمر على صاحب البيت ، والطامع في الاحسان من اعدائه ، والمصغي الى حديث اثنين لم يدخلاه بينهما ، ومحتقر السلطان ، ومن جلس فوق مرتبته ، ومن صادق من ليس بأهل . والعجلة من الشيطان إلا في سبع : اطعام الضيف اذا نزل ، وتجهيز الميت اذا حضر ، وتزويج البكر اذا ادركت ، وقضاء الدين اذا وجب ، والتوبة من الذنب إذا فرط ، والصلاة إذا وجبت ، ونصرة الضعيف اذا قدرت .

وخمسة إياك ان تصحبهم فإن صحبتهم ندامة ، ومجاورتهم ملامة ، لا تصحبن كذابا فإن صحبته ككلامه بمنزلة السراب يبعد منك القريب ويقرب منك البعيد ، ولا تصحبن احمق يعني جاهلا فإنه يريد ان ينفعك وهو يضرك ، ولا تصحبن حريصا طماعا فإنه يبيعك بفلس أو اكلة أو شربة ، ولا تصحبن بخيلا فإنه يخذلك حيثما كنت أحوج اليه ، ولا تصحبن جبانا أي ذليلا فإنه يسلمك ويسلم والديه ولا يبالي . وخمس هن دواء القلب وجلاؤه : مجالسة العلماء الصالحين ، وقراءة القرآن ، والفكر في الموت والقبر ، وقيام الليل ، والتضرع عند السحر ، قبيل الصبح .

وخمس من علامات الشقاوة : قسوة القلب ، وجمود العين ، وقلة الحياء ، والرغبة في الدنيا ، وطول الأمل .

وعن أبي ذر يرفعه : خمس من قواصم الظهر . عقوق الوالدين ، وأمرأة يأمنها زوجها وتخونه ، ورجل وعد خيرا فاخلفه ، وامام يطيعه الناس ويعصي الله ، ووقيعة المرء في أنساب الناس وكلهم لآدم وحواء .

من كتاب يعرف بكتاب حاوان : حرد أعمال البر أربع شعب . العلم ، والعمل ، والزهد ، وسلامة الصدر بإماتة الحسد .

جماع أمر العبادة في أربع : العلم ، والحلم ، والعفاف ، والعدل ؛ فالعلم بالخير للاكتساب ، وبالشر للاجتناب ، والحلم في الدين للاصلاح ، وفي الدنيا للكرم والعفاف ، وفي الشهوة للرزانة ، وفي الحاجة للصيانة ، وفي العدل للرضى ، والسخط للقسط والاستقامة .

العلم على أربعة أوجه : أن تعلم أصل الحق الذي لا يقوم إلا به ، وفرعه الذي لا بد منه ، وقصده الذي لا يقع إلا فيه ، وضده الذي لا يفسده إلا هو .

العلم والعمل قرينان كمقارنة الروح للجسد ، لا ينفع أحدهما الا بصاحبه .

أربعة أشياء يقوى بها على العمل : الصحة والغنى والعزم والتوفيق . طريق النجاة في ثلاث : سبيل الهدى ، وكمال التقى ، وطيب الغذاء ـ يعني الحلال ـ .

العلم روح والعمل بدن ، والعلم والد والعمل مولود .

وكان العمل لمكان العلم ولم يكن العلم لمكان العمل .

الغنى الأكبر في ثلاثة أشياء : قلب عالم تستعين به على دينك ، وبدن صابر في طاعة ربك تتزود به ليوم فقرك ، والقناعة بما رزق الله مع اليأس به من الناس .

اخرج الطمع من قلبك تحل القيد من رجلك ، وتريح بدنك .

الظالم مذموم نادم وان مدحه الناس ، والمظلوم سالم وان ذمه الناس .

القانع غني وان جاع وعري ، والحريص فقير وان ملك الدنيا .

حد السماحة سعة الصدور ، والاقدام على الأمور المتلفة .

وحد الصبر احتمال المكاره المؤلمة ، وحد السخاء سماحة النفس .

ببذل الرغائب الجليلة ، وحد الحلم ترك الانتقام مع امكان القدرة ، وحد الحزم انتهاز الفرصة .

أيها الملك إن الدنيا دار عمل والآخرة دار ثواب ، واعلم ان زمام العافية بيد البلاء ورأس السلامة تحت جناح العطب ، وباب الأمن مستور بالخوف ولا تكونن في حال من هذه الثلاثة غير متوقع لأضدادها ، ولا تجعل نفسك غرضا للسهام المهلكة ، وان الزمان عدو ابن آدم فاحترز من عدوك بغاية الاستعداد ، واذا فكرت في نفسك وعدوها استغنيت بالوعظ .

أجل قريب في يد غيرك ، وسوق حثيث من الليل والنهار ، واذا انتهت المدة حيل بينك وبين العدة ، واحتل قبل المنع ، واكرم أجلك بحسن صحبة السابقين .

وإذا آنستك السلامة فاستوحش من العطب ، واذا فرحت للعافية فاحزن للبلاء فإليه تكون الرجعة ، واذا ابسطك الأمل فاقبض نفسك بحية الأجل فهو الموعد وإليه المورد .

الحيلة خير من الشدة ، والتأني أفضل من العجلة والجهل في الحرب خير من العقل ، والتفكر في العاقبة مادة الجزع .

ثلاث لا يصلح فسادهن بشيء من الحيل : العداوة بين الأقارب ، وتحاسد الأكفاء ، والركاكة في الملوك .

ثلاث لا يشبع منهن : الحياة ، والمال ، والعافية .

اذا كان الداء من السماء بطل الدواء ، واذا قدَّر الرب بطل حذر المربوب .

ثلاث سرور الدنيا ، وثلاث غمها : فأما السرور فالرضى بالقسم والعمل بالطاعة في النعم ، ونفي الاهتمام لرزق غد .

وأما الغم ، فحرص مسرف ، وسؤال ملحف ، وتمني ما يلهف .

الدنيا أربعة : البناء والنساء والطلاء والغنى .

اربعة من جهد البلاء : كثرة العيال ، وقلة المال ، وجار السوء ، وزوجة خائنة .

شدائد الدنيا في أربعة : الشيخوخة مع الوحدة ، والمرض في الغربة ، وكثرة الدَّيْن مع القلة ، وبعد الشقة مع الرحلة .

المرأة الصالحة عماد الدين ، وعمارة البيت ، وعون على الطاعة .

ثلاث ليس للعاقل ان ينساها : فناء الدنيا ، وتصرف احوالها ، والآفات التي لا أمان منها ، وثلاث لا تدرك بثلاث : الغنى بالمنى ، والشباب بالخضاب ، والصحة بالأدوية .

اربع خلال إذا اعطيتهن فلا يضرك ما فاتك من الدنيا : عفاف

طبيعة ، وحسن خليقة ، وصدق حديث ، وحفظ أمانة .

ستة أشياء تعدل الدنيا : الطعام المرىء ، والولد السرىء ، والزوجة الصالحة الموافقة ، والسيد الرؤوف والكلام المحكم .

ثلاثة أشياء حسنة في ثلاثة مواضع : السماحة في الجوع ، والصدق في السخط ، والعفو في الغضب .

ثلاث ليس معهن غربة : حسن الأدب ، وكف الغضب ، واجتناب الريب .

من ظلم من الملوك فقد خرج من كرم الملك والحرية ، وصار الى دناءة الشر والمعصية ، وتشبه بالعبيد والرعية .

إذا ذهب الوفاء نزل البلاء ، واذا مات الاعتصام عاش الانتقام ، واذا ظهرت الخيانات استخفت البركات . الهزل آفة الجد ، والكذب عدو الصدق ، والجور مفسد العدل ، واذا استعمل الملك الكذب ذهبت هيبته ، واذا استصحب الكذب استخف به ، واذا أظهر الجور فسد سلطانه ، واذا كان الرأي عند من لا يقبل منه ، والسلاح عند من لا يستعمله ، والمال عند من لا ينفقه ضاعت الامور . على الملك ان يعمل بخصال ثلاث : تأخير العقوبة في السلطان ، وتعجيل المكافأة بالاحسان ، والأناة فيما يحدث ؛ فإن في تأخير العقوبة امكان العفو ، وفي تعجيل المكافأة بالاحسان المسارعة بالطاعة في الرعية ، وفي الأناة انفساح الرأي واتضاح الصواب .

استظهر على من دونك بالفضل ، وعلى نظرائك بالانصاف ، وعلى من فوقك بالاجلال تأخذ بوثائق أزمة التدبير .

يجب على العاقل من حق الله التعظيم والشكر ، ومن حق السلطان الطاعة والنصيحة ، ومن حقه على نفسه الاجتهاد في الخيرات ، واجتناب

الذنوب .

ومن حق الخلطاء ؛ الوفاء بالود ، والبذل للمعونة .

ومن حق العامة ، كف الأذى ، وحسن المعاشرة ، من لم يبطره الغنى ولم يشك في الفاقة ولم يأمن الدوائر ولم ينس العواقب فذلك الكامل .

الكمال في ثلاث : الفقه في الدين والصبر على النوائب وحسن التقدير في المعيشة .

يستدل على تقوى الرجل لثلاث : حسن التوكل فيما لم ينل ، وحسن الرضى فيما قد نال ، وحسن الصبر على ما قد فات .

ذروة الايمان أربع خصال : الصبر للحكم ، والرضى بالقضاء وبالقدر ، والاخلاص للتوكل ، والاستسلام للرب .

ليس للدين عوض ، ولا للأيام بدل ، ولا للنفس خلف ، ومن كانت مطيته الليل والنهار سارا به وان لم يسر .

اربعة اشياء القليل منها كثير : الوجع ، والفقر ، والنار ، والعداوة .

من جهل قدر نفسه فهو بقدر غيره أجهل ، ومن أنف من عمل نفسه اضطر الى عمل غيره .

إذا لم يكن العدل غالبا على الجور لم تزل تحدث الوان البلاء والآفات التي لا أمان منها ، وليس شيء لتغيير نعمة ، وتعجيل نقمة أقرب من الاقامة على الظلم .

الأمل قاطع من كل خير ، والطمع مانع من كل خوف ، والصبر صائر الى كل ظفر ، والنفس داعية الى كل شر .

باستصلاح المعاش يصلح أمر العباد ، وبصدق التوكل يستحق الرزق ، وبالأخلاص يستحق الجزاء ، وبسلامة الصدر تورث المودة في القلب ، وبالكف عن المحارم ينال رضى الرب ، وبالحكمة يكشف غطاء العلم ، ومع الرضى بالقضاء يصيب العيش .

بالعقول تنال ذروة الأمور ، وعند نزول البلاء تظهر فضائل الانسان ، وعند طول الغيبة تظهر مواساة الاخوان ، وعند الخبرة تكشف عقول الرجال ، وبالاسفار تختبر الأخلاق ومع الضيف يبدو السخاء ، وبالغضب يعرف صدق الرجل ، وبالايثار على النفس تملك الرقاب ، وبالأدب يفهم العلم ، وبترك الخطأ يسلم المرء من التخليط ، وبالزهد تفهم الحكمة ، وبالتوفيق تحرز الأعمال ، وعند الغايات تظهر قوائم العزائم ، وبصاحب الصدق تتقوى الأمور ، وبالملاقاة ازدياد المودات ومع الزهد في الدنيا تثبت المؤاخاة في الله ، ومن الوفاء دوام المواصلة ، ومن الغرر ركوب البحر ، ومن قبول رشد العالم ركوب مطية العلم ، ومن استقامة النية اختيار صحبة الابرار ، ومن عز النفس لزوم القناعة ، ومن سلطان اليقين التجلد على من يطمع في دمك .

ومن الدخول في الصدق الوقوف على ما لا تعرفه العامة ، ومن حب الجنة الانقطاع عن الشهوات ، ومن خوف النار الانصراف عن السيئات ، ومن طلب الفضول الوقوع في البلاء .

وسئل حاتم الأصم ، لأي سبب لا نجد ما يجده الأولون ؟

فقال : لأنكم فاتكم خمسة أشياء : المعلم الناصح والصاحب الموافق والاجتهاد الدائم ، والكسب الحلال ، والزمان المساعد .

وستة تساوي الدنيا : الطعام النافع ، والولد السليم الأعضاء والصاحب الموافق ، والأمير المشفق ، والكلام الصحيح النظام ، والعقل

الكامل التام خير من الدنيا وما فيها .

فصل من منثور الحكم

روي عن النبي ﷺ : «بئس العبد عبد خلق من نطفة ثم يصير الى جيفة كيف يفتخر» من عرف اصله كيف يفخر ؟ من يعمل الخبيث كيف لا يندم ؟ من يكثر ذكر الموت كيف ينعم ؟ من يؤثر الدنيا كيف يظفر ؟ من اشترى الآخرة كيف يخسر ؟ من اشتد حرصه لم تسترح نفسه . من كثر ضحكه مات قلبه . من قل صبره يغتم . من لم يحاسب نفسه يندم . من قارن المفسدين لم يصلح . من عاند أهل الدين لم يفلح . من قرأ القرآن من غير خشية لم يربح . من جالس السفهاء لم يحلم . من لم يملك لسانه يندم . من يدخل مداخل السوء يتهم . من يكثر المراء يغتم . من يسيء يساء إليه . من مازح السفهاء اجترؤ وا عليه . من لم يتوقر استخف به . من لم يوقر نفسه لم يوقره غيره . من اكثر الحرص والهم قسا قلبه . من اكثر الكلام كثر ذنبه . من اعتاد الفصاحة قل لينه . من يشتم الناس قل حياؤه قبح فعله . من لم يحلم عن أهل الجهل قل عقله . من قلت أمانته ظهرت خيانته . من امتنع بالناس لم يمنعوه . من اتكل على الناس لم ينفعوه . من عود لسانه الفحش لم ينسب الى الدين . من تكلم بالخنا تعرض للشين . من لم يستح لم يستحى منه . من كذب الناس كذبوه . من أخلف الناس أخلفوه . من قال الحق ولو على نفسه عظمت في صدور الناس محبته ، وفي صدور الفجار مهابته . من صان عقله صانه الناس عليه . من جالس اهل السفه فإن اهل العقل يسفهوه . من قارن غير أهل الدين فإن اهل الدين يحقروه ، من لم ينظر لنفسه فلا يلومن من لا ينظر اليه ، ومن لم يداري الاخوان لم تصلح أخوته ، ومن لم يغمض عن بعض العيوب لم تصف مودته . من لم يحتمل الجهل طال حزنه ولم يشف غيظه ، ومن حسد الناس لم يبرأ من الغيظ قلبه ، ومن قل كلامه فيما لا

يعنيه قل سقطه . من كثر ماله كثر حسابه . من كثر بيعه كثرت شياطينه . ومن ترك الحق حياء من الناس ركن الى الباطل . ومن صدق نمائم الناس كثر عدوه ، ومن أحب في الله قوي إيمانه ، ومن آخى في الله قل اليوم اخوانه . ومن ترك لله اعانه .

فصــل

وقيل : اوحى الله تعالى الى نبي من بني اسرائيل : قل لبني اسرائيل ينتهوا عما هم عليه والا ابتليتهم بالاسفار فإنها تخلق الأبدان وتذهب الاديان .

وقيل : من تهاون بأمر ربه رانت الذنوب على قلبه ، ومن كثر اغتمامه بالدنيا فقد ذهنه ، ومن اعتزل الشر اعتزله ومن فاكهه ـ لعله فاكه الناس ـ هزؤ وا به ، ومن لم تكن منه توبة لم يأمن العقوبة .

الباب السادس والثلاثون

في آداب الحكماء

الآثـــار

قالت الحكماء : الأدب أكرم الجواهر طبيعة ، وأنفسها قيمة ، يرفع الأحساب الوضيعة ، ويفيد الرغائب الجليلة ، ويعز من غير عشيرة ، ويكثر الأنصار من غير رزية ، فالبسوه حلة ، واقتنوه حلية ، يؤنسكم في الوحشة ، ويجمع لكم القلوب المختلفة .

وقال شبيب بن شيبة : اطلبوا الأدب ، فإنه مادة العقل ودليل على المروءة ، وصاحب في الغربة ، ومؤنس في الوحشة ، وصلة في المجالس .

وقال عبدالملك لبنيه : عليكم بالأدب فإنه إن احتجتم إليه كان لكم مالا ، وإن استغنيتم عنه كان لكم جمالا .

وقال بعض العلماء : اعلم أن جاهك بالمال إنما يصحبك ما صحبك المال وجاهك بالأدب غير زائل عنك .

وقال آخر : إذا أكرمك الناس لمال أو سلطان فلا يعجبك ذلك فإن الكرامة تزول بزوالها ، ولكن ليعجبك أن يكرمك الناس لدين أو أدب .

وقال الأحنف بن قيس : رأس الأدب المنطق ، ولا خير في قول إلا بفعل ، ولا في مال إلا بجود ، ولا في صدق إلا بوفاء ، ولا في رفعة إلا بورع ، ولا في صدق إلا بنية .

وقال بزرجمهر : ما ورثت الآباء أبناءهم خيرا من الأدب ؛ لأن بالأدب يكسبون المال ، وبالجهل يتلفونه .

وقال الفضيل بن عياض : رأس الأدب معرفة المرء قدره .

وقال أيضا : من عرف نفسه لم يضره ما قال الناس فيه .

وقال ابن قتيبة : إذا أردت أن تكون عالما فاطلب فنا واحدا ، وإذا أردت أن تكون أديبا فتفنن في العلوم .

وقال الحكماء : إذا كان الفتى طاهر الأثواب كثير الآداب حسن المذاهب ، تأدب بأدبه وصلح بصلاحه جميع أهله وولده .

وقالت الأدباء : من أدب ولده صغيرا سره كبيرا .

وقيل : من أدب ولده غم حاسده .

وقال ابن عباس : من لم يجلس في الصغر حيث يكره لم يجلس في الكبر حيث يحب ، وقال : ما أشد فطام الكبير وأعسر رياضة الهرم .

وقال عمر بن عتبة لمعلم ولده : ليكن أول صلاحك لولدي إصلاحك نفسك ؛ لأن عيوبهم معلقة بعيبك ، فالحسن عندهم ما صنعت ، والقبيح ما تركت ، علمهم كتاب الله ، ولا تملهم منه فيتركوه ، ولا تتركهم منه فيهجروه ، ورِوهم من الحديث أشرفه ، ومن الشعر أعفه ، ولا تنقلهم من علم إلى علم حتى يحكموه فإن ازدحام الكلام في السمع مشغلة للفهم ، وعلمهم سير الحكماء ، وجنبهم محادثة النساء ، ولا تتكل على عذري لك ،

فقد اتكلت على كفاءتك .

وقالت الحكماء : كفى بالتجارب تأديبا ، وبتقلب الأيام عظة ، وبالدهر مؤدبا ، وبالعقل مرشدا .

وقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ : اجتهد أن لا تكون دنيء الهمة فإني ما رأيت شيئا أسقط لقدر الانسان من تداني همته .

وقال عمرو بن العاص : المرء حيث وضع نفسه . يريد إن عز نفسه علا أمره ، وإذا أذلها ذل قدره ، ومعنى الهمة أن يرفع نفسه ، ولا يرفع أحد قدر أحد حتى يكون هو الرافع لقدر نفسه ، واعزاز المرء نفسه أن لا يختلط بالأراذل ، ولا يسرع في عمل ما لا يجوز لمثله أن يعمله .

وقال بعض الحكماء : اجلال الأكابر من أحسن الأدب ، واحتقار الناس من لؤم الأصل ، وقبح الخلال .

وقال ﷺ : «ما نحل والد ولد نحلة أفضل من أدب حسن» .

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويحسن أدبه .

وقيل لزيد بن وصاف : ما أدب النفس ؟ قال : أن تعرف حق الله فتؤديه ، وتتفرغ لحقوق الاخوان فتقضيها ، وتكف لسانك عن الشر ، ولا تسأم فعل الخير ، وتتوقى البخل ، وتدلها على الكرم .

وقال قتادة : إذا أحكمت متشابهات دينك ، ولم تسخط ربك فيما أمرك ونهاك فأنت الأديب .

وقال سعيد بن المسيب : من لم يعرف ما لله عليه في نفسه ودينه ، ولم يتأدب بأمره ونهيه كان من الأدب في عزله .

وقيل لحكيم : ما أدب النفس ؟ قال : أن تعرفها الخير وتحثها عليه ، وتعرفها الشر وتزجرها عنه ، وكان يقال : من قعد به حسبه نهض به أدبه .

وقال بعض الحكماء لابنه : يا بني عز السلطان يوم لك ويوم عليك ، وعز المال وشيك ذهابه وسريع انقطاعه ، وعز الحسب إلى خمول ودثور ، وعز الأدب راتب واصب لا يزول بزوال المال ولا يحول بحول السلطان .

وقيل : أهل الأدب هم الأكثرون وإن قلوا ، ومحل الأنس حيث حلوا .

وقال خالد بن صفوان لبنيه : يا بني ؛ الأدب بهاء الملوك ورياش السوقة ، والناس بين هذين فتعلموه تجدوه حيث تحبون .

وقيل : ترك الأدب موجب يوجب الطرد فمن أساء الأدب على البساط رد إلى الباب ، ومن أساء الأدب على الباب رد إلى سياسة الدواب .

وروي عن ابن المبارك أنه قال : نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم .

وقال أبو نصر : الناس في الأدب على ثلاث طبقات ؛ فأما أهل الدنيا فأكثر آدابهم في الفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم ، وأشمار الملوك ، واشعار العرب . وأما أهل الدين فأكثر آدابهم رياضة النفوس ، وتأديب الجوارح وحفظ الحدود ، وترك الشهوات . وأما أهل الخصوص فأكثر آدابهم في طهارة القلوب ، ومراعاة الأسرار ، والوفاء بالعهود ، وحفظ الوقت ، وقلة الالتفات إلى الخواطر ، وحسن الأدب في مواقف الطلب وأوقات الحضور في مقامات القرب .

وقال سهل بن عبدالله : من قهر نفسه بالأدب فهو يعبد الله

بالاخلاص .

وقال أبو علي : في قوله ـ تعالى ـ : ﴿وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحين﴾[1] قال : لم يقل ارحمني لأنه حفظ آداب الخطاب .

وكذلك عيسى ـ عليه السلام ـ قال : ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك﴾[2] ، وقال : ﴿إن كنت قلته فقد علمته﴾[3] ولم يقل لم أقل رعاية لآداب الحضرة .

وقال محمد بن سهل : من ألزم نفسه آداب السنة نور الله قلبه بنور المعرفة ، ولا مقام أشرف من المتابعة للرسول ﷺ في أوامره وأخلاقه وأفعاله .

وسئل عبدالله الرازي : ما بال الناس يعرفون عيوبهم ولا يرجعون إلى الصواب ؟ فقال : لأنهم اشتغلوا بالمباهاة بالعلم ولم يشتغلوا باستعماله ، واشتغلوا بالظواهر ولم يشتغلوا بآداب البواطن ، فأعمى الله قلوبهم ، وقيد جوارحهم عن العبادات .

وقيل : اجتمع الحكماء فقال قائل منهم : ما أفضل ما يؤتى المرء ويولد معه ؟ قالوا : علم أو عقل . قال : فإن حرم العلم والعقل ؟ قالوا : فأدب يعيش به . قال : فإن حرم العلم والعقل والأدب ؟ قالوا : فمال يتحبب به إلى الناس . قال : فإن لم يكن ؟ قالوا : فإخوان يسترون عورته . قال : فإن لم يكن ؟ قالوا : فعي الصامت . قال : فإن لم يكن ؟ قالوا : فموت جارف .

وقال في ذلك :

---

١ ـ الآية ٨٣ من سورة الأنبياء
٢ ـ الآية ١١٨ من سورة المائدة
٣ ـ الآية ١١٦ من سورة المائدة

إذا لم يكن علم يزين به الفتى   وإلا فمال ساتر لمعائبه
فإن لم يكن هذا ولا ذا فليته   قضى نحبه من قبل تبدو معائبه

وقال رجل لحكيم : عظني . قال : لا تغضب فتندم . قال : زدني . قال : خالف هواك تسلم . قال : زدني . قال : اعمل بما تعلم . قال : زدني . قال : اعمل لنفسك قبل أن تهرم . قال : زدني . قال : الزم الطريق الأقوم . قال : زدني . قال : زن الكلام قبل أن تتكلم . قال : زدني . قال : قدم زادك قبل أن تتقدم . قال : زدني . قال : احفظ صحتك قبل أن تسقم . قال : زدني . قال : اخرج من قلبك حب الدرهم .

وأما آداب الصحبة مع الله ـ تعالى ـ ؛ فإطراق الرأس ، وجمع الهم ، ودوام الصمت ، وسكون الجوارح ، ومبادرة الأمر ، واجتناب النهي ، وقلة الاعتراض على القدر ، ودوام الذكر وملازمة الفكر ، وإيثار الحق على الباطل ، واليأس من الخلق ، والخضوع تحت الهيبة ، والانكسار تحت الحياء ، والسكون عن حيل الكسب ، ثقة بالضمان ، والتوكل على فضل الله ـ تعالى ـ معرفة بحسن الاختيار .

وهذا ينبغي أن يكون شعارك في جميع ليلك ونهارك ، فإنه أدب الصحبة مع صاحب لا يفارقك والخلق كلهم يفارقونك .

وأما أدب العالم : سعة الاحتمال ، ولزوم الحلم ، والجلوس بالهيبة على سمة الوقار مع إطراق الرأس ، وترك التكبر على جميع العباد إلا على الظلمة زجرا لهم عن الظلم . وإيثار التواضع في المجالس والمحافل ، وترك الهزل والدعابة ، والرفق بالمتعلم ، والتأني بالمتعجرف ، واصلاح البلد بحسن الارشاد وترك الحرد عليهم ، وترك الأنفة من قول لا أدري وصرف الهمة إلى السائل وتفهم سؤاله ، وقبول الحجة والانقياد للحق بالرجوع إليه عن الهفوة ، ومنع المتعلم من علم يضره ، وزجره عن أن يريد بالعلم النافع غير

وجه الله ـ تعالى ـ ، وصد المتعلم من أن يشتغل بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين .

وفرض عينه اصلاح ظاهره وباطنه بالتقوى ، ومؤاخذته أولا لنفسه بالتقوى ليقتدي المتعلم أولا بأعماله ويستفيد ثانيا من أقواله .

وأدب المتعلم مع المعلم ؛ أن يبدأه بالتحية والسلام ، وأن يقل بين يديه الكلام ، ولا يتكلم ما لم يسأله أستاذه ، ولا يسأل ما لم يستأذن أولا ، ولا يقول في معارضة قوله قال فلان خلاف ما قلت ، ولا يشير عليه بخلاف رأيه فيرى أنه أعلم بالصواب من أستاذه .

ولا يسار جليسه في مجلسه ، ولا يلتفت إلى الجوانب بل يجلس مطرقا ساكتا متأدبا كأنه في الصلاة ، ولا يكثر عليه عند ملالته ، وإذا قام قام له . ولا يتبعه بكلامه وسؤاله في طريقه إلى أن يبلغ إلى منزله ، ولا يسيء الظن به في أفعال ظاهرها منكرة عنده فهو أعلم بأسراره ، وليتذكر عند ذلك قول موسى للخضر ـ عليهما السلام ـ : ﴿أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا﴾ [1] وكونه مخطئا في إنكاره اعتمادا على الظاهر .

ومن الأدب أن لا تغالب أحدا على حكمه ، وإذا سأل غيرك فلا تجب ، وإذا حدثك بحديث قد علمته فلا تنازعه إياه ، ولا تتقحم عليه فيه ، ولا ترِهِ أنك تعلمه ، وإذا كلمت صاحبك فأخذته حجتك فسهّل حرج ذلك عليه ، ولا تظهر الظفر به وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الحديث .

وقد قيل : من لم يكن فيه خير لنفسه لم يكن فيه خير لغيره ؛ لأن نفسه أولى الأنفس كلها فإذا ضيعها فهو لما سواها أضيع ، ومن أحب نفسه حاطها وأبقى عليها وجنبها كل ما يعيبها ويسقطها .

---

١ ـ الآية ٧١ من سورة الكهف .

ومن وصية أبي زكريا لأولاده قال لهم : إذا قمتم من جماعة فلا تفتحوا أطراف ثيابكم فلعل فيكم رائحة خبيثة ، وإذا أردتم أن تسألوا عالمكم فلا تدنوا منه فلعل فيكم رائحة خبيثة . واسألوا عالمكم في أول سؤالكم بالسهلة لا بالشكلة .

وقيل إن أراد أن يسأل عالمه فإنه يستأذنه ، فإن أذن له سأل ، وإلا فلا ، فإن جاء سائل ثان وأراد أن يسأل فإن كان الأول أذن له العالم وكان الكلام بينهما فلا يحتاج الثاني إلى الاذن ، فإن لم يأذن للأول منهما فإنه يستأذن السائل الممنوع ، فإن أذن له سأل العالم وإلا فلا ، فإذا حرد المسئول فلا ينبغي أن يسأل ولا أن يراجع بعد الحرد ، فإن أراد أن يسأل حاجة فإنه يقعد عن يمينه ، وإن كان كاتبا فليقعد عن يساره ، وإن كان طالب علم فليقعد مقابلة وجهه ويجعل عينه مقابلة صدره ، وإنما يسأل في حال نشاطه وارتياح قلبه كما قيل شعرا :

وارصد خواطر ساعات النشاط له   إذا أردت لبعض القول تكرارا

وأدب الجواب تسعة أوجه ؛ رد العلم إلى نهايته ، والتفهم في السؤال ، والترسل في الجواب ، والجواب بالود ، وحسن الرأفة والانصاف ، وترك الاغفال ، واختيار مسالك العلم ، وأدب الولد مع الوالدين أن يستمع كلامهما ، ويقوم لقيامهما ، ويمتثل أمرهما ، ولا يمشي أمامهما ، ولا يرفع صوته فوق صوتهما ويخفض لهما جناح الذل ، ولا يمتن عليهما بالبر لهما ، ولا بالقيام بأمرهما ، ولا ينظر إليهما شذرا ، ولا يقطب وجهه في وجههما ، ولا يسافر إلا برأيهما .

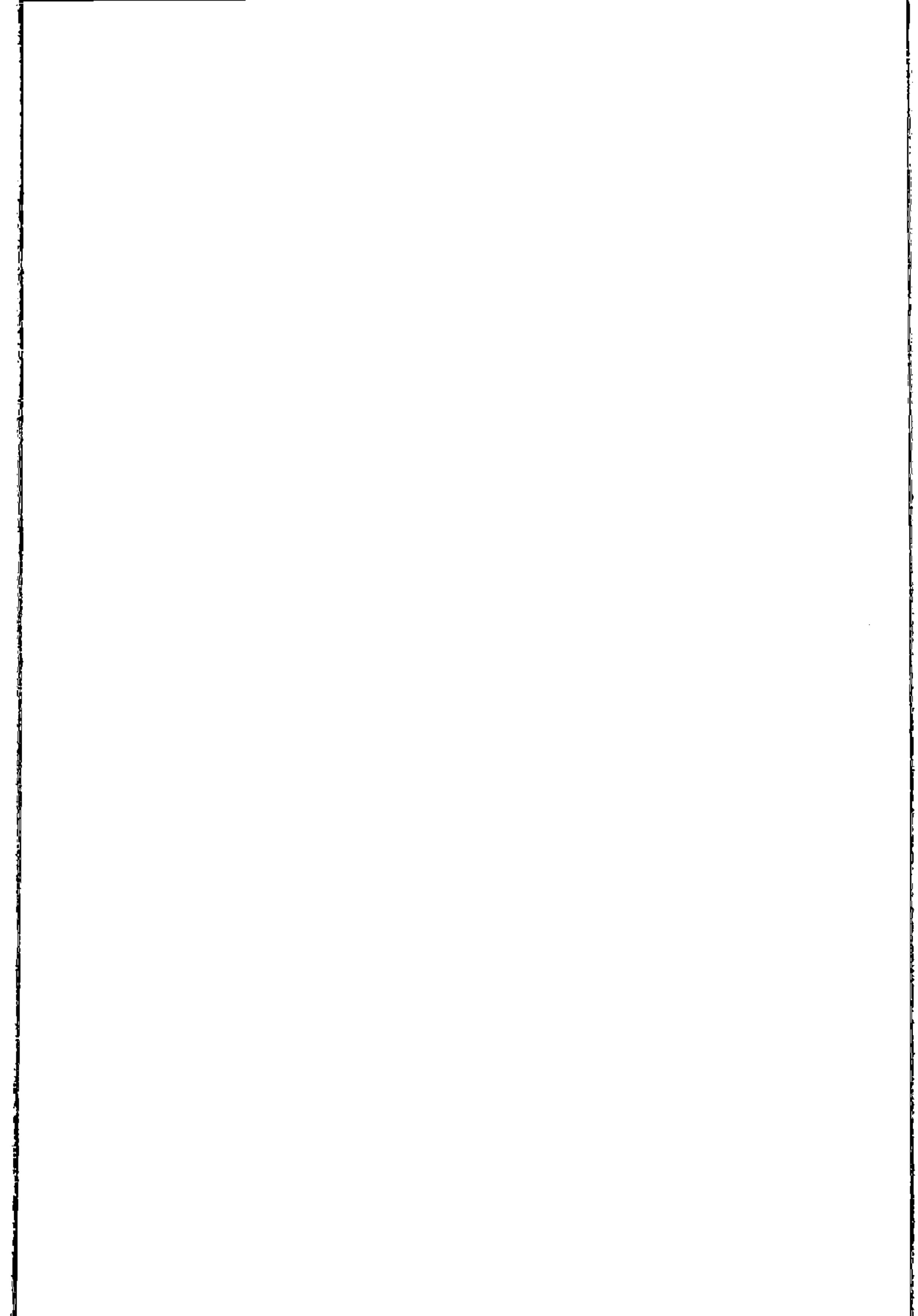
وقيل : طلب الأدب أولى من طلب الذهب .

وقيل : أدب السؤال سبعة ؛ خفض ـ لعله غض ـ البصر ، وخفض

الصوت ، وترك الالتفات ، وعظم الصبر ، وشدة الحرص ، ولطف السؤال ، وحسن النية .

وقيل : من الأدب مع العظماء أن لا تقرع أبوابهم ، ولا ينادوا في ديارهم ، ويرتقب خروجهم ، أو يستأذن عليهم .

وقيل : الفضل بالعقل والأدب بالأصل .



الباب السابع والثلاثون

في الآداب

قتادة في قول الله ـ عز وجلِ ـ : ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه﴾[1] قال : خلق السماء فزينها بالكواكب ، وخلق الأرض فزينها بالنبات ، وخلق ابن آدم فزينه بالأدب .

وقال : ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم﴾[2] . فوجب ستر العورة وهو أول الأدب .

وقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ : إياكم ولبستين ؛ لبسة مشهورة ولبسة محقورة ، وكانت العرب تقول : العري الفادح خير من الزي الفاضح .

وقيل في ذلك شعر :

إن العيـون رمتك إذ فـاجـأتهـا وعليـك من شهر الثيـاب لباس
أما الطعام فكل لنفسك ما تشاء واجعل لباسك ما اشتهاه الناس

١ ـ الآية ٧ من سورة السجدة
٢ ـ الآية ٢٦ من سورة الأعراف

وقيل : من الأدب ، إذا دخلت مع الرجل منزله أن تدخل بعده ، وإذا خرجت خرجت قبله .

ومن الأدب أن يدل الرجل ضيفه موضع الخلاء ، ومن الأدب أن يمشي معه إلى الباب ، ومن الجفاء أكل رب البيت مع الضيف إلا أن يكون الضيف من الملوك والرؤ ساء ولا تناول بعض أضيافك دون بعض ، ولا تناج بعضهم دون بعض ، ولا تناول أحدا شيئا على مائدة غيرك ، ولا تكثر السكوت عند أضيافك فتدخلهم وحشة ، ولا تستخدم الضيف فليس من المروءة .

ونهى رسول الله ﷺ في الأكل عن ثلاثة أوجه ؛ عن التقشير والترميل والتنقيب . فالقشار الذي يأكل من كل ناحية ويقشر وجه الطعام ، والمرمل الذي لا يرفع إلى فيه ما لا يسع ، والنقاب الذي يحفر في الطعام خبه ويرجع إليه الادام .

ونهى النبي ﷺ عن قصع الرطبة ، وهو أن يخرجها من قشرها ، ويكره لمن أكل التمر أن يلقي النوى من فمه حتى يعرقه . وكان ـ عليه السلام ـ إذا أكل التمر ألقى النوى على ظهر كفه ـ يقذفه ـ .

وكان ﷺ يأمر مؤ اكليه بحسن الأدب في الأكل . وقال : «البركة تنزل وسط الطعام فكلوا من حافتيه ولا تأكلوا من وسطه» .

وكان من آداب أصحابه إذا وضع الطعام لا يضعون أيديهم حتى يضع يده قبلهم .

وكان ﷺ إذا سقى أصحابه بدأهم قبل نفسه ، وكان إذا شرب أعطى من عن يمينه ، وإذا كان مفضولا ربما استأذنه لكون الحق له فإن أذن له وإلا أعطاه ، وكان يشتد إليه أن توجد رائحة كريهة فلم يأكل ثوما ولا بصلا ولا كراثا إلا مطبوخا ، وكان إذا دعي إلى طعام في عدد معين فيتبعهم غيرهم

استأذن لهم ، وكل الأدب قولا وفعلا مأخوذ عنه ﷺ ، وكيف لا يكون كذلك وجبريل ـ صلى الله عليهما ـ مؤدبه عن ربه ـ جل وعلا ـ فطوبى لمن تأدب بأدبه واقتدى به في كل أحواله .

وقيل : في الأكل أربع فرائض ، وأربع سنن ، وأربع مكرمة ، فأما الفرائض فالحمد والشكر والتسمية ومعرفة ما أطعمك الله ـ تعالى ـ ، وأما السنة فاتكاؤك على فخذك الأيسر والأخذ للطعام بثلاث أصابع وشدة المضغ ولعق الأصابع ، وأما المكرمة فغسل اليدين والأكل مما يليك وتصغير اللقمة وأن تقل النظر إلى جليسك ، وهذا كان من فعل رسول الله ﷺ .

ويقال : غسل اليدين في افتتاح الطعام ينفي الفقر واللمم .

وقيل : غسل اليدين قبل الأكل بركة ، وبعده مغفرة .

وقيل : إذا دام أهل البيت على ذلك نفى الله عنهم الفقر وعاشوا في سعة ، وإذا حضرت المائدة فليس يحسن بالرجل الأكل نائما ولا قائما ولا ذلك من أفعال المسلمين ، ويؤمر أن يسمي ويأكل قاعدا ، ولا يحرم عليه أن يأكل قائما أو نائما من عذر ، فأما ما يجوز من ذلك فمثل من تناول رطبة أو نبقة وهو نائم وما يكون مثل هذا فلا بأس به .

ويكره الأكل بالشمال للخبر الوارد فيه ولا أعلم عليه شيئا .

وقيل : لكل شيء فضيحة ، وفضيحة القِرَى اتساع البطون .

وقال رجل لبعض اخوانه : كل كل . فقال : عليك بتقريب الطعام وعلينا تأديب الأجسام .

وقيل : إن فقيها دعي إلى طعام فقال : أجبتك بثلاثة شروط أن لا تتكلف ما ليس عندك أو تضن بما عندك أو تحرم عيالك وتقري ضيفك .

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال : «للضيف حق واجب على كل مسلم فمن أصبح بفنائه فهو أحق به إن شاء أخذ وإن شاء ترك» .

وقال : «الضيف ينزل برزقه ويرتحل بذنوب أهل البيت» .

وقال : «الضيافة ثلاثة أيام وجائزتها يوم وليلة ولا يحل لرجل مسلم يقيم عند أخيه حتى يؤثمه» قالوا : يا رسول الله وكيف ذلك ؟ قال : «يقيم عنده ولا شيء عنده يقوته به» .

وقال : «نفقة المؤمن على ضيفه الواحدة عشرة أضعاف وعلى ولد ولده سبعين ضعفا وعلى صومه سبعمائة ضعف وعلى ذي قرابته من أبيه وأمه ألف ضعف بأنه إنما وصل بذلك والديه ونفقته في سبيل الله سبعين ضعفا» .

وروي عن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ أن الله ـ تعالى ـ يبغض أهل بيت ينفقون قوت أيام في يوم واحد .

ويقال : يوشك من أنفق سرفا أن يموت أسفا .

ابن عمر : لو أن رجلا مات بشّاما ما صليت عليه .

ويقال : الشبع داعية البشم ، والبشم داعية السقم ، والسقم داعية الموت .

وقيل : لا تسلم على من يأكل وليس هو من الأدب .

وقال أكثم بن صيفي : كنوز العلماء الحكم ، وكنوز الجهال الأموال ، ومن أحب الأدب تواضع له ، ومن أبغضه تكبر عنه .

وقيل في ذلك :

لا خير في حر بلا أدب   لا خير فيه ولو يمشي على الذهب

وقال آخر :

أدب المرء كلحم ودم ما حواه جسد إلا صلح
لو وزنتم بأديب واحد ألف ألف من ذوي الجهل رجح

ومن الأدب ؛ الاقبال على الجليس كان محدِّثا ومحدَّثا ، والاعراض على المحدث من سوء الأدب .

والاقبال على المعرض ليس من الأدب .

قال سعيد بن المسيب : لجليسي عليّ ثلاث خصال ؛ إذا أتى قربته ، وإذا حدث أقبلت عليه .

وكان ابن عباس يقول : أكرم الناس عليّ جليسي .

ومن الأدب أن يساوي الرجل بين جلسائه في إقباله وحديثه وتقريبه وإكرامه ، ولا يخص بعضهم بشيء دون بعض اقتداء بالنبي ﷺ ، فقد روي أنه كان يقسم لحظاته بين جلسائه .

وقيل : ثمانية إن أهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم : الجالس على مائدة لم يدع إليها ، والمتآمر على رب البيت ، وطالب الخير من أعدائه ، وطالب الفضل من اللئام ، والداخل بين اثنين في حديثهما من غير أن يدخلاه فيه ، والمستخف بالسلطان ، والجالس بمجلس ليس له بأهل ، والمقبل بحديثه على من ليس يسمعه .

ومن الأدب : إذا لقيت أحدا فلا تسأله من أين جئت لعله لا يريد أن تعلم ، وإذا رأيت رجلين في حديث فلا تقم عندهما ولا تدخل بينهما ، وإن كنتم ثلاثة فلا تناجين واحدا دون الثاني ، وإن كنتم أربعة فلا تناجين اثنين دون الثالث فإنه جفاء ، وإن قمت من عند رجل فدعاك فلا تمشين وهو يدعوك

فإنه استخفاف بدعائه ، ولكن قف حتى يفرغ من دعائه وأجبه بمثله ، فإذا قرعت الباب فتمهل وليكن بين كل ضربتين ما يفرغ المتوضىء من وضوئه والمصلي من صلاته ركعتين ، والآكل من أكله واللامس من حاجته ، وإذا دخلت على رجل فاجلس حيث يأمرك بالجلوس ؛ فإن المرء يعرف بعوار داره .

وحكي أن رجلا استأذن على أبي حنيفة وكانت عنده بطيخة فسترها بثوب وأشار أبو حنيفة بالجلوس إلى موضع آخر ، فأبى وجلس على البطيخة وكسرها . فمخالفة رب البيت في جلوسه جاهلا مخالفا مقبحا ضامنا فاعلا ما ليس يحسن مخالفا لأدب رسول الله ﷺ .

ومن الأدب إذا حضر قوم أن يتكلم الأكبر منهم وبذلك أمر النبي ﷺ .

ومن الأدب اجتناب النعاس عند الناس فإنه من سوء الأدب ، وفيه ثلاث خصال ؛ إما أن يكون من صاحبه حدث أو كلمة نافعة تمر فتفوته أو يكون تاركا لحرمة الجلساء ، وإذا حدثت رجلا فتهاون بحديثك فكف عنه فإنه قيل : من حدث من لم يستمع لحديثه كان كمن قدم طعاما إلى أهل القبور .

ومن كان في مجلس ثم قام منه ثم رجع فهو أحق بذلك .

ويكره أن يبزق الرجل عن يمينه ، وقيل إن أبا بكر بزق عن يمينه في مرضه الذي مات فيه ثم قال : ما فعلها قبل اليوم .

وليكن لنفسه مصلحا مهذبا وناصحا مؤدبا ، فقد قال بعض الحكماء : أصلح نفسك يكون الناس تبعا لك .

وأن يؤدب خدمه وغلمانه فإن الخادم دليل على المخدوم .

ويكره في الأدب إعادة الحديث .

وقال الزهري : إعادة الحديث أشد من نقل الحديد .

وقيل : إنه ما مد رجليه ﷺ عند جليس قط .

عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : يا معاشر الرجال ؛ استتروا من نسائكم ، لا تكونوا كأمثال الدواب ؛ فإن رسول الله ﷺ لا رأيت له شيئا ولا رأى لي شيئا .

وقد قيل إن أبا بكر لما حضرته الوفاة ـ رحمه الله ـ قال لزوجته : هل رأيت لي سوأة قط ؟ فقالت : اللهم لا . قال : الله أكبر ما كنت أظن أن أحدا رآها سواك .

وقيل : زر غِبّا تزدد حبا . وقيل هذا قاله النبي ﷺ لأبي هريرة فسمعته عائشة ـ رضي الله عنها ـ وكان فيها قيل قريبا لها ، فشق ذلك عليها . فقالت : أكثرت من زوره[1] فملك ، ودمت في ذلك فاستقلك ، لو كنت ممن يزور غبّا آثر في قلبه محلك . فقال ﷺ : «ما مللناه ولا قليناه ولكن أدبناه» .

والأدب أيضا أدبان ؛ أدب نفس وأدب درس ، فأدب النفس أفضل والانسان إليه أحوج ، وهو به أحسن ، وله أزين ، وقال بعض الحكماء : الأدب أدبان : أدب شريعة ، وأدب سياسة ؛ فأدب الشريعة ما أدى الفرض ، وأدب السياسة ما عمر الأرض ، وكلاهما راجعان إلى العدل ، وليعتبر الناس في سائر أموره . فقد قيل : من كثر اعتباره قل عثاره ، وليتصفح أحوال غيره ليتبع أحسنها ، ويدع أقبحها ، لما قد قيل : ان السعيد من وعظ بغيره والشقي من وُعِظ غيره به .

قال الشاعر :

---

١ ـ هكذا وجدت في الأصل ولعله يقصد زيارته

إن السعيد له من غيره عظة   ففي التجارب تحكيم ومعتبر

وقال : ينبغي للأديب أن يأخذ من جميع الآداب أجودها ، كما أن النحل تأخذ من كل زهر أجوده .

ومن الأدب ترك الاعجاب ، فإنه آفة الألباب وضد الصواب .

وقال أفلاطون : لا ينبغي للأديب أن يخاطب من لا أدب له كما لا ينبغي للصاحي أن يخاطب السكران .

وينبغي للأديب أن يجتنب كل عيب ، فعنده المانع ، وهو الأدب الذي آتاه الله ـ تعالى ـ من حالة الجاهل ، وليأت الذي هو أشبه في كل حال بالأدب .

ومن الأدب أن لا تقضى الذمم في مجالس الملوك إلا لصاحب المجلس لا لغيره .

وقال بعض الحكماء : الأدب صورة العقل ، فصور عقلك كيف شئت .

وقيل : من حق النفس على الانسان أن يأخذها بالآداب الجزيلة والأفعال الجميلة ، فهي أوجب الحقوق إليه ، وأليق الأشياء إليه .

وقال أبو الفتح البستي :

يا خادم النفس كم تشقى بخدمتها   لتطلب الربح مما فيه خسران
أقبل على النفس واستكمل فضائلها   فأنت بالنفس لا بالجسم انسان

وعليه أن يهذبها في كل أحواله ، ويؤدبها في سائر أفعاله .

وحكي أن فتى من بني هاشم تخطى رقاب الناس عند أبي داود ، فقال

له : يا بني إن الأدب ميراث الأشراف ، وليس أرى عندك من ذلك شيئا .

ومن الأدب ترك هجر القول وأمثال السقاط .

وقال الصنوري :

وللسقاط أمثال فمنها تمثلهم لدى الشيء المريب
إذا ما كنت ذا بول صحيح الا فاضرب به وجه الطبيب

وقال زدشير : من غذاه الأدب كان ينبوعا للحكمة .

ومن الأدب أن لا يرفع الانسان صوته منزعجا ؛ فإن بعض الطيش من فضل البلاغة .

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾ (1) .

قيل : العطسة المرتفعة القبيحة .

قيل : وكان المشركون يتفاخرون برفع الأصوات ، ومن كان أشد صوتا كان عزيزا .

فقال الله ذلك ، أي لو كان شيء يثاب على شدة صوته أثيب الحمار .

ويكره الأطباء والحكماء الأكل بين يدي السباع يخافون نفوسها وأعينها للشره الذي فيها ولما ينحل عند ذلك من البخار من أجوافها من البخار الرديء وينفصل من عيونها من الأمور المفسدة التي إذا خالطت طباع الانسان نغصته .

وكانوا يقولون : في السنور والكلب : إما أن تطرده قبل أن يراك تأكل

---

١ ـ الآية ١٩ من سورة لقمان

وإما أن تشغله بشيء يأكله ولو بعظم .

فقال النبي ﷺ : «من أكل من غير جوع ونام من غير سهر وضحك من غير عجب ومشي من غير أرب مقته الله» .

وقال : «إن الله لم يخلق وعاء ملء شرا من بطن فإن كان لا بد فاجعلوا ثلثا للطعام وثلثا للشراب وثلثا للنفس»[1] .

وقال : «بيت ليس فيه تمر جياع أهله» .

وقال : «ما افتقر بيت فيه خل» .

ويقال : لكل شيء صدأ وصدأ نور القلب شبع البطن .

وقال بعضهم : لا تسكن الحكمة معدة ملئت طعاما .

وعليك بالكسب الحلال فإن الذي يكون طامه من الحرام إذا وضع يده وقال بسم الله قال الشيطان أنا كنت معك من حيث كسبته لا أفارقك أنا شريكك فيه .

ولا تبدأ بالأكل حتى يبدأ من هو أكبر منك في السن والعلم ، فإذا بدأت فقل بسم الله وارفع بها صوتك إذنا لمن معك ، وكل مما يليك وافتح طعامك بالملح واختمه به فإن فيه دواء من سبعين داء .

وكان النبي ﷺ يفعله ، وكل ما سقط من المائدة .

فإنه بلغنا أنه يصرف عن فاعله الجذام والجنون وعن ولده وولد ولده .
فإذا أكلت فلا تقم حتى ترفع المائدة ، فإنه من السنة ، فإذا رفعت المائدة وتوضأت فاستأذن في الخروج ، وادع لهم بالخلف ، وان كنت صائما فلا تقعد

---

١ - أخرجه أحمد والترمذي والنسائي عن المقداد بن معد يكرب

مع من يأكل فيستحيون منك .

وروي أنه ﷺ أخذ كسرة من خبز الشعير فوضع عليها تمرة وقال : «هذا إدام هذا» .

وروي عنه عليه السلام . أنه كان يأكل القثاء بالرطب والدباء بالتمر .

وعنه ﷺ : «كلوا الوغم ولا تأكلوا الغغم» فالوغم ما يتساقط ويتناثر من الطعام عند الأكل ، والغغم ما يخرج من الأضراس من الطعام عند التخلل ، واذا تخللت فلا ترم بالخلالة بين الناس ، ولا تتنخع ولا تبزق بين الناس فإن ذلك من الجفاء والجفاء ليس من أخلاق المسلمين ولا تأكل في الظلمة فإن الشيطان يأكل في الظلمة ، واذا أكلت لحما فابدأ قبل بثلاث لقم خبز تسد الخلال ، واذا أكلت لحما فانهشه نهشا ، واذا شربت فاشرب في ثلاثة انفاس . الأول شكرا لربك . والثاني مهضمة لطعامك . والثالث مطردة للشيطان .

أبو هريرة ان النبي ﷺ قال : اذا صنع لأحدكم خادمه طعاما ثم جاء به وقد ولى حره ودخانه فليقعد معه فليأكل وان كان الطعام مشفقا ـ يعني قليلا ـ والشفافة البقية القليلة ، فليضع في يده منه أكلة أو اكلتين» .

وعنه ﷺ أنه قال : حرام على الرجل ان يحقر ما في منزله أن يقدمه إلى قوم وحرام على الرجل ان يحقر ما قدم إليه»

عائشة عنه عليه السلام : «اكرم الخبز فإن من اكرامه ان لا ينتظر به الأدم إذا حضر مع الملح وسيد أدامكم الملح» .

أبو هريرة عنه عليه السلام أنه قال : «اذا وضع الطيب بين يدي احدكم فليصب منه ولا يرده» .

أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال : «اذا وضع الطعام فاخلعوا

نعالكم فإنه لا روح لأقدامكم» .

وقال عمر ـ رحمه الله ـ إياكم والبطنة ، فإنها مفسدة للدين مورثة للسقم ، مكسلة عن العبادة ، وعليكم بالقصد في قوتكم» .

وعن النبي ﷺ : «لا تجعلوا بطونكم أوعية فتصير أودية» وفي الحديث «الرعب شؤم ورجل نهيم ومنهوم» وهو الذي يمتلىء بطنه ولا تشبع نفسه .

أبو عبيدة عن جابر قال : بلغني عن النبي ﷺ قال : «لا تغبوا الماء غبا فإن من ذلك يتولد البهر ولكن مصوه مصا» .

وقيل إن الجري من أفعال الحمقى لما يدرك إذا مشى ، وان كان يخاف فوت ذلك جرى إليه وذلك إذا خاف على نفسه العطب ، أو على غيره من قبل حرق أو غرق ، او اكل دابة أو أشباه ذلك فجرى لم يكن ذلك من الجفاء بل من الاحسان .

الباب الثامن والثلاثون

في الآداب في الأقوال والأفعال

سفسافها

وفي الحديث : «ان الله يحب معالي الأمور ويكره سفاسفها» السفساف من كل شيء لعله أرذله ، ويقال : فضل القول على الفعل لؤم ، وفضل الفعل على القول كرم .

وينبغي للانسان ان يستر إحسانه كما يستر معصيته .

وقال ﷺ : « من ألح عليه الفقر فليكثر من قول : ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» ويستفتح الانسان ليله ونهاره بذكر الله تعالى فإنه العبادة الكبرى ، فإذا دخل منزله فليقل : السلام علينا من ربنا والحمد لله رب العالمين كما أمر الله تعالى . ويستحب لمن قعد عند من يقرأ السورة أن لا يقوم حتى يقوم القارىء أو يسكت .

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها كانت إذا قرأت : ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ [1] قالت ثلاثا ، وأنا على ذلك من الشاهدين . وينبغي لمن مر على حائط مائل أو شيء مخوف أن يسرع المشي اقتداء برسول الله ﷺ أنه مر بحائط مائل فأسرع . فقيل له : يا رسول الله أسرعت . فقال : «أخاف موت

١ ـ الآية ٨ من سورة التين .

الفواق» أي موت الفجأة .

وإذا أردت أن تنام فنم على جنبك الأيمن وقل : بسم الله وفي سبيل الله الحمد لله الذي أواني والحمد لله الذي هداني والحمد لله الذي من علي بالاسلام .

وعليك بذكر الله حتى يذهب بك النوم فتكتب من الذاكرين حتى تصبح ثم قل : اللهم وضعت جنبي إليك ولجأت بظهري إليك وأسلمت نفسي إليك فاحفظني بما حفظت به المؤمنين .

وكان النبي ﷺ إذا أخذ مضجعه قال : «اللهم آمن روعتي واستر عورتي واقصد ديني وقني عذابك يوم تبعث عبادك» وكان يقول اذا قام من فراشه : «سبحانك ربنا ويحمدك نستغفرك ونتوب إليك فتب علينا إنك أنت التواب الرحيم» .

فإذا أصبحت فقل : الحمد لله الذي أحياني بعد ما أماتني وإليه النشور ، ومن بات طاهرا وكل الله به ملائكته يحفظونه ويستغفرون له ، ويؤذن لروحه بالسجود ، وإن مات كان شهيدا ، واذا صليت الغداة فقل بعد الصلاة : الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله اكبر له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا . اللهم أني اسألك بركة هذا اليوم وخير ما قبله وخير ما بعده يا أرحم الراحمين .

وإذا لبست ثوبا فالبسه ممن (من) ميامنك وقل : بسم الله الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به بين الناس ، واذا نزعته فانزعه من مياسرك إقتداء بما روي عن النبي ﷺ بدأ بميامنه في لبسه وانتعاله وادهانه واكتحاله وفي جميع أحواله ﷺ . فإذا انتعلت فابدأ باليمين ، وذا خلعت فابدأ

باليسرى اقتداء برسول الله ﷺ ، واذا انقطع شسع نعلك فقل : انا لله وانا إليه راجعون لما روي عن سعد بن عبادة كان اذا انقطع شسع نعل رسول الله ﷺ قال : «انا لله وانا إليه راجعون» فقالوا : يا رسول الله أمصيبة هي ؟ قال : «نعم اذا انقطع شسع نعل أحدكم فليسترجع فإنها مصيبة فإذا انقطع ولم يحضره سير فليجعل حبلا أو خوصة فإنه أشبه بالنعل من الخيط» .

واذا ادهنت فابدأ بالرأس قبل اللحية ، والحاجب قبل الشارب .

فقد قيل : كان يفعل ذلك النبي ﷺ . وقال ﷺ : «من شم طيبا أول النهار لم يفقد عقله إلى آخر النهار» واذا نظرت في المرآة فقل : الحمد لله الذي خلقني فأحسن خلقي وصورني فأحسن صورتي وزين ما شان من غيري وهداني للاسلام . اللهم فكما احسنت خلقي فحسن خلقي وحببني الى جميع خلقك» .

أنس قال : قال النبي ﷺ : «ما أنعم الله على عبد نعمة في أهل أو مال أو ولد فرآها فأعجبته فقال : اذا رأى ذلك ما شاء الله لا قوة الا بالله» ويستحب الصلاة على النبي عند النظر الى الشيء المعجب لأن ذلك يطرد العين عنه ، وهذا من خصائصه فيما قيل ، والله اعلم .

وكان ﷺ يأمر من أصابه حزن أو سقم أو غم أو لأواء أو أزل وهو الجوع ان يقول : «الله ربي لا أشرك به شيئا ثلاث مرات» .

عمر ـ رحمه الله ـ قال : قال النبي ﷺ : «من رأى مبتلى فقال الحمد لله الذي عفاني مما ( ) ابتلاك به وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلا إلا عافاه من ذلك البلاء» .

ويقال : عند شروق الشمس . الله اكبر الله اكبر الله اكبر لا إله إلا الله والله اكبر ولله الحمد اللهم اشرقها علي بالتوبة والرحمة والعصمة والعفو

والانابة .

ويقال أيضا : طلعت الشمس بقدرة الله وانتشر خلق الله ولا إله إلا الله ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا .

وإذا أتيت قرية أو بلدا تريد دخولها فقل : اللهم ارزقنا خيرها واصرف عنا وباءها .

واذا أردت دخول السوق فقل : اللهم اني أعوذ بك من الكفر والفسوق وأسألك ما في السوق . اللهم اني لا أجد الا ما اعطيت ولا أتقي إلا ما وقيت . اللهم قني كل يمين كاذبة وكل صفقة خاسرة . فإنه بلغنا أن ابن مسعود ـ رحمه الله ـ كان يقول ذلك .

سلمان ـ رحمه الله ـ لا تكونن أول داخل للسوق ولا أخر خارج منه فإنه مركز الشيطان ومركز رايته .

ويستحب تجنب الشمس ويؤمر بالتباعد عنها . فقد روي عن علي : رأى رجلا في الشمس قال : فمر عنها فإنها مبخرة مجفرة تنتن الريح وتبلي الثوب وتظهر الداء الدفين . ـ قوله مجفرة تذهب شهوة النساء ـ وقد قيل : من سبق العاطس بالحمد عوفي من وجع الخاصرة ولم ير في حياته مكروها حتى يخرج من الدنيا .

وأوحى الله إلى موسى عليه السلام : «يا ابن عمران ؛ اذا سمعت عاطسا فاحمدني ولو من وراء البحر» .

ابن عباس قال : العطاس من الله والتثاؤب من الشيطان فإذا تثاءبت فضع ظهر اصابعك على فيك تسكينا للتثاؤب .

وأول من عطس آدم ﷺ ، فقال الحمد لله الهاما من الله عز

وجل فقال له ربه : «يرحمك الله» فسبقت رحمته غضبه فصارت سنة للتشميت . وقيل : كان سبب عطسة آدم ﷺ ، ان الروح جرت في جسده فتنفس فصارت عطسة .

وقيل : ان النبي ﷺ كان يقول اذا سافر : «اللهم إني اعوذ بك من وعث السفر وكآبة المنقلب ومن الحور بعد الكور ودعوة المظلوم وسوء المنظر في الأهل والمال والولد . اللهم اطو لنا الأرض وهون علينا السفر» .

وعنه : «أمان لأمتي من الغرق اذا ركبوا في الفلك ان يقولوا : بسم الله الملك الرحمن ﴿وما قدروا الله حق﴾ [1] ، إلى ﴿مطويات بيمينه﴾ [2] ، الآية .

﴿بسم الله مجراها ومرسـٰها إن ربي لغفور رحيم﴾ [3] ، ويستحب في دخول السفينة أن لا يدخلها على يمينه كما يركب الدابة على يمينه .

وعن النبي ﷺ أنه قال : «على ظهر كل بعير شيطان فإذا ركبتموها فاذكروا اسم الله عليها ثم امتهنوها» .

ويستحب لمن أكل أو شرب أو قعد أو قام أو أخذ شيئا أو نام أو أراد زوجته أو جاريته أو ما فعل من شيء أن يذكر اسم الله ـ عز وجل ـ في كل ذلك بلا حد محدود .

وقال النبي ﷺ : «لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهن الكتاب وعلموهن المغزل وسورة النور» .

---

١ ـ الآية (٦٧) من سورة الزمر .
٢ ـ الآية (٦٧) من سورة الزمر .
٣ ـ الآية (٤١) من سورة هود .

وقال : «إذا قامت المرأة فلا يجلس الرجل مجلسها حتى يبرد مكانها» .

وروي عن النبي ﷺ أنه يبغض كثرة النوم وكثرة الراحة .

وعنه ﷺ أنه قال : «أريحوا القلوب فإنها تعي الحكمة» .

وينبغي للمرء أن يعلم أن عليه لنفسه حقا فلا يمنعها حقها ، وحقها إذا أسهرها في الليل أن يريحها بالنهار ، وإن أصابته مصيبة فلا يمنعها الطعام والشراب فتضعف عما افترضه الله عليها وليكن صابرا لأمر الله ـ تعالى ـ .

قيل : نظر ابن عباس إلى بعض أولاده قد نام نومة الضحى فركله برجله وقال : قم لا أنام الله عينيك ، تنام في الساعة التي يسير ـ لعله ينتشر ـ فيها عباد الله يبتغون من فضل الله أو ما علمت ما قالت العرب في النومة ؟ قال : وما قالت فيها يا أبتي ؟ قال : قالت إنها مكسلة منجرة منساة للحاجة . يا بني ؛ أو ما علمت أن النوم على ثلاثة أوجه ؛ فنومة خرق ونومة خلق ونومة حمق ؛ فأما نومة الخرق فنومة الضحى ، وأما نومة الخلق فنومة الهاجرة ، وهي التي قال رسول الله ﷺ : «قيِّلوا فإن الشياطين لا تقيّل» وأما نومة الحمق فبين العصر والمغرب لا ينام إلا سكران أو مجنون . قال : فقام الغلام يعرك عينيه فما عاد إلى نومة الضحى .

وقيل في ذلك شعرا :

الا إن نومات الضحى تورث الفتى سقاما ونومات العشي (العصر) جنون

وقال ﷺ : «لا تنام الصبيان عند الأبواب ولا يتخطى الرجل الرجل وهو نائم ، ولا ينام الرجل على بطنه ولا المرأة على قفاها» .

وقال : «إذا رأيتم الرجل نائما على ظهر المحجة فأنبهوه وإذا رأيتم الرجل نائما على بطنه فلا تدعوه» .

ومن نبه نائما لصلاة أو لطهارة أو لطعام أو لجماعة أو لبيع أو لشراء أمره بذلك أو لم يأمره فجائز .

وكان النبي ﷺ ينام على يمينه ويضع يده اليمنى تحت خده الأيمن ثم يقول : «اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك» وإذا استيقظ من نومه قال : «الحمد لله الذي أحياني بعد إذ توفاني وإليه النشور» .

وقيل : جعل الله ـ عز وجل ـ النوم دليلا على الموت وجعل القيام من النوم دليلا على البعث .

وفي الحديث : «كلما تغاررت ذكرت الله» والتغارر : هو السهر والتقلب بالليل في الفراش . وأفضل ما ينام الرجل على يمينه فيذكر الله ـ تعالى ـ ما بدا له ثم ينام على شماله .

وقال ابن عباس : النوم أربعة ؛ فالأنبياء ـ عليهم السلام ـ ينامون على ظهورهم وتنام أعينهم ولا تنام قلوبهم متوقعون لوحي ربهم .

والمؤمن ينام على يمينه مستقبلا قبلته والملوك تنام على شمالها ليستمرئوا ما أكلوا من طعامهم ، وإبليس وأعوانه وكل ذي عاهة أو مجنون ينام على وجهه ، ويستحب أن لا ينام الرجل حتى يقرأ عشر آيات من البقرة ؛ أربع آيات من أولها وآية الكرسي وآيتين بعدها وثلاث آيات من آخرها من ﴿آمن الرسول﴾ عن عبدالله من قرأهن لم يضره الشيطان تلك الليلة في أهل ولا مال ، ولا تقرأ على مجنون إلا برىء .

والنوم أخو الموت ، وقد روي عن الأعمش أن سائلا سأل النبي ﷺ : هل ينام أهل الجنة ؟ قال : لا ؛ لأن النوم أخو الموت .

ونهى النبي ﷺ أن يدخل بيت مظلم إلا بضياء .

أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «لا يمشين أحدكم في نعل واحدة وليخلعها جميعا» .

أبو عبيدة عن جابر بن زيد قال : سمعت جابر بن عبدالله يقول : قال رسول الله ﷺ : «اغلقوا الأبواب واوكوا السقاء وغطوا الاناء واطفئوا المصباح فإن الشيطان لا يفتح غلقا ولا يحل وكاء ولا يكشف إناء وإن الفويسقة تضرم على أهل البيت نار بيوتهم» .

قال الربيع : الفويسقة ؛ الفأرة ، تضرم ؛ تحرق البيوت تأخذ الفتيلة وتضعها في السقف .

وعن النبي ﷺ : «تغطية الرأس بالنهار فقه وبالليل زينة» .

الأصمعي قال : لقيني أبو عمرو بن العلاء في المربد بالبصرة فقال : يا أصمعي ؛ مالي أراك حاسرا الزم العمامة ترد الأمة وتقي الهامة وتزيد في القامة .

وقال ﷺ : «العمائم عز الرجال» وفي خبر : «تيجان الرجال» وفي خبر : «إذا نزعوها ذهب عزهم» . وفي خبر : «فإذا وضعوها ذلوا» وفي خبر : «عليكم بالعمائم فإنها تيجان العرب ووقار المؤمن» وعند ذهاب عزهم يضعون العمائم والألوية .

عزان روى عن النبي ﷺ : «أمرت بالعمامة والنقليز والخاتم» وأنه أمر عمر بالخاتم فاتخذ خاتما من ذهب فنهاه عنه . ثم اتخذ خاتما من حديد فقال له : «ولا هذا» فاتخذ خاتما من فضة .

وفي الحديث : «ادهن غبا يقول يوما ويوما لا واكتحل وترا واحد وثلاثة» .

وروي أنه ﷺ ربما اكتحل اثنين .

وخذ الميل بيدك اليمنى واجعله في المكحلة وقل بسم الله فإذا جعلت الميل في عينك فقل : اللهم نور بصري واجعل لي نورا أبصر به حكمتك .

ونهى ﷺ عن الافاه . ففسروه الادهان كل يوم .

وعن النبي ﷺ : «ادهنوا يذهب عنكم البؤس والبسوا تظهر نعمة الله عليكم» .

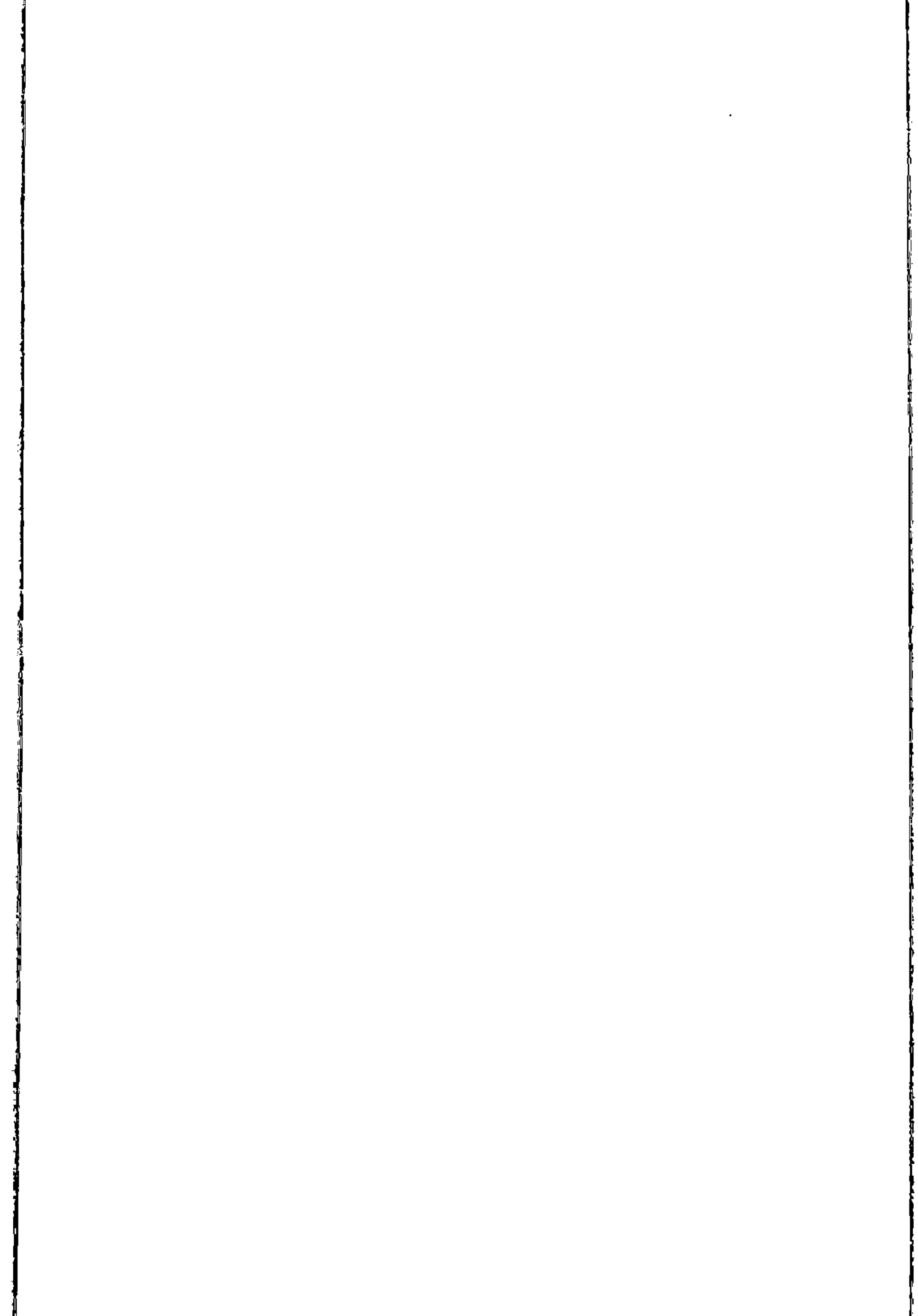
وقال النبي ﷺ : «اجتنبوا الجلوس على الطرقات إلا أن تضمنوا أربعا : رد السلام وغض الأبصار وارشاد الضال» وفي موضع آخر كان لعله مكان غض الأبصار تشييع الجنائز .

وقيل : يكون نظره إذا مشى موضع قدمه ويدع الالتفات فإنه عيب ، وهو من علامات الحمق .

ومن كان راجلا فليمش في جانبي الطريق ، وإن كان راكبا ففي وسطه .

وقيل : هذا في العمران فأما في الفضاء فإن وسط الطريق للراجل والراكب . وفي الحكمة إياك واللجاجة والمشي في غير حاجة .

الأصمعي قال : لقيني أبو عمر بن المعلا في المربد بالبصرة فقال : مالي أراك مستعجلا ؟ قلت : أتوجه إلى صديق لي . وقال : لا تمض إلا لاحدى ثلاث : فائدة أو عائدة أو مائدة .



الباب التاسع عشر

في الثلاثي والعشاري

عن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ : عز الدنيا بالمال ، وعز الآخرة بالأعمال الصالحة ، ومن دخل القبر بلا زاد فكأنما ركب البحر بلا سفينة .

وعن عثمان : هم الدنيا ظلمة في القلب ، وهم الآخرة نور في القلب .

وعن عليّ : من كان في طلب العلم كانت الدنيا في طلبه ومن كان في طلب المعصية كانت النار في طلبه .

وعن يحيى بن معاذ : ما عصى الله كريم ، وما آثر الدنيا على الآخرة حليم .

وعن الأعمش : من كان رأس ماله التقوى كلت الألسن عن وصف ربحه ، ومن كان رأس ماله الدنيا كلت الألسن عن وصف خسران دينه .

وقال بعض الزهاد : ولا تحقروا الذنوب الصغار فإنها شعب الذنوب الكبار .

وقال بعض الحكماء : من توهم أن له وليا أولى من الله قلّت معرفته بالله ، ومن توهم أن له عدوا أعدى من نفسه قلّت معرفته بنفسه .

وعن أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : ان الشهوة تصير الملوك عبيدا ، والصبر يصير العبيد ملوكا ، ألا ترى في قصة يوسف وزليخة . وقال : من ترك الحرام رق قلبه ومن ترك المباح صفا فكره . وقال : من كمال العقل اتباع رضوان الله واجتناب سخط الله . وقال : لا غربة للفاضل ولا وطن للجاهل .

وقال ﷺ : «أصل جميع الخطايا حب الدنيا وأصل جميع الفتن منع العشر والزكاة» .

وقال بعض الحكماء : ثلاث تذهب الغصص ، ذكر الله ـ تعالى ـ ، ولقاء الأولياء ، وكلام الحكماء .

وروي : ان رجلا من بني اسرائيل خرج إلى طلب العلم فبلغ ذلك نبيه ، فبعث إليه فأتاه وقال له : يا فتى إني أعلمك ثلاث خصال فيها علم الأولين والآخرين ؛ اتق الله في السر والعلانية ، وامسك لسانك عن الخلق لا تذكرهم الا بخير ، وانظر خبزك الذي تأكله حتى يكون من الحلال . فامتنع الفتى عن الخروج .

وروي أن رجلا من بني اسرائيل جمع ثمانين تابوتا من العلم ولم ينتفع بعلمه فأوحى الله إلى نبيه أن قل لهذا الجامع لو جمعت كثيرا لن ينفعك إلا أن تعمل بثلاثة أشياء : لا تحب الدنيا فليست دار المؤمنين ، ولا تصاحب السلطان فليس برفيق المؤمنين ، ولا تؤذ أحدا فليس بحرفة المؤمنين .

ابراهيم النخعي : إنما هلك من هلك قبلكم بثلاثة أشياء : بفضول الكلام ، وفضول الطعام ، وفضول المنام .

وقيل : أفضل الناس منزلة قلب عالم ، وبدن صابر ، وقناعة بما في اليد .

وعن يحيى بن معاذ : طوبى لمن ترك الدنيا قبل أن تتركه ، وبنى قبره قبل أن يدخله ، وأرضى ربه قبل أن يلقاه .

وقال علي : من لم تكن عنده سنة الله وسنة رسوله وسنة أوليائه فليس في يده شيء قيل له : ما سنة الله ؟ قال : كتمان السر ، وسنة النبي ﷺ المداراة ، قيل : وما سنة أوليائه ؟ قال : احتمال الأذى .

وعن علي : تفضل على من شئت فأنت أميره ، واحتج إلى من شئت فأنت أسيره ، واستغن عمن شئت فأنت نظيره . كما قال :

تفضل فمن أوليته منك نعمة فمد لها كفا فأنت أميره
ومن كنت محتاجا إليه فإنه أميرك لا شك وأنت أسيره
ومن كنت عنه في غنى وهو مالك أزمة قطب الأرض أنت نظيره

وروي عن النبي ﷺ قال : «حبب إليّ من دنياكم ثلاث ؛ الطيب والنساء وجعل قرة عيني في الصلاة» .

وكان أصحابه منهم عمر فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ : صدق رسول الله وحبب إليّ من دنياكم ثلاث ؛ الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والثوب الخَلِق .

وقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ : وحبب إليّ من دنياكم ثلاث ؛ النظر إلى وجه رسول الله ﷺ ، وتكون ابنتي تحت رسول الله ﷺ .

وقال عثمان : وحبب إليّ من الدنيا ثلاث ؛ اشباع الجيعان ، وتلاوة القرآن ، وكسوة العريان .

فقال علي : وحبب إليّ من الدنيا ثلاث ؛ الخدمة للضيف ، والضرب بالسيف ، والصوم في الصيف .

فبينما هم كذلك إذ نزل جبريل ـ عليه السلام ـ : أنا أحب من دنياكم ثلاثا ؛ إرشاد المضلين ، ومواساة الغرباء الفانتين ، ومعاونة أهل العيال المعسرين ، ويحب رب العزة من عباده ثلاثا ؛ بذل الاستطاعة ، والبكاء عند الندامة ، والصبر على الفاقة .

وعن بعض الحكماء : من اعتصم بعقله ضل ، ومن استغنى بماله قل ، ومن عز بمخلوق ذل .

وعن وهب بن منبه : أنه مكتوب في التوراة : الحريص فقير وإن كان ملكه ملك الدنيا ، والمطيع مطاع وإن كان مملوكا ، والقانع غني وإن كان جائعا .

وعن بعض الحكماء : من عرف الله لم تكن له مع الخلق لذة ، ومن عرف الدنيا لم تكن له فيها رغبة ، ومن عرف الله لم يتقدم إليه في الخصماء .

وعن أبي سليمان الداراني : أصل كل خير في الدنيا والآخرة الخوف من الله ، ومفتاح الدنيا الشبع ، ومفتاح الآخرة الجوع .

وقال النبي ﷺ لأبي ذر ـ رضي الله عنه ـ : «جدد السفينة فإن البحر عميق ، وخذ الزاد كاملا فإن السفر بعيد وخفف الحمل فإن العقبة كؤود واخلص العمل فإن الناقد بصير»[1] .

وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ : البحور أربعة ؛ الهوى بحر الذنوب ، والنفس بحر الشهوات ، والموت بحر الأعمال ، والقبر بحر الندامات .

وعن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ : أربعة من ظلمة القلب ؛ بطن يشبع من غير مبالاة ، وصحبة الطالحين ، ومفارقة الصالحين ، ونسيان الذنوب الماضية ، وطول الأمل . وأربعة من نور القلب ؛ بطن جائع ،

---

١ ـ رواه الحاكم عن معاذ

وصحبة الصالحين ، وحفظ الذنوب الماضية ، وقصر الأمل .

وعن حاتم : من ادعى أربعا بلا أربع فدعواه كذب ؛ من ادعى حب الله ولم ينته عن محارم الله فدعواه كذب ، ومن إدعى حب الجنة ولم يتصدق فدعواه كذب ، ومن ادعى حب النبي ﷺ وكره الفقراء والمساكين فدعواه كذب ، ومن ادعى خوف الله ولم ينته عن الذنوب فدعواه كذب .

وقال النبي ﷺ : «الأمهات أربع ؛ أم الأدوية ، وأم الآداب ، وأم العبادة ، وأم الأماني . فأم جميع الأدوية قلة الأكل ، وأم جميع الآداب قلة الكلام ، وأم جميع العبادة قلة الذنوب ، وأم جميع الأماني الصبر» .

وقال ﷺ : «أربعة جواهر في الجسم ببني آدم تزيلها أربعة أشياء ، أما الجواهر ؛ فالعقل والدين والحياء والعمل الصالح . فالغضب يزيل العقل ، والحسد يزيل الدين ، والطمع يزيل الحياء ، والغيبة تزيل العمل الصالح» .

وقال ﷺ : «أربعة في الجنة خير من نفس الجنة ؛ الخلود في الجنة خير من الجنة ، ورضى الله في الجنة خير من الجنة ، وحرمة الملائكة في الجنة خير من الجنة ، وجوار الأنبياء في الجنة خير من الجنة . وأربع في النار شر من النار ؛ الخلود في النار شر من النار ، وتوبيخ الملائكة في النار شر من النار ، وسخط الرب في النار شر من النار ، وجوار الشيطان في النار شر من النار» .

وأربعة لا يعرف الواصفون وصفهن : عظمة الرب ، وعداوة إبليس ، ونعيم الجنة ، وعذاب جهنم .

وعن بعض الحكماء أنه قال حين سئل : أنا مع المولى مع الموافقة ، ومع النفس على المخالفة ، ومع الخلق على النصيحة ، ومع الدنيا على الضرورة .

واختار الحكماء من أربعة كتب أربع كلمات : من التوراة ؛ من رضي

بما أعطاه الله استراح في الدنيا والآخرة ومن الانجيل ؛ من هدم الشهوات عز في الدنيا والآخرة . ومن الزبور ؛ من تفرد عن الناس نجا في الدنيا والآخرة . ومن الفرقان ؛ من حفظ لسانه سلم في الدنيا والآخرة .

وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ : ما ابتليت ببلية إلا كان لله عليّ فيها أربع نعم ؛ أولها إذا لم تكن في الدين . والثاني إذا لم تكن أعظم منها . والثالث إذا لم أكن أحرم الرضا بها . والرابع إني أرجو الثواب عليها .

وقال عليّ : لا يزال الدين والدنيا قائمين ما دام أربعة أشياء ؛ ما دام الأغنياء لم يبخلوا بما خولوا ، وما دام العلماء يعملون بما علموا ، وما دام الجهال لا يستكبرون عما جهلوا ، وما دام الفقراء لا يبيعون آخرتهم بدنياهم .

وقال حاتم : من صرف أربع إلى أربع وجد الجنة ؛ النوم إلى القبر ، والفخر إلى الميزان ، والراحة إلى الحساب ، والشهوات إلى الجنة .

وقال حامد اللفاف : أربعة طلبناها في أربعة فأخطأنا طرقها فوجدناها في أربعة أخرى . طلبنا الغنى في المال فوجدناه في القناعة ، وطلبنا الجاه في الحسب فوجدناه في التقوى ، وطلبنا الراحة في الثروة فوجدناها في قلة المال ، وطلبنا النعمة في اللباس والطعام فوجدناها في البدن الصحيح .

وقال حاتم : أربعة أشياء لا يعرف قدرها إلا بأربعة ؛ الشباب لا يعرف قدره إلا في الشيوخ ، والعافية لا يعرف قدرها إلا أهل البلاء ، والصحة لا يعرف قدرها إلا المرضى ، والحياة لا يعرف قدرها إلا الموتى .

وعن بعض الحكماء : من اشتغل بالشهوات فلا بد له من السيئات ، ومن اشتغل بجمع المال فلا بد له من الحرام ، ومن اشتغل بمنافع الناس فلا بد له من المداراة ، ومن اشتغل بالعبادات فلا بد له من العلم .

وقال النبي ﷺ : «من أهان خمسة خسر خمسة ؛ أولها من استخف بالعلماء خسر الدين ، ومن استخف بالأمراء خسر الدنيا ، ومن استخف بالجيران خسر المنافع ، ومن استخف بالأقرباء خسر المروءة ، ومن استخف ؟؟؟؟؟ خسر طيب العيش» .

وقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ : الظلمات خمس والسراج لها خمس : حب الدنيا ظلمة والسراج التقوى ، والذنب ظلمة والسراج التوبة ، والقبر ظلمة والسراج لا إله إلا الله ، والآخرة ظلمة والسراج لها العمل الصالح ، والصراط ظلمة والسراج اليقين .

وقال عمر ـ رضي الله عنه ـ مرفوعا عن النبي ﷺ : «لولا ادعاء الغيب لشهدت لخمسة نفر أنهم من أهل الجنة ؛ أحدهم صاحب العيال ، والمرأة الراضي عنها زوجها ، والمتصدقة على زوجها ، والواهبة مهرها على زوجها ، والتائب من الذنب ، والراضي عنه أبواه ، والفقير صاحب العيال» .

قال الناظر : وذلك لمن كان مستقيما في أمر دينه .

وقال عثمان : خمس هن علامات اليقين ؛ أولها أن لا يجالس إلا من يصلح معه الدين والدنيا ، ويغلب الفرج واللسان ، وإذا أصابه شيء قليل منها اغتنم ذلك ، ولا يملأ بطنه من الحلال خوفا أن يخالطه الحرام ويرى الناس قد نجوا ويرى نفسه قد هلك .

وقال عليّ بن أبي طالب : لولا خمس خصال لصار الناس صالحين ؛ أولها القناعة بالجهل ، والحرص على الدنيا ، والشح بالفضل ، والرياء في العمل ، والاعجاب بالرأي .

وقال النبي ﷺ : «وإن من جمع المال خمسة أشياء ؛ العناء في جمعه ، والشغل عن ذكر الله بإصلاحه ، والخوف في مسألته ، والسراقة واحتمال اسم

البخل لنفسه ، ومفارقة الصالحين من أجله . وفي تفريقه خمسة أشياء ؛ راحة النفس في طلبه ، والفراغ لذكر الله من حفظه ، والأمن من مسألته وسارقه ، واكتساب اسم الكريم بنفسه ، ومصاحبة الصالحين لفراقه» .

وعن سفيان الثوري : لا يجتمع في هذه الدنيا لأحد مال إلا وعنده خمس خصال ؛ طول الأمل ، وحرص غالب ، وشح شديد ، وقلة الورع ، ونسيان الآخرة . كما قال :

حرص شديد وشح مثله أمل   نسيان آخرة مع قلة الورع

وقال عمر ـ رضي الله عنه ـ : رأيت جميع الأخلاء ولم أر خليلا أفضل من حفظ اللسان ، ورأيت جميع اللباس ولم أر لباسا أفضل من الورع ، ورأيت جميع البر ولم أر برا أفضل من الرحمة ، ورأيت جميع الأموال فلم أر مالا أفضل من القناعة ، وذقت جميع الأطعمة فلم أر طعاما ألذ من الصبر .

وروي عن رسول الله ﷺ عن جبريل ـ عليه السلام ـ عن الله ـ تبارك وتعالى ـ أنه قال : (يا موسى ؛ خمس كلمات ختمت بهن التوراة فإن عملت بهن نفعك علم التوراة ، وإن لم تعمل بهن لم ينفعك علم التوراة ؛ أولهن كن واثقا برزقي المضمون لك ما لم تر خزائني نفدت ، الثانية يا موسى لا تخافن سلطان الأرض ما لم تر سلطاني زائلا . الثالث لا تتجسس عن عيب أحد ما لم تخل من العيوب . الرابعة لا تدعن محاربة الشيطان ما دام روحك في جسدك . الخامسة يا موسى لا تأمنن عقابي حتى ترى نفسك في الجنة) .

وعن بعض الصالحين أنه قال في المناجاة : إلهي طول الأمل غرني ، وحب الدنيا أهلكني ، والشيطان أضلني ، والنفس الأمارة بالسوء من الحق منعتني ، وقرين السوء على المعصية أعانني . فأغثني يا غياث المستغيثين فإن لم ترحمني فمن الذي يرحمني فإنه لا راحم لي غيرك .

وقال النبي ﷺ : «ستة أشياء هن غريبة في ستة مواطن ؛ المسجد غريب فيما بين قوم لا يصلّون[1] فيه ، والمصحف غريب في منزل قوم لا يقرأون منه ، والقرآن غريب في جوف فاسق ، والمرأة المسلمة الصالحة في يد رجل ظالم سيء الخلق ، والرجل مسلم صالح في يد امرأة بذيئة سيئة الخلق ، والعالم غريب في قوم لا يسمعون القول منه» . ثم قال ـ عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات ـ : «فإن الله لا ينظر إليهم يوم القيامة» .

وقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ : ان ابليس قائم من أمامك ، والنفس عن يمينك ، والهوى عن يسارك ، والدنيا عن خلفك ، والأعضاء عن حولك ، والجبار عن فوقك . فإبليس يدعوك إلى ترك الدين ، والنفس تدعوك إلى المعصية ، والهوى يدعوك إلى الشهوات ، والدنيا تدعوك إلى اختيارها على الآخرة ، والأعضاء تدعوك إلى الذنوب ، والرب يدعوك إلى الجنة والمغفرة . فمن أجاب إبليس ذهب عنه المولى ، ومن أجاب النفس ذهب عنه الدين ، ومن أجاب الهوى ذهب عنه العقل ، ومن أجاب الدنيا ذهبت عنه الآخرة ، ومن أجاب الأعضاء ذهبت عنه الجنة ، ومن أجاب الله ـ تعالى ـ ذهب عنه جميع الشر ونال جميع الخير .

وقال عمر : ـ رضي الله عنه ـ إن الله كتم ستة في ستة : كتم الرضا في الطاعة ، وكتم الغضب في المعصية ، وكتم الاسم الأعظم في القرآن ، وكتم ليلة القدر في شهر رمضان ، وكتم الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس ، وكتم أولياءه فيما بين الخلق ، وكتم الموت في العمر .

وقال عثمان : المؤمن في ستة أنواع من الخوف ؛ أحدها من قبل الله ـ تعالى ـ أن يأخذه بالايمان بغتة ، والثاني من قبل الحفظة أن يكتبوا عليه ما يفتضح به يوم القيامة ، والثالث من قبل الشيطان أن يحبط عمله ، والرابع

---

١ ـ في الأصل لا يصلي فيه والصحيح ما أثبت

من قبل الموت أن يأخذه في غفلة بغتة ، والخامس من قبل الدنيا يغتر بها فتشغله عن الآخرة ، والسادس من قبل الأهل والعيال أن يشتغل بهم فيشغلوه عن ذكر الله .

وقال عليّ : من جمع ست خصال لم يدع الجنة طلبا ولا للنار هربا ؛ أولها عرف الله فأطاعه ، وعرف الشيطان فعصاه ، وعرف الآخرة فطلبها ، وعرف الدنيا فرفضها ، وعرف الحق فاتبعه ، وعرف الباطل فاتقاه .

وعن بعض الحكماء : من لم يخش الله لم ينج من الطمع ، ومن لم يكن حافظا زلة اللسان لم ينج من الكذب ، ومن لم يخش قدومه على الله لم ينج قلبه من الحرام والشبهة ، ومن لم يكن عن الخلق آيسا لم ينج من الطمع ، ومن لم يكن حافظا عمله لم ينج من الرياء ، ومن لم يستعن بالله على احتراس قلبه لم ينج من الحسد .

وعن الحسين : إن فساد القلوب في ستة أشياء ؛ يذنبون رجاء التوبة ، ويتعلمون ولا يعملون ، وإذا عملوا لا يخلصون ، ويأكلون ولا يشكرون ، لا يرضون بقسمة الله ، ويدفنون موتاهم ولا يعتبرون .

وقال : من أراد الدنيا واختارها على الآخرة عاقبه الله بست عقوبات ، ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة . فأما الثلاث اللاتي في الدنيا فأمل ليس له منتهى وحرص غالب ليس له قناعة ، وأخذ منه حلاوة العبادة . وأما الثلاث اللاتي في الآخرة ؛ فهول يوم القيامة ، والحساب الشديد ، والحسرة الطويلة .

وفي المناجاة أن الله ـ تعالى ـ أوحى إلى موسى ـ عليه السلام ـ : ستة في ناري وغضبي ؛ أولهم من طال عمره وساء عمله ، وغني سارق ، وعالم فاسق ، ومن أتاني على غير توبة ، ومن لقيني بدم مؤمن متعمدا ، ومن منع حقي وأكله .

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : «سبعة يظلهم الله تحت عرشه يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله ؛ أولهم إمام عادل ، وشاب نشأ في طاعة الله ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية الله ، ورجلان تحابا في الله ، ورجل دعته امرأة ذات جمال إلى نفسها فقال إني أخاف الله رب العالمين» [1].

وقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ : لا يخلو البخيل من احدى سبع ؛ إما أن يموت ويرثه من يحذره وينفقه في طاعة الله ، أو يسلط الله عليه جائرا فيأخذه بغير اختيار نفسه ، أو تهيج له شهوة نفسه فتذهب عليه ماله ، أو يبدو له في بناء دار أو عمارة خراب فيذهب فيه ماله ، أو تصيبه نكبة من نكبات الدنيا من حرق أو غرق أو سرقة أو ما شابه ذلك ، أو تصيبه فيه علة دائمة فينفق ماله في الأدوية أو يدفنه في موضع من المواضع فينساه فلا يجده .

وقال عمر ـ رحمه الله ـ : من كثر ضحكه قلت هيبته ، ومن كثر مزاحه استخف به ، ومن أكثر من شيء عرف به ، ومن كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه قل حياؤه وقل ورعه ، ومن قل ورعه مات قلبه ، ومن مات قلبه غرق في آفات الدنيا .

وقال عثمان في تفسير قول الله ـ تعالى ـ : ﴿وكان تحته كنز لهما﴾ [2] والكنز لوح من ذهب فيه سبعة أسطر مكتوب في احداها : عجبت لمن أيقن بالموت كيف يضحك ، وعجبت لمن عرف الدنيا فانية وهو يرغب فيها ، وعجبت لمن عرف الأمور بالأقدار وهو يغتم بالفائت ، وعجبت لمن عرف الحساب وهو يجمع المال ، وعجبت لمن عرف النار وهو يذنب ، وعجبت لمن عرف الجنة يقينا وهو يستريح ، وعجبت لمن عرف الله يقينا وهو يذكر غيره .

وسئل عليّ : ما أثقل من السماء ؟ وما أوسع من الأرض ؟ وما أشد من

---

١ ـ رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة

٢ ـ جزء من الآية ٨٢ من سورة الكهف

الحجر ؟ وما أغنى من البحر ؟ وما أبرد من الزمهرير ؟ وما أمر من السم ؟ وما أحر من النار ؟ فقال : البهتان على البريء أثقل من السماء ، والحق أوسع من الأرض ، وقلب المنافق أشد من الحجر ، وقلب القانع أغنى من البحر ، والسلطان الجائر أحر من النار ، والحاجة إلى اللئيم أبرد من الزمهرير ، والصبر أمر من السم .

وعن جابر بن عبدالله الأنصاري عن النبي ﷺ أنه قال : «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه يجعل له وارثا ، وما زال يوصيني بالنساء حتى ظننت أنه سيحرم طلاقهن ، وما زال يوصيني بالسواك حتى ظننت أنه من فرائضه ، وما زال يوصيني بالعبيد حتى ظننت أنه يجعل لهم وقتا يعتقون فيه ، وما زال يوصيني بصلاة الجماعة حتى ظننت أنه لا تقبل الصلاة إلا في الجماعة ، وما زال يوصيني بقيام الليل حتى ظننت أنه لا نوم بالليل ، وما زال يوصيني بذكر الله حتى ظننت أنه لا ينفع عمل إلا به»[1].

وقال ﷺ : «سبعة لا ينظر الخالق إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ويدخلهم النار ؛ الفاعل والمفعول به ، والناكح يده ، والناكح البهيمة ، والناكح المرأة في دبرها ، والجامع بين المرأة وابنتها ، والزاني بحليلة جاره ، والمؤذي جاره حتى يلعنه» .

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ : حقا على العاقل أن يختار سبعا على سبع ؛ الفقر على الغنى ، والذل على العز ، والتواضع على الكبر ، والجوع على الشبع ، والغم على السرور ، والدون على المرتفع ، والموت على الحياة .

وقال بعض العلماء : ترك فضول الكلام يثمر النطق بالحكمة ، وترك فضول النظر يثمر الخشوع والخشية ، وترك فضول الطعام يثمر حلاوة

---

١ - متفق عليه ورواه ابن عمر وعائشة

العبادة ، وترك الضحك يثمر الهيبة ، وترك التجسس يثمر صلاح العيوب ، وترك الرغبة والحرص يثمر الجنة كما أنهما أخرجا آدم ـ عليه السلام ـ منها ، وترك التوهم في الله ينفي الشك والنفاق .

وقال النبي ﷺ : «ثمانية أشياء لا تشبع من ثمانية ؛ العين من النظر ، والأرض من المطر ، والأنثى من الذكر ، والعالم من العلم ، والسائل من المسألة ، والحريص من الجمع ، والبحر من الماء ، والنار من الحطب» .

وقال أبو بكر : ـ رضي الله عنه ـ : ثمانية أشياء هن زينة ثمانية ؛ العفاف زين الفقر ، والشكر زين الغنى ، والصبر زين البلاء ، والتواضع زين الحسب ، والحلم زين العلم ، والتذلل زين المتعلم ، وكثرة البكاء زين الخوف ، وترك المن زين الاحسان ، والخشوع زين الصلاة .

وقال رسول الله ﷺ : «عليكم بالسواك فإن فيه عشر خصال ؛ يطهر الفم ، ويرضي الرب ، ويشد اللثة ، ويقطع البلغم ، ويسخط الشيطان ، ويطيب النكهة ، ويطفىء المرة ، ويجلو البصر ، ويذهب الحفرة ، وهو من السنة» ثم قال : «والصلاة بالسواك أفضل من سبعين صلاة بغير سواك»[1].

وقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ : ما من عبد رزقه الله ـ تعالى ـ عشر خصال إلا نجا من العاهات والآفات كلها ، وصار في درجة المقربين .

أولها : صدق دائم مع قلب قانع .

والثانية : صبر كامل مع شكر دائم .

والثالثة : فقر دائم مع زهد حاضر .

والرابعة : ذكر دائم مع بطن جائع .

---

١ ـ رواه مسلم عن عائشة وابن خزيمة بأسانيد صحيحة

والخامسة : خوف دائم مع حزن متصل .

والسادسة : حمد دائم مع بدن متواضع .

والسابعة : رفق دائم مع حياء حاضر .

والثامنة : اخلاص دائم مع يقين كامل .

والتاسعة : علم نافع مع حلم دائم .

والعاشرة : إيمان دائم مع قلب ثابت .

وقال عمر ـ رضي الله عنه ـ : عشرة لا تصلح إلا بعشرة ؛ لا يصلح العقل بغير ورع ، ولا العمل بغير علم ، ولا الفوز بغير احسان بالله ، ولا القوة بغير خشية ، ولا السلطان بغير رحمة ، ولا الحسب بغير أدب ، ولا السرور بغير أمن ، ولا الغنى بغير جود ، ولا الفقر بغير قناعة ، ولا الرهبة بغير تواضع ، ولا الجهاد بغير توفيق .

وقال عثمان : أضيع الأشياء عشرة ؛ عالم لا يسأل عنه ، وعلم لا يعمل به ، ورأي صواب لا يقبل ، وسلاح لا يستعمل ، ومسجد لا يصلى فيه ، وخيل لا تركب ، وعلم وزهاده في بطن من يريد الدنيا ، وعمر طويل لا يتزود منه لسفره .

وقال عليّ : العلم خير ميراث ، والأدب خير حرفة ، والتقوى خير زاد ، والعبادة أربح بضاعة ، والعمل الصالح خير قائد ، وحسن الخلق خير قائد ، والعلم خير وزير ، والقناعة أفضل غنى ، والتوفيق خير عون ، والموت خير مؤدب .

وقال ﷺ : «عشرة من هذه الأمة كفار بالله العظيم والظن انهم

مؤمنون ؛ القاتل بغير حق ، والساحر ، والديوث ، ومانع الزكاة ، ومدمن الخمر ، ومن وجد سبيلا إلى الحج فلم يحج ، والساعي في الفتن ، وبائع السلاح على أهل الحرب ، وناكح المرأة في دبرها ، وناكح البهيمة ، وناكح ذات رحم محرم» .

وقال ﷺ : «لا يكون العبد في السماء ولا في الأرض مؤمنا حتى يكون عالما ، ولا يكون عالما حتى يكون عاملا ، ولا يكون بالعلم عاملا حتى يكون زاهدا ، ولا يكون زاهدا حتى يكون ورعا ، ولا يكون ورعا حتى يكون متواضعا ، ولا يكون متواضعا حتى يكون عارفا بنفسه ، ولا يكون عارفا بنفسه حتى يكون عاقلا» .

وقال بعض الحكماء : عشر خصال يبغضها الله ـ تعالى ـ على عشرة أنفس ؛ البخل على الأغنياء ، والطمع على العلماء ، وقلة الحياء على النساء ، وحب الدنيا على الشيوخ ، والكسل على الشبان ، والجور على السلطان ، والحسد على الفقراء ، والجبن على الغزاة ، والعجب على الزهاد ، والرياء على العباد .

وقال بعض الحكماء : ينبغي للعاقل إذا تاب عشرة أشياء ؛ استغفار باللسان ، وندم في القلب ، واقلاع البدن ، والعزم أن لا يعود أبدا ، وحب الآخرة ، وبغض الدنيا ، وقلة الأكل والشرب ، وقلة الكلام حتى ينفع للعلم والعبادة ، وقلة النوم . قال الله ـ تعالى ـ : ﴿وبالأسحار هم يستغفرون﴾ .

وقال النبي ﷺ : «عشرة نفر لن يقبل الله صلاتهم ؛ رجل يصلي وحيدا بغير قراءة ، ورجل صلى ولا يؤدي الزكاة ، ورجل أم بقوم وهم له كارهون ، ورجل مملوك أبق ، ورجل شارب خمر مدمن ، وامرأة باتت وزوجها ساخط عليها ـ قال الناظر : وذلك إذا كان على حق يجب له عليها وهي قادرة عليه

والله أعلم ـ ، وامرأة حرة وتصلي بغير خمار ، وآكل الربا ، والامام الجائر ، ورجل لا تنهاه صلاته عن الفحشاء والمنكر لا يزداد من الله إلا بعداً» .

وقال النبي ﷺ : «ينبغي للداخل إلى المسجد عشر خصال ؛ أولها أن يتعاهد خفيه أو نعليه ، وأن يبدأ برجله اليمنى ، وأن يقول إذا دخل : بسم الله والسلام على رسول الله وعلى ملائكة الله اللهم افتح لنا أبواب رحمتك إنك أنت الوهاب ، وأن يسلم على أهل المسجد ، وأن يقول إذا لم يكن فيه أحد السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، وأن لا يمر بين يدي الناس ، وأن لا يدخل إلا بوضوء ، وأن لا يعمل بعمل الدنيا ، وأن لا يخرج حتى يصلي ركعتين ، وأن يقول إذا قام : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا الله وحدك لا شريك لك واستغفرك وأتوب إليك» .

وقال عمر ـ رضي الله عنه ـ : إن ذرية إبليس تسعة ؛ زليتون ، ووثين ، وأعوان ، وهفاف ، ومرة ، ولاقيس ، ومسوط ، وداسم ، وولهان .

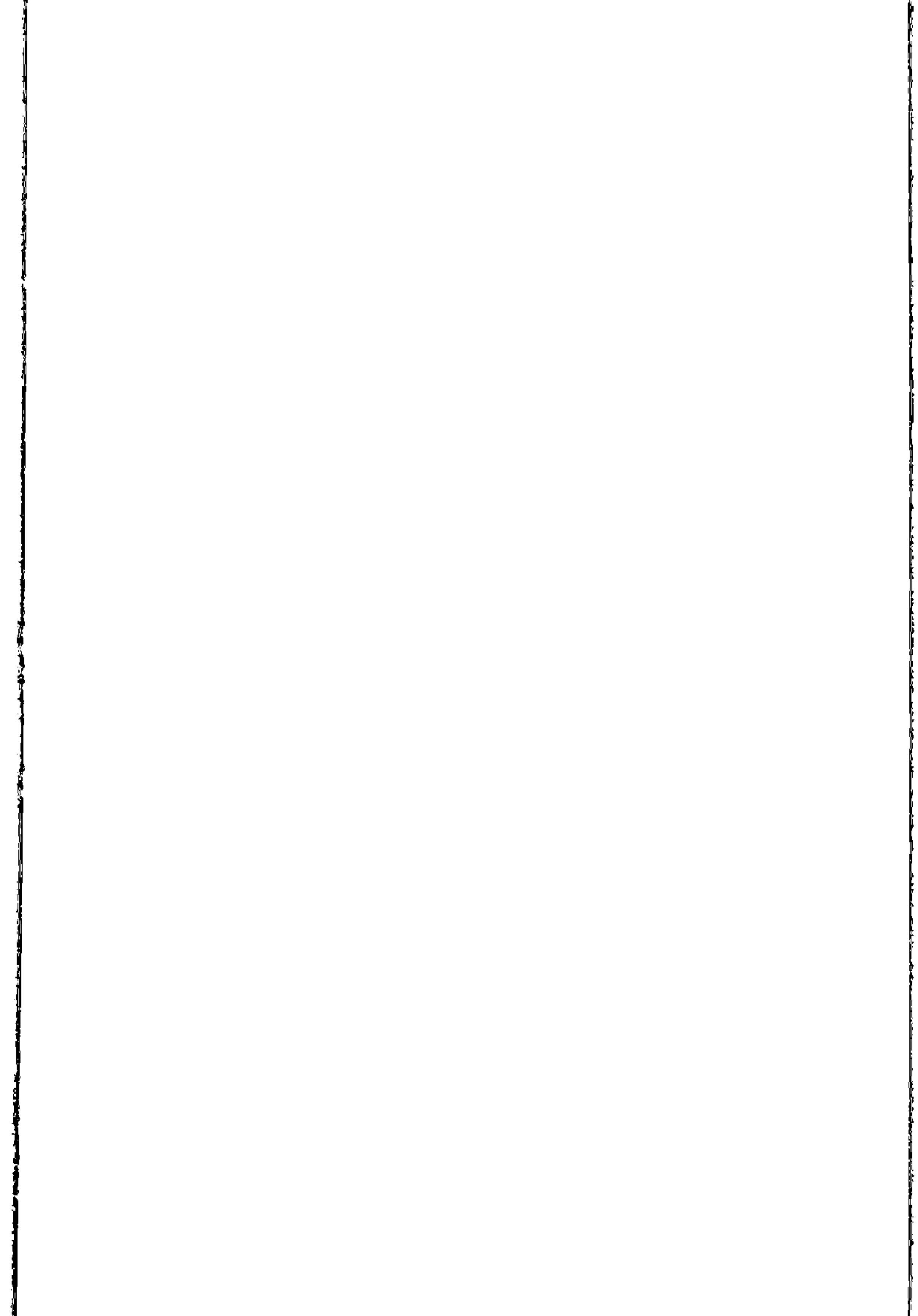
فأما زليتون فهو صاحب الأسواق ينصب فيها رايته . وأما وثين فهو صاحب المصائب ، وأما أعوان فهو صاحب السلطان ، وأما هفاف فهو صاحب الشراب ، وأما مرة فهو صاحب المزامير ، وأما لاقيس فهو صاحب المجوس ، وأما المسوط فهو صاحب الأخبار يلقيها في أفواه الناس ، ولا يجدون لها أصلا ، وأما داسم فهو صاحب البيوت إذا دخل الرجل المنزل ولم يذكر اسم الله وقعت فيها المنازعة حتى يقع الطلاق والخلع والضرب ، وأما ولهان فهو يوسوس[1] في الوضوء والصلاة والعبادات .

---

١ ـ وردت في الأصل (يسوس) والصحيح ما أثبت

تم بحمد الله وعونه الجزء الثاني من كتاب «الآثار والأخبار» لمؤلفه العلامة المحقق الشيخ سالم بن عبدالله بن راشد آل بوسعيدي العقري النزوي وهو يبحث في المواعظ والقلب وآفاته ومحاسبة النفس ، وفي الزهد والورع والتواضع والقناعة والعفو والرفق والصدق وحسن الخلق والسخاء والايثار والكبر والمزاح والعجب والرياء والغيبة والنميمة وما ذكر في مجالس النساء ، وفي الأدوية والأغذية والحكمة والأدب والثلاثي والعشاري ، وكان الفراغ من نسخه وتحقيقه غرة محرم عام ١٤٠٥ للهجرة النبوية الشريفة الموافق السابع والعشرين من شهر سبتمبر ١٩٨٤ م ، وقد تم التحقيق على نسخة مخطوطة من ملاك وزارة التراث القومي والثقافة .

المحقق



الفهرســـت

رقم الصفحة

رقم الصفحة

رقم الصفحة

رقم الايداع ٩٢/١٤٢

المطبعة الشرقية ومكتبتها ـ مطرح ـ سلطنة عمان

